



جامعة محمد بن زايد
للعلوم الإنسانية
MOHAMED BIN ZAYED UNIVERSITY FOR HUMANITIES

تَحْلِيلُ الْخُطَابِ السِّيَاسِيِّ فِي رَسَائِكِ زَايِدِ الْأَوَّلِ

دراسة لغوية تطبيقية في ضوء لسانيات النص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



جامعة محمد بن زايد
للعلوم الإنسانية
MOHAMED BIN ZAYED UNIVERSITY FOR HUMANITIES

تأليف

د. عبدالله ماجد آل علي

الطبعة

الطبعة الأولى 1447 هـ - 2026 م

الترقيم الدولي

ISBN 9789948630227

جَمِيعُ الْحُقُوقِ مَحْفُوظَةٌ

يمنع طبع هذا الكتاب أو أي جزء منه بكافة طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي أو المسموع أو استخدامه حاسوبياً بكافة أنواع الاستخدام وغير ذلك من الحقوق الفكرية والمادية إلا بإذن خطي من الناشر

+971 2 4999000 info@mbzuh.ac.ae www.mbzuh.ac.ae

mbzuh MBZ university for humanities

الرسائل الجامعية

تَحْلِيلُ الْخُطَابِ السِّيَاسِيِّ

فِي رَسَائِلِ زَايِدِ الْأَوَّلِ

دراسة لغوية تطبيقية في ضوء لسانيات النص







مقدمة

شكّل الانتقال من حدود الجملة إلى فضاء النص تحوُّلاً مُهمًّا على صعيد الدرس اللغوي، منذ ظهور هذه الدراسات في أوائل سبعينيات القرن المنصرم؛ إذ بدأت تظهر ملامح علم جديد ألغى فيه الدرس اللغوي الحدود بينه وبين المعارف الأخرى، فاستفاد من ذلك استفادة كبرى في دراسة الخطاب/ النص، وتجلّت بظهور علم يدرس نصية النصوص، وينطلق من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص، عرف باسم: لسانيات النص، أو علم اللغة النصي، أو نحو النص.

انطلقت فكرة هذا البحث من هذا الأساس اللساني، لتبحث في نصية رسائل زايد الأول؛ أي لتبحث في المكونات اللسانية التي تشكل نصية هذه الرسائل، وبذلك تنطلق من نحو الجملة إلى نحو النص، وقد اتخذ البحث نمطاً نصياً احتوى كل شروط النصية، كي يكون ميداناً تطبيقياً، من ناحية، ونظراً لأهمية هذه الرسائل التاريخية والفنية، من ناحية ثانية؛ وهذا ما يُضفي على البحث ميزة إضافية، تتمثّل في اكتشاف مكونات النصية التي تضمّنتها الرسائل، والتركيز على أنّ الخطاب/ النص وحدة لغوية مؤلّفة من أكثر من جملة، شريطةً أن يكونَ بين الجمل والكلمات والعبارات وجميع وحدات النص: تماسكٌ لغويّ نحويّ تركيبِيّ، وانسجامٌ دلاليّ فكريّ منطقيّ، ووظيفة تواصلية، فإن غابَ التماسك والانسجام والوظيفة التواصلية أو المقاصد تفكك النص. ومن هنا فإنّ أهمّ ما يراهن عليه هذا البحث هو

التعريف بشروط قيام النص ثم الانتقال من النظريات النصية إلى دراسة نص عربيّ هو نص رسائل زايد الأول، وتطبيق الأدوات التحليلية عليه.

ولعل المشكلة الأهم التي واجهت هذا البحث، أن رسائل زايد الأول لم تُقدم فيها دراسات سابقة تناولها من جانب لساني، لغوي ونصي، وبالتالي فإن هذه الدراسة ستكون الأولى - حسب ظننا - التي تعالج هذا الموضوع في محاولة لرصد ملامح النصية في هذا الخطاب من ناحية، وللكشف عن مقاصده الدلالية التي لم يُتوقف عندها سابقاً، وستتحقق هذه الغاية من خلال تطبيق أحدث المناهج اللسانية على نص الرسائل للكشف عن أدوات السبك والحبك التي تشكل نصيتها والكشف عن معاييرها التداولية.

وبناء على ما سبق فقد انطلق البحث من سؤال رئيسي وأساسي، هو: كيف تجلّت عناصر السبك والحبك في الرسائل المدروسة؟ وما دورها في تحقيق نصيتها؟

وقد تفرع عن هذا السؤال الرئيسي جملة من الأسئلة، هي:

- ما المراد بمصطلحات السبك والحبك في المنهج اللساني النصي؟
- ما أدوات السبك التي ظهرت في الرسائل المدروسة؟
- ما مظاهر الحبك في الرسائل؟
- ما أبرز المظاهر التداولية لخطاب الرسائل؟

وإذا نظرنا في الدراسات السابقة لهذه الرسائل، فإننا لا نجد دراسة مستقلة على وجه التحديد لموضوع النصية فيها، وهو موضوع دراستنا.

أما على صعيد المنهج، فقد اعتمدت الدراسة المنهج النصي المستند في إطاره العام إلى المعايير النصية السبعة التي وضعها دي بوجراند [يكتب اسمه في بعض المراجع دي بوجراند، وتم اعتماد كتابته دي بوجراند في البحث كله، فاقضى التنويه]؛ لأنها الأنضج، ولأنها تمثل الخلاصة لجهود سابقه في لسانيات النص، والمتمثلة في العناصر النصية السبعة الآتية: (السبك والحبك والقصدية والمقبولية والمقامية والإعلامية والتناس). وقد طبق البحث هذه المعايير على الرسائل المدروسة.

وبناء على ما سبق، قُسم البحث إلى تمهيد تاريخي وأربعة فصول، فتوقف في التمهيد بإيجاز، عند السيرة الذاتية والتاريخية لصاحب الرسائل، والظروف القبلية والمجتمعية، والجغرافية والسياسية والاقتصادية للبيئة التي نشأ فيها في تلك المرحلة الزمنية، ثم قدّم توصيفًا تفصيليًا للمدونة المدروسة، وهي جملة من الرسائل التي أرسلها الشيخ زايد بن خليفة آل نهيان حاكم أبوظبي من عام 1855 إلى عام 1909 إلى معاونيه وأعيان المجتمع في تلك الفترة في مشيخته وخارجها.

ثم توقف البحث في الفصل الأول عند المتن الاصطلاحي، ففصّل القول في المصطلحات الرئيسية التي يقوم عليها البحث، فحدّد العلاقة بين مفهومي اللغة والتواصل، وتوقف عند أركان العملية التواصلية، ووظائفها، كما بيّن مصطلحات الخطاب السياسي ومفهوم النصية، والفرق بين نحو

الجملة ونحو النص، والفرق بين الخطاب المنطوق والخطاب المكتوب، فقد جمعت رسائل زايد المدروسة بين خصائص هذين النمطين.

أما الفصل الثاني، فقد حمل عنوان (السبك النصي في رسائل زايد)، فنتوقف عند مفهوم السبك وعناصره كما ظهرت في العينة المدروسة، فدرس السبك المعجمي، والتكرار بأنواعه، والمصاحبة المعجمية، والسبك النحوي، والإحالة بأنواعها.

وأفرد الفصل الثالث، للحبك النصي في رسائل زايد، فحدّد مفهوم الحبك ومكوناته، وتوقف عند البنية الدلالية الكبرى من خلال دراسة البنية المضمونية والمقولات الدلالية الكبرى للرسائل، فحدّد المقولات المركزية فيها، وشبكة العلاقات بين المفاهيم جميعها، ففصّل القول في مفهومات الإصلاح والعدل والسلطة، والشورى والقبيلة. وبين تمظهراتها في الرسائل. ثم توقّف عند العلاقات الدلالية النصية في الرسائل المدروسة، من خلال التوقف عند وسائل الحبك الداخلية لها.

وأفرد الفصل الرابع لدراسة المعايير التداولية النصية لرسائل زايد الكبير، من خلال تحليل السمات التداولية لهذا الخطاب، وتحليل سمات الشفاهية في الرسائل، وهي سمات تتعلق بالمرسل والمتلقي وبظروف إنتاج النص، ثم توقف عند معايير التداولية في رسائل زايد من خلال تحليل مفهومات: القصديّة، والمقبولية، والمقامية، والإعلامية، والتناس من خلال تحديد علاقة نص الرسائل بالنصوص الأخرى. وختم البحث بالنتائج التي توجز أهم ما توصلنا إليه.

وإذا كان من كمال الفضل شكر ذويه، فإنني أتوجّه بالشكر الجزيل إلى أستاذي الدكتور رضوان السيد الذي تفضّل بالإشراف على هذا البحث، فقوّم ما فيه من اعوجاج، وأقال عثراتي فيه، فكان نعم العون لي في إنجاز هذا البحث. كما أتوجّه بالشكر إلى إدارة جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية وأساتذتها الكرام الذين لم يدخروا جهداً في توفير البيئة العلمية السليمة، والأخذ بأيدينا في كل خطوة من خطوات الدراسة.

أخيراً، يعلم صاحب هذا البحث، قبل غيره، أنه لا كمال لجهد بشري، لكنه لم يدخر جهداً في سبيل الوصول إلى الأفضل، فإن تحقق ذلك فهو غاية ما قصد إليه، وإن تكن الأخرى، فحسبه أجر الاجتهاد، وحسبه أن دروباً دونها عثرات كثيرة، هي التي تسهم في تقويم العمل وتسديده مستقبلاً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تمهيد تاريخي

لا شك أنّ التاريخ علمٌ يسهم في رصد التحولات التي أصابت المجتمعات البشرية، والوقوف عند مرحلة من مراحلها هو رصد لخصائص تلك المرحلة من حياة الإنسان، انطلاقاً من أنها تشكّل صورة الماضي التي تساعدنا على بناء المستقبل، وقد أدرك المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، هذه الحقيقة عندما خاطب أبناءه الطلاب، قائلاً:

«يجب على كل واحد منّا أن يتساءل ليعرف ماضيه وكيف عاش آباؤه وأسلافه السابقون حتى يعرف كيف يعيش ويتماشى مع ظروف الزمن على مرور السنوات وظروف الحياة الحاضرة، إنّ لي كلمة أحبّ أن أوضحها،

وهي أنه يجب على الشباب أن يتتبعوا ويسألوا عن التاريخ ويراجعوه، سواء كان التاريخ القريب أو المتوسط أو البعيد، حتى يعلموا ما مرّ به هذا الوطن، وكيف عاصرتة الأجيال التي مضت؟ لأنني أوّمن بأنّ من لم يعرف ماضيه، فهو لا يعرف حاضره، أمّا إذا عرف المرء ماضيه، فلا بدّ أن يعرف حاضره، ويعرف ما يجب أن يحسبه لحساب المستقبل»¹.

وانطلاقاً من هذه الرؤية الثاقبة في فهم العلاقة بين التاريخ بوصفه ماضيًا، وعلاقته بالمستقبل، يدرس هذا البحث رسائل الشيخ زايد الكبير، رحمه الله، هذا الرجل الذي يمثل شخصية مهمة في تاريخ إمارة أبوظبي، على وجه الخصوص، وتاريخ دولة الإمارات العربية على وجه العموم،² وعلى الرغم من الدراسات العديدة التي أرّخت لهذه الشخصية المؤثرة وتناولتها من جوانب مختلفة سياسية واجتماعية واقتصادية، فإن هذا البحث يحاول أن يغطي جانبًا آخر لم يحظَ بالدراسة، هو تحليل الخطاب السياسي في رسائل زايد الأول، دراسة لغوية في ضوء لسانيات النص، وقبل الخوض في فصول هذه الدراسة، يقتضي المنهج العلمي التوقف عند شخصية الشيخ زايد الأول، من خلال تقديم موجز مكثّف عن سيرته الذاتية والتاريخية، والظروف السياسية والاجتماعية، والقبلية، التي كانت سائدة في عصره، ولا شك أن تأثيراتها ستظهر من خلال دراسة الخطاب السياسي في رسائله.

1 حنظل، فالج، الشيخ زايد بن خليفة حاكم إمارة أبوظبي (1855-1909)، 2015، ص 5.
2 وهو ما أشار إليه الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان. في تقديمه لكتاب: الشيخ زايد بن خليفة بن شخبوط آل نهيان حاكم أبوظبي الأسبق (1855-1909)، الصادر عن المركز الثقافي الإعلامي للشيخ سلطان بن زايد آل نهيان، أبوظبي، 2009، ص 7، 8، 11.

أولاً: في السيرة الذاتية للشيخ زايد الكبير (الأول)

• اسمه ونسبه وولادته

هو الشيخ زايد بن خليفة بن شخبوط بن ذياب بن عيسى بن نهيان آل بوفلاح، وآل بوفلاح هم فرع من أهم فروع بني ياس، أما أحواله فهم من بني السودان، وهي عشيرة ذات شرف ومكانة في حلف بني ياس¹.

كانت ولادته في أبوظبي، حيث كان والده يحكم المشيخة في تلك الفترة، وثمة خلاف في تحديد سنة ولادته، ولكن ثمة روايتان يستند إليهما المؤرخون في تحديد تاريخ الولادة، الأولى تتعلق بعمره عندما تولّى السلطة، والثانية تتعلق بعمره وقت وفاته، فقد أشارت الرواية الأولى إلى أن عمره عند توليه السلطة سنة 1855 كان نحو عشرين عامًا، واستنادًا إلى ذلك تكون الولادة في عام 1835، وبالاستناد إلى الرواية التي تشير إلى سنة وفاته، فقد ذكرت التقارير البريطانية أنه توفي عام 1909 عن عُمرٍ يناهزُ التسعين عامًا، فتكون ولادته سنة 1819 تقريبًا، وربما تتعارض هذه الرواية مع رواية تشير إلى حداثة سنه عند توليه المشيخة² ويذهب الدكتور فالح حنظل إلى دحض هذه الرواية ويرى أن الشيخ زايد كان صَبِيًّا يوم قُتِلَ والده عام 1845؛ إذ

1 انظر: ابن كراز المهيري، سعيد محمد، رسائل من عصر زايد بن خليفة (1836 - 1909)، الأرشيف الوطني، أبوظبي، ط2، 2018، ص 19. السالمي، أبو بشير شيبه بن نور الدين عبد الله، نهضة الأعيان بحرية عُمان، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1961، ص 41. والقحطاني، سعيد بن سعد، الشيخ زايد بن خليفة حاكم أبوظبي (رسالة ماجستير غير منشور)، جامعة الملك سعود، الرياض، 2007، ص 55.

2 انظر: القاسمي، خالد محمد، دولة الإمارات العربية المتحدة، (سيرة قائد وإرادة شعب، مرحلة ما قبل الاتحاد، دار الكتاب الحديث، بيروت، 1992، ص 73، والقحطاني، الشيخ زايد، ص 56.

يرى أنه كان في العاشرة من عمره تقريبًا، وهذا ما يتوافق مع الرواية الأولى، وبالتالي يرفض هذا الرأي استنادًا إلى سيرة حياة الشيخ زايد الكبير نفسه، فيرى أنّ المتبع لسيرته لا يمكنه أن يتصوّر أنّ رجلاً مثله في قوته وصلابته وشجاعته وهو في عنفوان الشباب والرجولة يهرب مع والدته ويترك البلد بيد عيسى بن خالد وزمرته، بل ذهبَ إلى مواجهتهم والقضاء عليهم وتولي الحكم في الإمارة¹، وبناء على ذلك لعلنا نلاحظ أن الرواية الأقرب لسنة ولادته، أن تكون في عام 1835 على وجه التقريب.

• نشأته وحياته

لا تقدّم المصادر التاريخية التي بين أيدينا معلومات كثيرة حول نشأة الشيخ زايد الكبير، وكل ما هو معلوم عن تلك الفترة أنه عاش في كنف والده حتى بلغ العاشرة تقريبًا، وبالتالي فقد تربّى على تقاليد شيوخ القبائل من شجاعة وكرم وحسن تصرف في مواجهة الأمور.²

وبعد وفاة والده لجأت به والدته مع أخيه ذياب إلى دبي، عند الشيخ مكتوم بن بطي الذي أحسن إكرامهم، ثم انتقلت مع ولديها إلى أهلها من قبيلة السودان، وكان أخوها الشيخ عبد الله بن الهول السويدي في الشارقة، وأقامت هناك مع ابنيها، فعاش الشيخ زايد في كنف خاله يتيمًا فترة من الزمن.³

1 حنظل، الشيخ زايد، ص 37.

2 انظر: القحطاني، الشيخ زايد، ص 57.

3 السابق، ص 57-58. وانظر: حنظل، فالح، المفصل في تاريخ الإمارات العربية المتحدة، لجنة التراث والتاريخ، أبوظبي، 1983، ص 529.

وعلى الرغم من يتم الشيخ زايد وخروجه من دياره، وتربيته بعيداً عن أهله، إلا أن ذلك قد قوّى من عزمته، فعرف بالشجاعة والحكمة والصرامة، وقد يكون لوالدته وأخواله الذين عرفوا بالشرف والكرم الأثر الكبير في تنمية النزعة الاستقلالية التي كانت سمة بارزة في شخصيته.¹

• شعره

قرض الشيخ زايد الشعر، ومما يؤسف له، أنه لم تصل إلينا من أشعاره سوى قصائد قليلة، وكان على اتصال بكثير من شعراء عصره الذين مدحوه في قصائد عدة، مثل: يعقوب الحاتمي، وعلي بن سالم بوملحا المرر، وسعيد بن عتيق الهاملي، ومحمد بن حم العامري وغيرهم كثير.²

وتظهر القصائد التي وصلتنا روحاً شفافاً ورقيقة في التعامل مع الحدث التاريخي، أو الاجتماعي الذي تعبر عنه قصائده، وهي قصائد من الشعر النبطي المكتوب بلهجة بدوية قريبة من الفصيحة، ويعبر عن روح المنطقة، وقد تضمنت القصائد تسجيل اللحظة التاريخية، فبعد أن بنى الشيخ زايد الكبير قلعة الجاهلي في العين عام 1898، وهي تعدّ تحفة أثرية عظيمة ما زالت قائمة حتى الآن، سجل على مدخلها الأبيات الآتية:³

1 القحطاني، الشيخ زايد، ص 58.

2 العميمي، سلطان، شعراء آل نهيان. من القرن السادس عشر إلى القرن العشرين، لجنة إدارة المهرجانات والبرامج الثقافية والتراثية، أكاديمية الشعر، أبوظبي، ط3، 2014، ص 174.

3 السابق.

فتح باب الخير في باب العلا حل فيها السعد بالعليا المنيفه
فتهان العز قالت أرخوا دار جدّ شاد زايد بن خليفه

كما تظهر بعض القصائد حجم المعاناة في مواجهة نوازل الطبيعة المناخية، وهو ما نلاحظه في قصيدة (ما يتوفى مديدي) والمديد، هو مد البحر؛ أي الخوض في البحر والإبحار، التي تروي قصة جماعة من العمال ذهبوا إلى (خور البغال) لإحضار أفرع وأغصان شجر القرم، وقد أوصاهم الشيخ زايد بالإسراع بالعودة خوفاً عليهم من رياح الشمال القوية التي قرب موعتها، فهي تأتي في الأيام العشر الأولى التي تلي ظهور نجم سهيل، وتوافق آخر الشتاء، وتُسمى (النعيات)؛ لأنها تهب سبعة أيام متواصلة، وتصدر من شدتها أصواتاً تشبه البكاء، فقليل إنها تنعى الشتاء؛ لانقضائه وذهابه، وتشير القصيدة إلى أنّ هذه الرياح لو هبت في اليميد؛ أي الجميد، وهو أشد فترات البرد في الشتاء لمت نصف الخلق من شدة برودتها، ولكن رحمة الله جعلتها في آخر الشتاء حين يضعف برده، وقد أبحر هؤلاء الرجال الذين أرسلهم الشيخ زايد، ويقال إن عددهم عشرة رجال، إلى الخور القريب من أبوظبي، فأدركهم المساء قبل إنجاز عملهم، فانفقوا على المبيت في الخور، فهبت عليهم رياح الشمال الباردة القوية مصحوبة بحبات البرد الكبيرة، ولم يجدوا الملجأ، فقتلتهم جميعاً، فقال الشيخ زايد، رحمه الله، القصيدة الآتية¹:

1 العميمي، شعراء آل نهيان. ص 175- 176.

ما يتوقَّق مديدي	في (سبع نعايات) ¹
شملٍ هواها تزيدي	هالسبع مكتوبات ²
لوهن ين في اليميد	نص الخلايق مات ³
يوم تلوث العبيدي	في دوحة الشاشات ⁴
لاثوا مهوب بعدي	عَدَّال لينيزات ⁵
شروي مُطول الحديدي	برخّوا على العافات ⁶

يمكن أن نلاحظ إخلاص المعجم السابق للبيئة، فهو يستمد لغته من لغة الحياة ومصطلحاتها التي تعبّر عن البيئة وطبيعة الحياة آنئذ، كما تبرز فيها ظاهرة لهجية، ستبرز في لغة الرسائل، وهي إبدال حرف الجيم ياء، ففي قوله: (ين) المراد (جئن) و(اليميد)، المراد (الجميد)، ولا شك أن هذا النص يعبر بلغة تواصلية عن أحوال الناس بلغتهم التي كانت سائدة في تلك الفترة، كما يشير إلى ميل لتسجيل كثير من الحوادث من خلال هذا النمط الخاص من الشعر الذي كان الوسيلة الإعلامية الوحيدة.

- 1 مديد: مد البحر؛ أي الخوض في البحر والإبحار، شبه نعايات: الأيام السبعة في أواخر الشتاء وتصدر أصواتاً تشبه البكاء.
- 2 شمل: رياح شمالية.
- 3 اليميد: أشد البرد في الشتاء، قريب من التجمد.
- 4 تلوث: ترسو وتلقي بهم. دوحة: الشاطئ الذي يكون على شكل هلال أو نصف دائرة. الشاشات: جمع شاشة، وهي من أنواع المراكب البحرية الخفيفة.
- 5 لينيزات: اسم موضع.
- 6 العافات: الحواف العليا للشواطئ.

كما تظهر بعض قصائد الشيخ زايد الكبير طبيعة علاقته بشيوخ وحكام البلاد المجاورة القائمة على الاحترام والتواصل، وهو ما نلاحظه في قصيدة: (حيّ الكتاب اللي لفاني وهاديه)، التي تظهر طبيعة التواصل الشعري بينهم، فمناسبة القصيدة أن المغفور له الشيخ زايد تلقى هدية من الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة حاكم البحرين، هي فرس اسمها (شويمان)، ومعها الأبيات الآتية:¹

الغوج مبذولٍ إلى عاد تبغيه يا شيخ يا حامي حدور التوالي
ياللي إلى من ضيّع السمّت تشريه زايد إلى عدّت علوم الرجال
الغوج ما طاري لنا دوم نجزيه إلا لشخصك يا حميد الفعال
هذاك لك، واللي غلامنه نفديه الحال مبذولٍ، فكيف الحلال؟

فلو تأملنا في لغة القصيدة لوجدناها تجمع بين الأصل الفصيح والاستعمال العامي لها في منطقة الخليج، فالغوج هو صفة محمودة في الفرس، وهي فصيحة؛ فالغَوْجُ من الأفراس: الذي يتثنّى يذهب ويعيء، ويقال: فرسٌ غَوْجُ اللبان؛ أي واسع الصدر.² والمراد بكلمة مبذول تقديم الفرس عن طيب خاطر، ثم تبرز القصيدة سمات الفروسية التي اتسم بها الشيخ زايد، فهو حامي الحمى، المدافع عن العرض، حميد الفعال، الذي يُفدى بما هو أغلى من الحلال (المال) فكيف لا يفدى بالمال، فهو من تحصيل الحاصل، وهذه الصفات كلها تدلّ على مكانة الشيخ زايد الكبير، واحترام حكام المنطقة في ذلك العصر له.

1 العميمي، شعراء آل نهيان، ص 179.

2 انظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط3، 1993، (غوج).

وتظهر التلطف من قبل الشيخ زايد، فهو عندما قبل الهدية، ردّ عليها بأبيات قال فيها¹:

حَيّ الكتاب اللي لفاني وهاديه به مرحبًا وأهلا بَرَدَ السَّوَالِ
أعداد ما برقِ مزونٍ تشابيه واعداد ما نَسَسَ هبوب الشمالِ
فَكَيْت برشامه وحِطْنَا معانيه والغوج لي كامل جميع الخصالِ²
ساعة لفي (شويمان) غزر النظر فيه مقبول من شيخٍ جزاه وهدى لي³
هذي عوايد من حَمَد والسخا فيه يالله تكفى له صروف الليالي

ولعلنا نلاحظ أنه طغى على الأساليب اللغوية في القصائد سمات اللغة الشفاهية العامية، فالشعر النبطي يعتمد صيغ النطق الشفاهية أكثر من اعتماده الصياغة المكتوبة، ومن هنا برز فيه التخلي عن الجوانب الإعرابية، وعدم الالتزام بها في كثير من المواضع، كذلك إبدال همزة القطع بهمزة الوصل، مثل (واعداد) أي (وأعداد)، واعتماد الصيغ العامية في الأسماء الموصولة، مثل: (اللي) بمعنى (الذي) وتخفيف الهمز مثل (السخا) أي السخاء. وكذلك اعتماد الصيغ التركيبية الشفاهية العامية، مثل: هدى لي، أي: أهدى إلي، تكفى له: أي تكفيه، وكذلك التغيير في البنية الصرفية للاسم، فنطق مثلاً: (حَمَد) أي (حَمَد)، وستبرز بعض هذه الخصائص في لغة الرسائل. وكذلك نلاحظ حضور الصور البلاغية المستمدة من البيئة، فقد عبّر عن كثرة الترحيب بمرسل الهدية، والاحتفاء به في البيتين الأول

1 العميمي، سلطان، شعراء آل نهيان، ص 180.

2 برشامه: رسالته. الغوج: إناث الخيل.

3 غزر: تعمّق.

والثاني، من خلال المبالغة في الترحيب به، فقال في البيت الأول (مرحبا وأهلا برد السؤال) ثم بيّن في البيت الثاني حجم هذا الترحيب، فقال:

أعداد ما برقي مزونٍ تشابيه واعداد ما نَسْنَس هبوب الشمالِ

فلفظة (أعداد) مع ما اقترنت به (بروق مزون) و(نسنس هبوب الشمال) تشير إلى الكثرة والمبالغة بالترحيب بالمهدي الشيخ حمد، وهي في مجملها تشير إلى رابطة قوية بين الرجلين واحترام متبادل، وهذا ما يعززهُ التأكيد على الصفات الحميدة من سخاء وقوة وشجاعة.

• صفاته وأولاده

أشرنا فيما سبق إلى بعض الصفات التي ميزت شخصية زايد الكبير، ومنحته مركزاً اجتماعياً مرموقاً بين قومه، ومع حكام تلك المنطقة في ذلك الوقت، وفي المجمل يمكن القول إنه كان شجاعاً، مقاتلاً جسوراً، لا يُشَقّ له غبار، ذكياً، ذا قامة طويلة، عُرف عنه الحزم والإقدام، اكتسب قدراً كبيراً من الهيبة والاحترام بين قبائل البدو، وكانت فترة حكمه طويلة مما يدل على الاستقرار والأمن. وكان له ثمانية أولاد، هم: خليفة، وطحنون، وسعيد، وحمدان، وهزاع، وسلطان، وصقر، ومحمد.¹

• لقبه ووفاته

لقّب الشيخ زايد، إجلالاً وتقديراً لمكانته بـ (زايد الكبير)، وعرف بهذا اللقب «بعد أن أصبح في عصره أقوى شيوخ الإمارات المتصالحة بلا منازع»²،

1 ابن كراز المهيري، رسائل، ص 19.

2 العميمي، سلطان، شعراء آل نهيان، ص 173.

تولى مقاليد الحكم في إمارة أبوظبي بعد ابن عمه الشيخ سعيد بن طحنون في يونيو عام 1855، واستمر في حكمه حتى 19 مايو عام 1909 حيث انتقل إلى جواررته رحمه الله تعالى¹.

ثانياً: البيئة الطبيعية والتاريخية والاجتماعية لمرحلة الشيخ زايد الكبير

لابد للدارس الراغب في معرفة طبيعة المرحلة التي عاش فيها الشيخ زايد الأول أن يدرك جملة من الظروف الاجتماعية والجغرافية والسياسية والاقتصادية التي ميّزت تلك المرحلة، وما زالت تؤثر حتى اللحظة الراهنة، فكثير ممن درسوا هذه المرحلة، بشكل خاص، ولاسيما من الغربيين، كانوا دومًا يحملون تصورات مسبقة تجعل كثيرًا من أحكامهم مجافية لواقع الحال وحقيقته، ولعل من أبرز ما ينبغي على الباحث إدراكه العوامل المؤثرة في شخصية أبناء هذه المنطقة، والتي يمكن تلخيصها بالنقاط الآتية:

الطبيعة الصحراوية

لاشك أن فهم طبيعة البيئة الصحراوية للمنطقة يسهم في فهم طبيعة شخصياتها وما فرضته تلك البيئة من قيم خاصة، وبشكل عام يمكن القول إن أصول معظم الشعوب العربية ترجع إلى المناطق الصحراوية القاحلة التي كان لها دور رئيسي في تشكيل جوانب متعددة من شخصيتهم، لقد أكسبتهم تلك البيئة الصلابة وقوة التحمل والاعتماد على الذات، كما

1 ابن كراز المهيري، رسائل، ص 19.

ساعدهم خلال عصور سالفه من تحقيق إنجازات حضارية كبرى، وعلى الرغم من حياة الاستقرار التي نعموا بها، فإن صلوات القبيلة والإرث المشترك لم تضعف إطلاقاً؛ وتتسم الثقافة التي نشأ عليها الشيخ زايد بجذورها الراسخة في الأعراف القبلية، والقبلية في شبه الجزيرة العربية هي رابطة إيجابية، تمنح القوة والتماسك الاجتماعي، ولم تكن عقبة أمام عمليات التحديث التي نراها في عصرنا في أبلغ صورها.¹

لا شك أن ظروف الحياة التي واجهت بدو الصحراء قد أدت إلى ارتباط كل جوانب مجتمعهم بالكدح والكفاح من أجل البقاء، بل إن قدرتهم على العيش في منطقة مجدبة تبدو للغرباء عنها خالية من الماء أو الطعام والكأ، هو إنجاز في حد ذاته.² لقد منحهم تلك البيئة خبرة في معرفة أمكنة الماء والكأ، ومنحهم كذلك صفات مميزة مكنتهم من التكيف معها، كما اتسموا بالخصال الحميدة التي صاغتها بيئتهم، منها الصبر على المشقة، والثقة بالنفس، والشجاعة، كما نمت البيئة إحساس الفرد بذاته، غير أن السعي من أجل البقاء وما تفرضه ظروف بيئتهم قد عودهم في الوقت نفسه على التعاون والتكاتف والعمل الجماعي كلما اقتضت الحاجة ذلك، وقد تشكل مجتمعهم من تفاعل ثلاثة عناصر متشابكة، هي:

1 انظر: مركز الإمارات للدراسات، بقوة الاتحاد، صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، القائد والدولة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبوظبي، ط8، 2018 ص 24-25.

2 السابق، ص 26.



- طبيعة المكان وهي البيئة الطبيعية التي حددت عالمهم.
- البنية السياسية التي تنظم حياتهم الاجتماعية المتمثلة في القبيلة والزعامة القبلية.
- البنية الأخلاقية التي ربطت بينهم، والمتمثلة إلى حدّ بعيد في مبدأ الشرف الذي يلتزم بجوهره كل البدو.¹

ولاشك أن هذه العناصر قد طبعت الشخصيات المقيمة بهذه المنطقة بطابعها، و«تشكّل الظفرة وواحة ليوا أراضي حلف بني ياس، وهو الحلف الذي ينتمي إليها الشيخ زايد»². وثمة وثائق لشهود عيان توصّف هذه المنطقة في بداية القرن التاسع عشر، وتصف أنماط الحياة فيها، ومنها ما دوّنه ديفيد سيتون المقيم البريطاني في مسقط؛ إذ يقول عنها:

«إلى الجنوب من البدع تقع الظفرة، وهي أراضي [حلف] بني ياس الذي يتألف من نحو ألف رجل... وهي صحراوية باستثناء بعض الجزر (الواحات) المتناثرة في الرمال والتي يرعون قطعانها فيها، وأمام ساحلهم تقع ثلاث جزر هي أبوظبي وزركوه، بينما اسم الثالثة غير معروف، أما الأولى فليس فيها سوى الرمال، وفيها بئر ماء عذب يلجأ إليها أبناء حلف بني ياس حين يشتدّ الحر وتعرض أراضيهم للجفاف، وهذه الجزيرة قريبة من اليابسة، وأما جزيرة زركوه فهي جزيرة صغيرة، وفيها أطلال حصن أوروبي وآثار عمران قديم»³.

1 انظر: مركز الإمارات للدراسات، بقوة الاتحاد، صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، القائد والدولة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبوظبي، ط8، 2018، ص 27.

2 السابق، ص 28.

3 مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، بقوة الاتحاد، ص 28-29.

والحدود الجغرافية للمنطقة التي عاش بها الشيخ زايد الكبير، كما يظهر من وصف جي. بي. كيلبي، مكونة من جزأين، بقعة ساحلية بها سلسلة من الجزر، تمتد من محاذاة ساحل قطر نحو الشرق باتجاه أبوظبي، ومن ثم تتجه نحو الشمال الشرقي لتمتد إلى ما وراء رأس الخيمة، أما الصحراء الواقعة بعيداً عن الساحل فتغلب عليها الكثبان الرملية التي يكبر حجمها كلما اتجهنا نحو الربع الخالي، وتضم المنطقة واحتين كبيرتين نسبياً، هما واحة ليوا التي تقع وسط الصحراء، وواحة البريمي (العين) عند حافتها الشرقية، بالقرب جبال الحجر الغربي¹.

تقع مشيخة أبوظبي التي حكمها الشيخ زايد الأول على الساحل الجنوبي للخليج العربي، في الجزء الجنوبي الشرقي من شبه الجزيرة العربية، تحدّها من الشرق مشيخة دبي وجزء من مشيخة الشارقة، وتحدها من الجنوب الشرقي عمان، ومن الجنوب والغرب الربع الخالي، في حين يحدها من الشمال الخليج العربي².

• الحياة السياسية (اختيار الشيخ زايد حاكماً لأبوظبي)

جمع الشيخ زايد عراقة النسب والانتماء ونبيل المنشأ، فهو ينتمي من جهة أبيه إلى سلالة الفرع النهياني من عائلة البوفلاح زعماء حلف بني ياس الذي كان له صولاته وجولاته على الجهة الجنوبية من منطقة الخليج العربي، استدعاه أهالي أبوظبي ليتولى الحكم خلفاً لابن عمه الشيخ سعيد

1 مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، بقوة الاتحاد، ص 29.

2 حمدي، تمام، موسوعة زايد، الكتاب الأول، الناشر المؤلف، أبوظبي، 1992، ص 128، العميمي، سلطان، شعراء آل نهيان، ص 44.

بن طحنون عام 1855 حيث أجمع عليه أعيان ووجهاء حلف بني ياس، وتم اختيار أخيه الشيخ ذياب بن خليفة مساعدًا له.

ويظهر موقف الشيخ نفسه من اختياره للحكم من خلال رسالة أرسلها للمقيم السياسي البريطاني في الخليج كامبل ذكر فيها:

«أخبركم أنني لم أكن موجودًا وقت حادثة الشيخ سعيد بن طحنون ومغادرته أبوظبي، ولم أعلم تمامًا عن أسباب مغادرته أو نيته إلا بعد عدة أيام حين جاء بعض من [حلف] بني ياس يطلبون مني الانضمام إليهم، وقد رفضت عرضهم مبدئيًا، ولكن عندما رأيت جميع الأطراف غاضبين من رفضي لدرجة أنه ما لم أذعن لمطلبهم فسوف يحدث تمرّد يأتي على الأرواح والممتلكات، فقبلت وقدمت أبوظبي رغبة في احتواء الوضع المضطرب في [الحلف] وجمع كلمتهم ولم شملهم»¹.

ففي الرسالة ما يشير إلى عزوف الشيخ زايد الكبير في بادئ الأمر عن تولي الحكم، ولاشك أن إصرار الناس عليه يدلّ على أنه كان يتمتع بصفات قيادية تؤهله لذلك، كما أن قبوله يشير إلى رغبة في رأب الصدع بين الحلف، ومنع اقتتاله، ولعل نزوعه للسلم وتحقيق الأمن يتأكد مما ورد في نهاية رسالته للمقيم البريطاني التي يؤكد فيها أنه ملتزم بمعاهدة الهدنة البحرية الدائمة التي تم بموجبها التعهد من قبل شيوخ المنطقة بعدم اللجوء إلى الاشتباكات البحرية أثناء موسم الغوص، وبذلك استطاع

1 الوثيقة محفوظة في الأرشيف والمكتبة الوطنية في أبوظبي، وانظر: القحطاني، الشيخ زايد، ص 66.

الشيخ زايد القضاء على مرحلة الفوضى والاضطراب التي مرتّ بها أبوظبي قبل توليه حكمها.¹

وقد اتسم حكمه بالشجاعة والدبلوماسية في إدارة شؤون الدولة، فقد فهم المتغيرات السياسية وعلاقات القوى السائدة، واستطاع أن يترك بصماته في تاريخ الإمارات السياسي والاقتصادي والاجتماعي، فقد شهدت فترة حكمه ازدهارًا ملحوظًا، ونعمت أبوظبي بالأمان، وصارت إمارة مهابة الجانب؛ إذ وصلت إلى قمة سلطتها وسيطرتها السياسية والعسكرية على امتداد الساحل المتصالح، فاجتمعت القبائل حوله تسانده بفضل مجموعة من المصاهرات والتحالفات السياسية التي ارتبط بها مع شيوخ الإمارات ومع القوى المجاورة وقبائل ساحل عمان.²

وتعد فترة السنوات العشر الأولى من حكمه فترة بناء لمشيخته، وإرساء لقواعد سياسته فيها،³ وقد وصلت مشيخة أبوظبي في عهده إلى أقصى اتساعها ونفوذها،⁴ وقد تمثلت سياسته بالحزم والمرونة في آنٍ معاً، من خلال سياسة التعاون والتفاهم مع الخصوم التي حققت نتائج مثمرة بتهدئة الأوضاع.⁵

-
- 1 انظر: القاسمي، دولة الإمارات، ص 71. وانظر: حنظل، المفصل، ج 2، ص 530-531.
 - 2 انظر: المركز الثقافي الإعلامي للشيخ سلطان بن زايد آل نهيان، الشيخ زايد بن خليفة بن شخبوط آل نهيان حاكم أبوظبي الأسبق (1855-1909)، مؤسسة سلطان بن زايد، أبوظبي، 2009، ص 18-19.
 - 3 الصايغ، فاطمة، الإمارات العربية المتحدة من القبيلة إلى الدولة، دار الكتاب الجامعي، العين، 2000م، ص 177.
 - 4 انظر: حنظل، المفصل، ج 2، ص 573.
 - 5 لمراجعة المشاكل الداخلية التي واجهت الشيخ زايد الكبير، انظر: القحطاني، الشيخ زايد، ص 75 وما بعدها.

فتعاون الشيخ زايد مع أسرة آل مكتوم في دبي وجمعته معهم علاقة ودية، كما اعترف القواسم بنفوذه وتخلوا نهائياً عن منافستهم التقليدية لأبوظبي بعد انتصار الشيخ زايد عليهم في موقعة الطرفة عام 1868.¹

وقد نقل الرحالة الألماني بورخارت الصورة الإيجابية للحياة من خلال زيارته لأبوظبي، ولقائه الشيخ زايد الأول عام 1904؛ إذ يقول إن الحكومة كانت تتصف بالأبوية، وأن أرواح شعب أبوظبي وممتلكاته كانت مؤمنة بدرجة لا تقارن بالأوضاع في مناطق أخرى.²

• الحياة الاقتصادية

انتعشت الحياة الاقتصادية في عهد زايد الكبير، نتيجة الاستقرار الذي شهده عهده، فقد ازدهرت التجارة البرية والبحرية، وتحسّن الوضع المعيشي للسكان، ووجه عنايته إلى الزراعة التي شهدت انتعاشاً ملموساً، وانتشرت صناعة السفن، وازدهرت تجارة اللؤلؤ، ووصل التبادل التجاري بين أبوظبي والخارج إلى ذروته؛ حيث شمل بلاد الهند وإندونيسيا وسواحل إفريقيا، ولكن هذه التجارة بدأت بالتراجع إلى أن توقفت عام 1862، بعد أن أدخلت شركة الهند البريطانية السفن البخارية في الملاحة البحرية، فتأثرت صناعة بناء السفن في أبوظبي التي كانت إحدى أهم المهن لسكانها، فاقصر عمل سكان تلك المنطقة على صيد اللؤلؤ. وقد اشتهرت أبوظبي في تلك الفترة بأنها من أهم مراكز صيد اللؤلؤ وتجارته في منطقة الخليج؛ فقد

1 انظر: المركز الثقافي الإعلامي، الشيخ زايد، ص 27.

2 السابق، ص 26.

كانت جزيرتا دما وأبوظبي من أغنى أحواض محار اللؤلؤ في المنطقة، ومن هنا اعتمد دخل أبوظبي بشكل أساسي على حصيلة الضرائب على قوارب جمع اللؤلؤ. من هنا كانت مهنة الغوص هي حرفة الناس الرئيسية، وقد قُدِّر عدد العاملين فيها من أهل أبوظبي في ذلك الوقت بعشرين بالمئة من عدد الغواصين في الخليج كله.¹ ومن هنا كانت جزيرة دما في مشيخة أبوظبي مركز التداول الرئيسي لبيع اللؤلؤ، وكان يُعقد فيها سوق تجارية لهذا الغرض يأتها الناس من أماكن مختلفة. وقد امتلكت أبوظبي أكبر أسطول بحري على امتداد الساحل المهادن؛ إذ بلغ 410 قارب للغوص يعمل عليها 5570 بحارًا، حسب إحصاء أجري في عام 1907.²

ولصيد اللؤلؤ أربعة مواسم متتابعة تبدأ من شهر أبريل وتنتهي في آخر شهر سبتمبر، ولكل موسم منها تسميته؛ فتُسمَّى الفترة الأولى (المينا)، والفترة الثانية تُسمَّى (الصيفية)، والفترة الثالثة تُسمَّى (الغوص الكبير)، وتطلق على الفترة الرابعة تسمية (الردة).³

1 انظر: المركز الثقافي الإعلامي، الشيخ زايد، ص 43-44.

2 انظر: السابق، ص 46. وقدم هذه الإحصائية البريطاني لوريمر، انظر: لوريمر، ج، ج، دليل الخليج، القسم الجغرافي، إعداد قسم الترجمة في مكتب أمير دولة قطر، مطابع العروبة، قطر، 1967، 2/ 522 وانظر:

Mann. Clarens. *Abu Dhabi: Birth of an oil sheikhdom*, Khayates, Beirut 1964, p 82

3 انظر: لوريمر، ج، ج، دليل الخليج، القسم التاريخي، إعداد قسم الترجمة في مكتب أمير دولة قطر، مطابع العروبة، قطر، 1967، 6/ 3204. وانظر: العتيبة، مانع سعيد، اقتصاديات أبوظبي قديمًا وحديثًا، مطبعة التجارة والصناعة، بيروت، 1973، ص 20 - 21.

وكانت هذه المهنة منظمّة في أبوظبي؛ إذ يقوم على تمويلها جماعة من كبار التجار العرب والهنود تُسمى (المسقمين)، الذين يمولون سفن الغوص على أن يردّ أصحاب السفن هذا الدين عند انتهاء الموسم.¹ ولهذه المهنة موانٍ كثيرة في أبوظبي، هي مواني جزيرة دلمّا، وجزيرة أبوظبي، وجزيرة غاغة.² وتأتي تجارة السمك ومشتقاته في المرتبة الثانية بعد تجارة اللؤلؤ من حيث الأهمية الاقتصادية، وقد قُدّر عدد سفن الصيد في تلك الفترة بحوالي 810 زورقًا، يعمل عليها 4050 بحارًا، وقد كانت أبوظبي غنية بثروتها السمكية لطول ساحلها، إضافة إلى دفئه طيلة فصول السنة، ولضعف التيارات المائية؛ لأن الخليج شبه بحيرة مغلقة.³

ثم تأتي الزراعة، فقد ازدادت في عهد الشيخ زايد المساحات الخضراء في أبوظبي، واشتغل السكان بزراعة النخيل في البريمي والعين وليوا، وقد امتازت هذه المناطق بتربتها الزراعية ومياها العذبة، وفي عام 1902 كانت قرى البريمي تضم ما لا يقل عن ستين ألف شجرة نخيل، وقُدّرت في واحات البريمي بما لا يقل عن ثلاثة وثلاثين ألف شجرة، وكان المحصول الرئيسي هو التمر.⁴ يضاف إليه بعض المحاصيل الثانوية كأشجار الفواكه والرمان والتين وتلك المتعلقة بغذاء المواشي كالبرسيم وغيرها.⁵

1 انظر: لوريمر، دليل الخليج، 6/ 3202، وانظر: العتيبة، اقتصاديات أبوظبي، ص 26-27.

2 انظر: العتيبة، اقتصاديات أبوظبي، ص 22.

3 انظر: المركز الثقافي الإعلامي، الشيخ زايد، ص 46، وانظر: العتيبة، اقتصاديات أبوظبي، ص 39.

4 انظر: السابق، ص 50.

5 انظر: العتيبة، اقتصاديات أبوظبي، ص 59.

واختص البدو من سگان المشيخة بمهنة الرعي، حيث شجع وجود المراعي الموسمية على تربية المواشي بأنواعها المختلفة، وكانت أهم المراعي واقعة بالقرب من واحة العين، وفي المناطق المحيطة بحواضر ليوا في الإقليم الغربي لمشيخة أبوظبي¹، ويغلب على الرعاة طابع التنقل، وأغلبهم من البدو الرّحل، وهؤلاء عادة يرعون الإبل والأغنام والماعز، وأما سگان المناطق الزراعية، فيرعون الأغنام²، وتعدّ الإبل من أهم الحيوانات في أبوظبي، فهي الغذاء الرئيسي من ناحية، كما أنها وسيلة تنقل مهمة، وكانت كل قبيلة تسم جمالها بوسم خاص يطبع على الخاصرة أو الصدر، وكانت الجمال تباع في أسواق مخصصة لها³، ولدعم مهنة الزراعة ومهنة الرعي فقد تم في عهد زايد الكبير حفر فلج (الجاهلي) المندثر⁴.

بقي أن نشير إلى مصدر من مصادر الدخل المهمة في هذه الفترة، وهو دخل الزكاة، حيث كانت تجمع من أصحاب الإبل والماشية من قبل موظفين يسمون (المزكية)، ثم يتولى الحاكم بنفسه أمر توزيعها على المحتاجين وفق ما تنص عليه الشريعة الإسلامية⁵.

1 انظر: المركز الثقافي الإعلامي، الشيخ زايد، ص 51.

2 انظر: العتيبة، اقتصاديات أبوظبي، ص 49.

3 الفارس، محمد، الأوضاع الاقتصادية في إمارات الساحل الإمارات العربية المتحدة حاليًا، (1862-1965)، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبوظبي، 2000م، ص 85.

4 انظر: المركز الثقافي الإعلامي، الشيخ زايد، ص 51.

5 انظر: الطابور، عبد الله علي، الإمارات في ذاكرة أبنائها، الحياة الاقتصادية، دار القراءة للجميع، دبي، 1990م، 2 / 405.

• الحياة الإدارية

غالبًا ما كان يتم اختيار الحاكم من قبل مجلس من كبار حلف بني ياس، وكان الشيخ يتمتع بعد توليه الحكم بسلطات واسعة تؤهله لإدارة مشيخته،¹ وقد اشتملت مشيخة أبوظبي مناطق مختلفة تضمّنت جزيرة أبوظبي، وهي العاصمة السياسية، والظفرة (المنطقة الغربية)، والعين (المنطقة الشرقية)، وجزيرة دما (مركز تجارة اللؤلؤ)، والعديد (على الحدود مع قطر)، وكان يشرف عليها في جميع شؤونها بنفسه، ومن خلال مجموعة من معاونين والولاة والقضاة،² فقد أشرك أخاه ذياب بن خليفة في إدارة الحكم، وكان يسند إليه بعض أمور المشيخة، ويتولى مهامه في غيابه، كما كان ينوب عنه في إدارة شؤون جزيرة دما والجزر المجاورة لها، وحل النزاعات فيها، وبعدها أسندت هذه المهمة إلى ابنه الشيخ سلطان بن زايد. وهنا لا بد من الإشارة إلى السلطة التي كان يمارسها الشيخ زايد على شيوخ بني ياس لم تكن سلطة استبدادية، فعلى الرغم من امتلاكه السلطة العليا، إلا فإنه كان لكل قبيلة شيخها الذي يمارس السلطة وفق أسلوبه القبلي، ويدين بالولاء للشيخ زايد، وكانت القضايا المهمة تدار بانعقاد مجلس كبير للشيوخ، لاتخاذ القرارات.³

1 انظر: لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، 2 / 1167.

2 انظر: المركز الثقافي الإعلامي، الشيخ زايد، ص 19.

3 المركز الثقافي الإعلامي، الشيخ زايد، ص 20.

وتتوزع أهم الوظائف الإدارية في المشيخة على النحو الآتي:

1. نائب الشيخ: وقد اعتمد الشيخ زايد في هذه المهمة على أخيه الشيخ ذياب، ثم بعد ذلك على ابنه الأكبر الشيخ خليفة بن زايد، وقد اعتمد عليه في المهمات السياسية، وفي حل بعض النزاعات بين القبائل.¹
2. وكلاء الشيخ في المناطق التابعة له، هم غالبًا شيوخ القبائل، ومهمتهم الأساسية حفظ الأمن وحل النزاعات التي تنشأ بين أفراد قبائلهم.²
3. الكُتّاب الذين يعملون في دواوين خاصة في قصر الحكم، ويسمّون في أبوظبي: (الكيوتوب)، وهم: كيوتوب بيت المال، ويشرف على ما يرد إلى الخزينة من أموال وما يخرج منها، وكيوتوب المطارزية؛ أي الحرس الخاص بالشيخ، والكيوتوب الخاص، وهو صاحب سره الخاص الذي يكتب رسائل الشيخ إلى الآخرين.³
4. القضاة، ويعينهم الشيخ زايد بنفسه.
5. جامعو الزكاة، ويسمون المزكية، مهمتهم جمع الزكاة من مختلف المناطق التابعة للشيخ.⁴
6. الخدم الذين يُستعان بهم للغوص وأشغال البحر.⁵

1 انظر: القحطاني، الشيخ زايد، ص 85.

2 السابق.

3 السابق.

4 انظر: القحطاني، الشيخ زايد، ص 86.

5 السابق، ص 86. وحنظل، الشيخ زايد، ص 2.

ويُضاف إلى ذلك اعتماد الشيخ زايد الكبير على مجموعة من المستشارين من الرجال المخلصين، ومن أبرز هؤلاء خاله الشيخ عبد الله السويدي، وابن عمه خليفة بن هلال بن شخبوط، ومن المستشارين أحمد بن هلال الظاهري، ومحمد بن شيبان الياسي، وسالم بن فارس الياسي، وغيرهم كثير.¹

• التعليم والثقافة

أرسى الشيخ زايد دعائم التعليم شبه النظامي، وكان العلماء دومًا محلّ ترحيب في مجلسه، فقد أحسن وفادتهم وشجعهم على الإقامة في أبوظبي، وممارسة التعليم فيها، وقدم لهم التسهيلات اللازمة، وسمح التواصل مع المناطق المجاورة والتفاعل معها ثقافيًا، نتيجة الاستقرار السياسي، بالاطلاع على المجلات والصحف التي كان يحضرها التجار من العراق وبومباي، وكانت تعقد بعض اللقاءات التي تشبع الندوات الثقافية في مجلس الوجيه خلف العتيبة، كما كان مجلس الشيخ زايد ملتقى للشعراء والتجار وغيرهم من الوجهاء. ولكن لا بدّ من الإشارة إلى كثير من الطلاب الذين التحقوا بمقاعد الدراسة أو حلقات العلم في المساجد لم ينتظموا بها بسبب ظروف الحياة التي كانت تجبرهم على ترك الدراسة في مواسم الغوص، أو التجارة بحثًا عن الرزق والمعيشة.²

اعتمد التعليم الطابع التقليدي الذي كان سائدًا في تلك الفترة القائم على نظام الكتاتيب الذي يقوم عليه فئة من المطاوعة الذين يشرفون على العملية التعليمية، ويضعون مناهجها وطرق تدريسها، وكان التعليم فيها

1 القاسمي، دولة الإمارات، ص 74.

2 انظر: المركز الثقافي الإعلامي، الشيخ زايد، ص 53-54.

يركز على القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن، وتدرّس بعض أمور الدين، ولم يكن هناك أماكن محددة للدراسة، بل كانت تعقد في الغالب في بيوت المطاوعة والمطاوعات، أو يستأجر المطوع مكاناً خاصاً يدرس فيه، ومن أشهر من مارس هذه المهنة في أبوظبي الشيخ محمد بن أحمد بن سلطان بن مجرن المري الذي قدم من الشارقة بناء على طلب الشيخ زايد بن خليفة عام 1901؛ لتقديم خدماته في القضاء والإمامة والخطابة والتعليم، فقد خدماته الجليلة في وقت شحّت فيه مصادر العلم.¹

وكانت أول مدرسة أهلية شبه نظامية هي مدرسة العتيبة، ظهرت في مشيخة أبوظبي، وعُرفت أيضاً بمدرسة (ابن خلف)، أسسها الوجيه تاجر اللؤلؤ خلف العتيبة عام 1903، مع وصول الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل مبارك، وعمّه الشيخ راشد بن عبد اللطيف بن مبارك، وبعض المشايخ من أسرته من دبي بدعوة كريمة من الشيخ زايد بن خليفة، فقد ساهم وجودهم بتحقيق نهضة تعليمية لمواطني الإمارة، فأُسست المدرسة في منطقة (الظهر).² وقد كانت تلك المدرسة من المدارس التي أخرجت الصفوة الأولى المتعلّمة من أبناء جيل القرن العشرين الذين تأثروا بالمدارس الفكرية والسياسية التي كانت موجودة في القاهرة ودمشق وبغداد، فألّفوا كتباً في الفقه والتاريخ والجغرافيا والشعر وغيرها.³

1 انظر: المركز الثقافي الإعلامي، الشيخ زايد، ص 54-55.

2 المركز الثقافي الإعلامي، الشيخ زايد، ص 57-68.

3 الصايغ، فاطمة، الإمارات العربية المتحدة، ص 180. القحطاني، الشيخ زايد، ص 105.

ثالثاً: المدونة التطبيقية (رسائل زايد الأول)

تسهم الرسائل المتبادلة بين شخصين أو أكثر في عصر ما في نقل صورة حيّة وصادقة عن ذلك العصر، كما أنها تعبر عن واقع هذا المجتمع من جوانبه المختلفة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ولعل مما يزيد في قيمة تلك الرسائل أن تكون صادرة عن شخصيات قادت تلك المرحلة بحنكة ودراية، مما يجعلها وثائق تاريخية تمدّ المؤرخ بصورة واضحة عن الحياة في تلك الفترة من الزمن.

وتكمن أهمية الرسائل التي ندرسها في هذا البحث، في كونها تقدّم صورة عن بواكير تاريخ دولة الإمارات الحديث، وهي جملة من الرسائل التي أرسلها الشيخ زايد بن خليفة حاكم أبوظبي من عام 1855 إلى عام 1909 إلى معاونيه وأعيان المجتمع في تلك الفترة في مشيخته وخارجها، وقد اتسمت تلك الرسائل بالصدق والعفوية والبعد عن التصنع في اللغة والأسلوب، كما أنها تُقدّم صورة عن الحياة والأعراف والتقاليد التي كانت سائدة في ذلك العصر.

وقد جمع هذه الرسائل وقام بتحقيقها الباحث سعيد بن محمد بن كراز المهيري، وصدرت عن الأرشيف الوطني (الأرشيف والمكتبة الوطنية) في أبوظبي في طبعتها الثانية عام 2018 تحت عنوان: "رسائل من عصر زايد بن خليفة". وقد اشتمل الكتاب بين دفتيه على بابين كبيرين، جاء الباب الأول في ثلاثة فصول احتوت الرسائل التي خطها الشيخ زايد الكبير رحمه الله بخطه إلى أبنائه ومعاونيه وبعض أعيان القبائل، فيما اشتمل الباب الثاني على أربعة فصول تمثل الرسائل الواردة إلى الشيخ زايد بن خليفة من شيوخ القبائل والأعيان ومعاونيه.

وسيكون ميدان البحث التطبيقي مقتصرًا على دراسة رسائل الشيخ زايد بن خليفة فقط التي احتواها الباب الأول، وقد بلغ عددها خمسين رسالة، مع إجراء بعض المقارنات والموازنات مع الرسائل التي أرسلها غيره له، كلما دعت الحاجة إلى ذلك.

وتبرز أهمية هذه الرسائل من جوانب عدة، يمكن تلخيصها بما يلي:

1. تقدم لنا الرسائل صورة عن تلك الشخصيات التي صنعت تاريخ تلك الفترة وحكمتها وتوازنها في إدارة أمور البلاد.

2. تُبرز الرسائل صورة الحياة الاجتماعية في تلك الفترة؛ فهي تقدّم صورة عن حياة المواطن اليومية ومعاملاته اليومية والشخصية وقتئذٍ.

3. تقدم الرسائل صورة عن سياسية الشيخ زايد الأول رحمه الله تعالى في تدبير شؤون الدولة بحنكة وخبرة، مما كان له أثر كبير في ترسيخ دعائم حكمه، فكانت تلك السياسة القدوة والمثل لمن جاء بعده من أنجاله الكرام.

4. أظهرت الرسائل صورة الحاكم المُحب لشعبه البعيد عن الاستبداد، فكان ذلك سببًا جوهريًا في جمع القلوب المتنافرة، وجعلهم يلتفون حوله، ففضى على أسباب الفرقة، وأسس لثقافة الاجتماع والاتحاد.

5. أظهرت الرسائل علاقة الشيخ زايد بن خليفة بمعاونه، وهذا ما برز بوضوح في رسائله إلى مستشاره الشيخ القاضي الجليل أحمد بن محمد ابن هلال الظاهري الذي كان حاكمًا لمنطقة الجيمي، ونائبًا للشيخ زايد

في المنطقة الشرقية لإمارة أبوظبي، فقد كان لهذا الرجل مهمات جليلة في ترسيخ دعائم حكم الشيخ زايد، بما امتاز من حكمة وإخلاص وسياسة مع البلاد المجاورة، ولاسيّما عُمان.¹

6. تعدّ الرسائل وثائق لغوية؛ إذ تقدم لنا صورة عن لغة الخطاب في تلك الفترة، وعن أسلوبية بنائه، وتداخل اللغة الرسمية فيه مع اللغة العامية في تلك الفترة، مما جعل لغته قريبة المتناول واضحة بعيدة عن التعقيد، وبناء على ذلك فإن رصد ملامحها وخصائصها هو كشف لبنية اللغة التي كانت سائدة في تلك المرحلة التاريخية المهمة من تاريخ هذه البلاد.

رابعاً: البنية الفنية والمضمونية لرسائل زايد

الرسالة مشتقة من مادة رسل، فيقال: «راسله مراسلة، فهو مراسل ورسيل، وأرسله في رسالة، فهو مرسل، ورُسُول، والجمع رُسُل، بتسكين السين وضمها، والرسول أيضاً الرسالة».²

وترتبط الرسالة بالإرسال، فقد جاء في معجم أساس البلاغة: «راسلَهُ في كذا، وبينهما مكاتبات ومُراسلات، وتراسلُوا، وأرسلته برسالة وبرُسُول، وأرسلتُ إليه أن افعل كذا وأرسلَ الله في الأمم رُسُلاً».³ فهي تنطوي على معنى التوجيه، وهي لفظ دال على «كل كلام يُرسل من بعيد».⁴

1 انظر: ابن كراز المهيري، رسائل، ص 12.

2 الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، الدار النموذجية، بيروت، ط5، 1999، (رسل).

3 الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، (رسل).

4 القيسي، فايز عبد النبي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، 1989، ص 77.

أما في الاصطلاح، فالرسالة كلُّ ما يُرسل، مشافهة أو كتابة، يبلغها الرسول إلى من تُرسل إليه، وتختلف طولاً وقصرًا حسب موضوعها. وهي فن يقوم «على خطاب يوجّهه شخص إلى شخص آخر، أو يُوجّهه مقام رسمي إلى مقام رسمي آخر»¹.

لا شكّ أن فن الرسائل هو من الفنون القديمة، فنجدها في مختلف العصور، وهي «تسمية واسعة لأي نصّ موجه إلى فرد أو جماعة»². وقد تعدّدت تصنيفات الرسائل، ولكنها في المجمل تندرج ضمن الأنواع الآتية:

- الرسائل الديوانية: هي التي تصدر عن ديوان الخليفة، أو الأمير، أو الحاكم، وتعالج أمور إدارة البلاد، والتنظيم الداخلي الذي يتعلّق بالحياة العامة، وتولية الولاة والوصايا في تدبير السياسة والحكم، وأغراض أخرى عديدة تندرج في سياق ذلك، ومنها الأمور الاجتماعية³، وهذا النمط من الرسائل يندرج ضمن ما يُسمى الآن بالرسائل الرسمية، أو الإدارية.
- الرسائل الإخوانية: هي الرسائل التي تصور عواطف كتّابها ومشاعرهم الخاصة، وتدور حول الجانب الإنساني، وما يرتبط به من صداقة وأخوة

1 غالب، حسين، بيان العرب الجديد، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1971، ص 181.

2 الجوهري، أحمد بن عبد العزيز، الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، مطبعة بولاق، القاهرة، ط2، 1957، (رسل).

3 انظر: قط، مصطفى البشير، مفهوم النثر الفني وأجناسه في النقد، دار اليازوري، سلطنة عمان، 2009، ص 123.

وعواطف نبيلة، وصدّاقة والعادات الاجتماعية كتبادل الهدايا من كتب
وخيول وسيوف وغيرها.¹

• الرسائل الأدبية: هي رسائل تدرج في باب الأدب وتعالج قضية واحدة
من قضاياها، لذلك فإن هذا النوع من الرسائل يدخل في باب التأليف
الأدبي، ولا يدخل في باب الترسّل، ومن نماذجه: رسالة الغفران لأبي
العلاء المعري، والرسالة الهزلية لابن زيدون، وغيرهما.²

ولو نظرنا في رسائل الشيخ زايد الأول التي ندرسها، لوجدناها تدرج
تحت نوع الرسائل الديوانية، أو الرسائل الإدارية، فهي تُعنى بشؤون الحكم
وما يتعلق بقضايا الدولة وحياة الناس، من دون أن تغفل الإشارة إلى
معالجتها بعض قضايا الناس الاجتماعية.

1 انظر: بوصوري، ناصر، فن الترسّل في العهد الرستمي، مقارنة أسلوبية، (رسالة ماجستير
غير منشورة)، جامعة ورقلة، 2007، ص38 وما بعدها.

2 انظر: عيد، يوسف، دفاتر أندلسية، مؤسسة ناشرون، طرابلس، 2006، ص 539.

تقوم الهيكلية العامة للرسائل المدروسة على بنائية واحدة تتألف من العناصر الآتية:

1. البسملة
2. تحديد المرسل
3. تحديد المرسل إليه
4. ذكر نعوت المرسل إليه
5. الدعاء والسلام
6. نص الرسالة (المضمون)
7. الخاتمة (السلام)، ثم تاريخ الرسالة بالهجرية، وهو ما يبيّنه النموذج الآتي:¹

1 ابن كراز المهبيري، رسائل، ص 27.

بسم الله الرحمن الرحيم

من زايد بن خليفة

إلى جناب الأجل المكرم الأحشم الولد العزيز الشيخ خليفة بن زايد

سلّمه الله تعالى ورعاه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، والدك يحمد إليك الله بخير، لا زلت في أتمّ الخير، فإن سألت أخبارنا طيبة والأحوال من فضل الله جميلة، ولا زاد إلا ما به مسرة الجميع، وأخبارنا تجدها في كتاب أحمد بن هلال، كتابك الشريف وصل، وما ذكرته صار عند والدك معلوم¹، والصلح الذي عطيته² لحبوت الجنبسي تمام، كل غرض أم حاجة الإشارة³.

سلّم على إخوتك الأولاد سعيد وصقر وسلطان ومحمد وأنت سالم والسلام.

في 13 رجب سنة 1324 هـ

وقد تكرر هذا البناء في رسائل المدونة المدروسة جميعها، ولعل المسوغ في ذلك أن الخطابات ذات الطبيعة السياسية، تتسم بذلك النوع من الانضباط الشكلي السائد في صياغة الرسائل والكتب الرسمية، كما أنها

1 معلومًا

2 أعطيته.

3 لازمة تكرر في آخر الرسائل وتعني: إذا استجبت حاجة، فعليك الإشارة إليها وإعلامنا بها.

في الوقت ذاته، تقدّم صورة عن الشكل الرسمي لبناء الرسالة في المرحلة التاريخية التي كتبت فيها.

وقد اتسم البناء العام للرسائل بسمات مشتركة، أبرزها:

تجريد اسم المرسل من الألقاب، فالعبارة المفتاحية الأولى في الرسائل جميعها (من زايد بن خليفة)، وهي عبارة تحمل في طياتها دلالات عدة، أولها تواضع المرسل، فلغة الرسالة ليست استعلائية دالة على أنها صادرة من حاكم، وهذا ما بات سمة رسمية في لغة الخطابات الصادرة على شكل قوانين، أو مراسيم، أو أوامر، التي تقتضي تحديد هوية مُصدرها وموقعه في سدة الحكم، كما تظهر كذلك في الرسائل المتبادلة بين أصحاب المناصب في الدولة، بحسب سلم التراتب السياسي والوظيفي. وثاني الدلالات انحياز لغة الرسائل على إسباغ طابع الاحترام على المرسل إليه عبر إسباغ النعوت المتعددة عليه، مهما اختلف موقعه. وثالث الدلالات بروز الجانب الإنساني في المخاطبة، فالتجرد من اللقب يوحي بعلاقة قريبة اجتماعيًا، وإنسانيًا، وتواصلًا، وهي أجدى في العمل السياسي من الصيغة المدججة بالألقاب التي تحوّل الخطاب من صيغته الإنسانية الاجتماعية إلى صيغة رسمية جامدة.

- بروز الطابع الإسلامي، فجميع الرسائل تبدأ بالبسملة، كما أنها تشتمل على عبارة دعائية موجّهة للمرسل إليه، تتموقع بعد ذكر اسم المرسل إليه، وهو المخاطب بالرسالة.

• تأثر السبك المعجمي على الصعيد اللغوي، مفرداتٍ وجمالاً، باللهجة العامية المنتشرة وقتئذٍ، سواء على صعيد بنية الكلمة الصرفية، أو على صعيد بناء الجملة؛ فنلمح تداخل الصياغة الفصيحة مع الصياغة العامية.

أما القضايا التي عالجتها الرسائل، فهي تندرج ضمن الأنواع الآتية:

• الخطاب الإداري الإصلاحي، وهو الخطاب الذي يمثل توجه الشيخ زايد الأول في معالجة الخلافات بين القبائل، والنزوع نحو إصلاح ذات البين من خلال الخطاب السلمي الذي يظهر في رسائله، ومنه رسالته إلى ابنه الشيخ خليفة بن زايد ومستشاره أحمد بن هلال، ومما جاء في هذه الرسالة:¹

... بحال مادية بني قتب وبني كعب مع جناب الولد الشيخ سلطان بن محمد، قد وصل إليكم الشيخ سالم بن أدين ومحمد بن علي بن هويدن، وأنهم ممثلين²، بما صدر منّا إليهم من الأمر، وقد واثقوكم على ذلك فلا بأس، كما معلومكم بنا إن مرادنا صلاح ذات البين بين الجميع.

• الخطاب الإداري الذي يعالج قضايا تفصيلية في حياة الناس، وهو يمثل معالجة المشكلات التي يحصل فيها خلاف قضائي، كما نلاحظ في رسالته الموجهة إلى مستشاره أحمد بن هلال، ومما جاء فيها:³

1 ابن كراز المهيري، رسائل، ص 31.

2 وهما ممثلان.

3 ابن كراز المهيري، رسائل، ص 37.

... ولا يخفاك ناقة ضايعة على خليفة بن مانع وبالأمس رأوها عند ولد شويبي العرج ورادوا يحجرونها ورخصناها يظهر عليها الولد¹، والناقة يزعمون أنها مشراية مع سعيد بن روضة، المراد منك تحجر على الناقة ما تتغير إلى أن يوضح أمرها، لتعلم.

• الخطاب الإداري الذي يعالج قضية اجتماعية، كما نلحظ في رسالة الشيخ زايد الأول، إلى مستشاره أحمد بن هلال، ومما جاء فيها:²

... ولا يخفاك من طرف مصبّح بن راشد بلغنا أنه توفي، وأزّثوا³ في تركته، وله ثلاث خوات⁴ ما ورثوهنّ من تركته، المراد بما يحقّ لهنّ من تركة تقبضها، وهذه فتوى سيد محمد واصله، تشرف عليها وبه كفاية.

فالرسالة تمثل السياسة الإدارية في الحكم في عهد الشيخ زايد الأول المرتكزة على العدل المستمد من الشريعة الإسلامية في إحقاق الحقوق بالعدل إلى أصحابها، ووقف الظلم إن حصل في تطبيقها.

• الخطابات التي تُظهر في بعض الرسائل سياسة الشيخ زايد في فض الخلافات بين القبائل بالتنسيق مع حكام المنطقة، ومن ذلك ما جاء في الرسالة الموجهة إلى مستشاره أحمد بن هلال:⁵

1 المراد سمحنا له أن يمتطها.

2 ابن كراز المهيبي، رسائل، ص 43.

3 بمعنى قتمت بقسمة الإرث.

4 أخوات.

5 ابن كراز المهيبي، رسائل، 73.

... وبعد قد تقدّمت منّا إليكم كتب إن شاء الله وصلوكم وأشرفت على مضمونها، والذي نعرّفك من طرف المشايخ أولاد شامس. قد عرفناهم برجوع الذي خذوه جماعتهم من الباطنة¹، وكذلك عرفناهم بمنع جماعتهم عن البطش والتعدي في الباطنة وأملناهم² بالمعروف من طرف منافعهم الذي تخصّصهم من جناب السيد³، فالمراد منّك تبيّن لجناب السيد والوالي سليمان بن سويلم باتصال منافع آل بو شامس بحيث أنهم محسوبين⁴ على الله ثم علينا، إلا إذا كان جناب السيد فيصل بن تركي معذرنا منهم فلا بأس فيه، هذا ما لزم بيانه.

فالرسالة السابقة تقدم لنا صورة عن طريقة معالجة الخلافات المتداخلة مع حكومات الجوار، كما تقدم لنا صورة عن أسلوبية صياغة الرسائل في ذلك الزمان، وتداخل لغة الخطاب الرسمي باللهجة المحلية، وتأثرها بها في أسلوب الصياغة، وهو ما سنفصل القول فيه في الفصول التالية.

1 الباطنة: منطقة ساحلية في عُمان.

2 بمعنى رجونا منهم.

3 السيد هنا هو السيد فيصل سلطان عمان في ذلك الوقت.

4 محسوبون.

خامساً: خصائص فن الرسائل في عصرزايد (دراسة مقارنة)

نسعى في هذه الفقرة إلى استخلاص الخصائص العامة لفن الرسائل في عصرزايد من خلال مقارنة بنية الرسائل التي امتازت بها رسائل زايد كما لاحظنا في الفقرة السابقة، مع بنية الرسائل التي كتبها رجالات العصر في تلك الحقبة الزمنية بهدف تحديد الملامح العامة لفن الرسائل في تلك الحقبة، فقد احتوى كتاب: "رسائل من عصرزايد" في بابه الثاني جملة من الرسائل التي كتبها رجالات ذلك العصر، ومنها الرسائل الموجهة للشيخ زايد من شيوخ وأعيان القبائل، والرسائل الموجهة إلى شيوخ وأعيان القبائل من آخرين، والرسائل الموجهة إلى أحمد بن هلال من شيوخ وأعيان القبائل، وسنتوقف عند نموذج واحد من كل نوع من تلك الرسائل كي نستخلص السمات العامة لهذه الرسائل.

نماذج من الرسائل



المثال الأول:¹ من الشيخ مكتوم بن حشر² إلى الشيخ أحمد بن هلال:

بسم الله الرحمن الرحيم

من مكتوم بن حشر

إلى جناب الأكرم المكرّم الأحشم الأشيم الأجل الأكمل الأخ

الشيخ أحمد بن محمد بن هلال المحترم.

سَلِّمَهُ اللهُ تَعَالَى وَأَبْقَاهُ وَحَمَاهُ وَرَعَاهُ مِنْ جَمِيعِ الْمَكَارِهِ وَالْبَلِيَّاتِ، آمِينَ.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، محبّك من كرم الله بخير وعافية، لازلّت بهما ولا زاد عندنا من الأخبار مما هو يجب رفعه لجنابك سوى علم الخير ومسرة الخاطر، وكتابك الشريف وصل، وبما ذكرت صار عند محبّك معلوم³، عرفت من جهة دعوى محمد بن سعيد الطاير مع راشد بن حمد في النخل بالشرعية، لا بأس⁴، هذا واصلك محمد بن سعيد، تفضّل دبرهم للشرعية إن استجبت⁵ القاضي أو الشيخ غانم، وأنت في محلة النفس عن الجميع، ونحن ما ودّنا بالمكاثرة⁶

1 ابن كراز المهيري، رسائل، ص 215.

2 الشيخ مكتوم بن حشر بن مكتوم آل مكتوم حاكم دبي في الفترة (1894 1906)، انظر: السابق، ص 213.

3 هكذا في الأصل، والصواب: معلومًا.

4 أي: لا بأس.

5 أي: أحببت.

6 ما ودنا: لا نريد، كناية عن التطويل وكثرة الكلام.

في مثل هذه الأحوال إلا إذا كان الشيء مخالفاً¹ عن الإنصاف، مع حصول القاصف² الأنفس ما تقبله، وجنابك من فضل الله عارف. هذا ما لزم بيانه. مهها بدت لك حاجة الإشارة.

سَلِّمَ لَنَا عَلَى الْأَخِ هَلال، وكافة من تود ومنا الوالد ثاني، والأخ بطي، والأولاد سعيد وجمعة وإخوانهم، والجماعة يسلمون عليك، ودم سألماً والسلام.

في 15 من شهر ربيع الأول سنة 1319 هـ.

1 مخالفاً.

2 كناية عن الموت؛ أي الذي يقصف الأنفس.

المثال الثاني:¹ من حمد بن أحمد إلى الشيخ زايد الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

من أسير معروفك حمد بن أحمد

إلى جناب الشيخ الأجل المبجل الأجدد المحب الوالد زايد بن خليفة
بن شخبوط الفلاحي.

سَلِّمَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ آفَاتِ الزَّمَانِ وَطَوَارِقِ الْحَدَثَانِ إِنَّهُ سَبِحَانَهُ مَتَّانٌ.

أعلام بلداننا خير وسرور من فضل الله ولا نسأل إلا عنكم وعن
أحوالكم. أحال الله عنا وعنكم كل سوء ومكروه. كتابك الشريف
إلينا وصل بؤاك الله إلى شرف الدنيا والآخرة. وفيها ذكرت بوفاة، فهذه
عادة الأيام ولا تأبى تكافئك بحال عن أمره، فسعيد من تشهد شهادة
ولا حول ولا قوة إلا بالله جلّ وعلا يحيي ويميت وهو على كل شيء
قدير. وذكرت من جهة خادم ناصر بن حميد لما قدم علينا وعنده
البعير المذكور. ومكث عندنا شهر نراقب أحد يأتيه من جهة من
الجهات ولا أحد وصل ولا تعريف لنا من أحد. ومن بعد رجّعنا
عليه بعيره وباعه على علي بن معضد بن ثاني. وبعد جت دعه نفسه
وأخذ علينا شيء² من الأثاث وهرب من الدار، فإن ظفّرنا الله به

1 ابن كراز المهبيري، رسائل، ص 261.

2 أي سوّلت له نفسه فسرق متآ شيئاً.

لنبييه¹ مشبوق² إن شاء الله. والأحوال ذي تخصّكم لانلقى منها عذر³،
وعليكم منّا جزيل السلام.

سَلِّم لنا على المشايخ طحنون وخليفة وحمدان، وكافة الأولاد، وإن
بدا غرض الإشارة، وبلغ سلامنا من طرفك للشيخ بطي بن خادم
وأولاده.

1 أي لفأتي به.
2 أي مربوط من رقبته بحبل.
3 عذرًا.

المثال الثالث:¹ من شيخ قبيلة الشوامسة إلى الشيخ خليفة بن زايد

بسم الله الرحمن الرحيم

من مُجَبِّكَ علي بن سعيد ومحمد بن سعيد وكافة رجال الشوامسة
إلى جناب الشيخ الأكرم المكرم العزيز الناصح عندنا خليفة بن زايد
حماك الله وأبقاك إن شاء الله

سلام عليك ورحمة الله وبركاته ومغفرته ومرضاته. أما بعد صرنا
نحن والشيخ زايد بن خليفة عضو لاله مفصل. الآن علمت بأن
الذي جرى على سيف بن سلطان من الخطأ مع المراد إن كان العهد
والذمة باقي بيننا نحن وإياكم المراد أن ترخص أهل أبو شامس
يثور عندنا والصلاح على يديك، والذخيرة اليوم وأنت أعرف،
ووصل إليك سلطان بن صقر وتالي الجواب بلسانه.
ودم سالم²، والسلام. وإن بدت عازه³ الإشارة بأنتم سلام.

1 ابن كراز المهيبي، رسائل، ص 263.

2 سالمًا.

3 عازة؛ أي حاجة.

لوقارنا هذه النماذج الثلاثة مع رسائل زايد لأمكننا أن نحدد الملامح العامة الآتية للرسائل في ذلك العصر:

أولاً: التزمت الرسائل ببناء عام متقارب، يتمثل في بداية الرسالة بالبسملة، ثم تحديد اسم المرسل مجرداً من الألقاب، ثم تحديد مجموعة من الصفات التي يتميز بها المرسل إليه، وهي صفات دالة على التلطف في الخطاب، كما أنها تتكرر في مجمل الرسائل، سواء الموجهة من الشيخ زايد الأول إلى آخرين، أو من آخرين إليه، أو المرسلة بين رجالات ذلك العصر وحكامه، وهذه الصفات غالباً ما جاءت بصيغة اسم التفضيل المعرف بأل (الأكرم، الأحشم، الأشيم، الأجل، الأكمل...). ثم تناول الرسائل بإيجاز القضية المطروحة، وتختتم الرسائل بتوجيه السلام من المرسل وأولاده إلى المرسل إليه وأولاده، وتختتم بالسلام، ثم بتحديد تاريخ إرسال الرسائل، ونادراً ما خرجت الرسائل في المدونة المدروسة عن هذا البناء، كأن تتخلى عن التاريخ في نهاية الرسالة، أو إرسال السلامات بين طرفي الرسالة، كما نلاحظ في الأمثلة المعروضة أعلاه.

ثانياً: اتسمت الرسائل في ذلك العصر بالتكثيف والاختصار، فهي لا تتجاوز الأسطر القليلة، وغالباً تعالج قضية واحدة، وربما المسوغ في ذلك يعود إلى أن معالجة القضايا التفصيلية كانت تقتضي اجتماع طرفي الرسالة ومناقشة القضايا شفاهياً عبر اللقاء وعدم اعتماد المكاتبة في حل القضايا الكبرى، وهذا ما تشير إليه الرسالة الأخيرة في النماذج التي عرضناها، وتحديدًا في قول المرسل: (ووصل إليك سلطان بن صقروتالي

الجواب بلسانه)، فتشير عبارة (وتالي الجواب بلسانه) إلى الاعتماد على الرسل بين الطرفين لشرح القضايا وتفصيلاتها شفاهياً، وبناء على ذلك فإنَّ جُلَّ موضوعات الرسائل تنصبُّ حول قضايا اجتماعية واقتصادية.

ثالثاً: انحازت لغة الرسائل في ذلك العصر إلى لغة المشافهة؛ أي اللغة التداولية السائدة بين الناس، وبالتالي فهي تجمع بين خصائص اللهجة الإماراتية واللهجة الفصيحة،¹ فقد تخلت في بعض الأحيان عن الخصائص الإعرابية، كما نلاحظ في الأمثلة السابقة، نحو: (وبما ذكرت صار عند محبِّك معلوم)، أي: معلوماً، كما خففت الهمز، نحو (لا باس) أي (لا بأس) واستعملت الألفاظ العامية الإماراتية، نحو: (لنبيبه): أي لنأتي به، وكذلك اعتماد السبك العامي في صياغة بعض الجمل، نحو: (ولا زاد عندنا من الأخبار مما هو يجب رفعه لجنابك سوى علم الخير ومسرة خاطر).

رابعاً: اعتمدت لغة الرسائل، في ذلك العصر، في صياغة المضمون على الأسلوب التقريري المباشر، من دون أن يخلو أسلوبها في مواضع قليلة ونادرة من التزيين البلاغي والإيقاعي في بناء الجملة، ولا سيما الجملة الافتتاحية، كما نلاحظ في الجملة الآتية: (سلّمه الله تعالى من آفات الزمان، وطوارق الحدثان، إنه سبحانه منّان). فنلاحظ اعتماد الجملة على السجع في صياغة الجمل، واعتماد الكناية في التصوير في قوله: (طوارق الحدثان) كناية عن المصائب.

1 سنتوقف في الفصل الرابع بالتفصيل عند هذه الخصائص في رسائل زايد.

خامساً: اتسمت لغة الرسائل في مواضع كثيرة بتأثرها بالطابع الإسلامي، من حيث اعتمادها بالبسملة، وأساليب الدعاء للمرسل إليه، والموعظة الحسنة عند تناولها لموت إنسان ما، والتسليم بقضاء الله وقدره.

سادساً: اعتمدت الرسائل في ذلك العصر في مفتحها وخاتمتها على جُمَل مُكرّرة، في مخاطبة المرسل إليه، ونعته بالصفات، والسلام عليه، والدعاء له.

سابعاً: قدمت الرسائل صورة عن نمط التواصل القائم بين رجالات تلك الفترة، وهو تواصل قائم على الاحترام المتبادل، والنزعة الإصلاحية القائمة على العدل، وهذا ما برز في لغة الرسائل الهادئة البعيدة عن التشنج والصراع.

ثامناً: قدمت الرسائل صورة واضحة عن نمط المراسلات في تلك الفترة ولغتها وأبرزت صورة الحياة الاجتماعية والاقتصادية القائمة على البساطة والبعد عن التعقيد.



الفصل الأول



مصطلحات البحث

واوات،¹ "فالمحذوف منها اللام دون الفاء والعين"،² فاللام فاء الفعل، والغين عينه، ولام الفعل محذوفة هي الواو، وذلك أن أكثر ما حذفت لامه إنما هو من الواو، نحو: (أب)، و(أخ)، و(غد)،...³ وغيرها كثير، والتاء للتأنيث. واللُّغَةُ: اللِّسْنُ، وحُدُّها أنَّها أصواتٌ من لغوتُ أي تكلمتُ، واللُّغَةُ: النطق، يقال: هذه لغتهم التي يلغون بها؛ أي ينطقون. ولغى في القول يَلْغِي لَغًا: لهج. ولغى في القول يلغو أخطأ. واللغو ما لا يعتد به لقلته، أو لخروجه على غير جهة الاعتماد من فاعله، كقوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: 225].⁴

يمكن أن نستخلص ممَّا أوردته معاجم اللغة أن اللغة تتضمن معنى النطق بعامه عندما ترتبط بالإنسان والحيوان والطير، كما أنَّها تتضمن معنى النطق المخصوص بسقط القول، فالمعنى الغالب هو الصوت، ومن هنا نرى أنه لا يُستبعد أن تكون الدلالة قد تطوّرت لتدلَّ على الصوت بعامه.

-
- 1 ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دارالكتاب العربي، بيروت، ط2، 1952، 33/1.
 - 2 ابن جني، سرُّ صناعة الإعراب، تحقيق حسن هنداوي، ط2، 1993، ص 601.
 - 3 السابق، ص 603.
 - 4 انظر: ابن منظور، لسان العرب، والجوهري، الصحاح، (لغو).

• في الاصطلاح التراثي

حظي مصطلح اللغة بنصيب وافر من الدراسة والتمحيص في كتب التراثيين، ولعلّ في تعريف ابن جني لهذا المصطلح ما يُقارب أدقّ التعريفات المعاصرة، كما دونها اللسانيون المعاصرون، عندما يعرفها بقوله: «أما حدّها فإنّها أصوات يُعبّرُ بها كلُّ قوم عن أغراضهم»¹.

وهنا نلاحظ أن ابن جني قد ركّز في تعريفه على الجانب النطقي الصوتي في اللغة (أصوات)، وعلى وظيفة اللغة (التعبير عن الغرض)، كما نلاحظ أنه أخرج الكتابة من هذا التعريف، عندما ركّز على الطبيعة الصوتية للغة. وقد أشار ابن فارس إلى أهمية الجانب الصوتي حين قال في كتابه الصحاحي: «الأبكمُ قد يدلّ بإشاراتٍ وحركاتٍ له على أكثر مُرادِهِ، ثم لا يُسمّى مُتكلِّمًا»²، فيخرج بذلك الإشارة الحسية عن كونها لغة، ويجعل الصوت السمة الرئيسة لها.

كما يصرّح السيوطي في تحديد فهمه للغة على وظيفة اللغة في تحقيق التواصل بين الجماعات البشرية، فيرى أنّ: «الألفاظ الموضوعية للمعاني وحياة البشر وحاجاتهم كانت السبب في تكوّن الألسن على إطلاقها»³.

1 ابن جني، الخصائص، 33/1.

2 ابن فارس، أحمد بن زكريا، الصحاحي في فقه اللغة العربية ومسائلها، تحقيق عمر فاروق الطيّاع، مكتبة المعارف، بيروت، 1993، ص 40.

3 السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، المزهري في علوم اللغة، تحقيق محمد جاد المولى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1986، 8/1.

فالحاجة إلى التواصل هي الدافع الأساس في وجود اللغة، وقد أدرك الفلاسفة المسلمون هذه القضية، كما نلاحظ عند الفارابي الذي يقول: «والنطق والتكلم هو استعمال تلك الألفاظ والأقاويل وإظهارها باللسان والتصويت بها ملتصقًا بالدلالة بها على ما في ضميره»¹.

ويُعبّر إخوان الصفا عن مصطلح (المجتمع) بمصطلح: (الأهل) بشرط أن يكون أفراد هذا المجتمع مُتفقين أو مُتعارفين على هذه اللغة: «فهي أصوات نغمات تُسمّى أصواتًا، ولا تُسمّى منطقتًا؛ لأنّ النطق لا يكون إلّا في صوت يخرج من مخرج يمكن تقطيعه بالحروف التي إذا خرجت عن صفة الحروف أمكن اللسان الصحيح نظمها وترتيبها ووزنها، فتخرج مفهومة بين اللغة المُتعارف بين أهلها، فيكون ذلك النطق الأمر والنهي والأخذ والعطاء والبيع والشراء....، وما شاكل ذلك»².

ويستخدم ابن حزم مصطلح: الأمة، للتعبير عن مصطلح: المجتمع، فيقول: «واللغة أَلْفَاظٌ يُعَبَّرُ بِهَا عَنِ الْمُسَمَّيَاتِ وَعَنِ الْمَعَانِي الْمُرَادِ إِفْهَامَهَا، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ لُغَتُهُمْ»³.

ويربط ابن خلدون استعمال اللغة بالحاجة، ويشير إلى أنه لكل أمة لغتها الخاصة في التعبير عن تلك الحاجات، فيقول: «اعلم أنّ اللغة في المُتعارف عليه، هي عبارة المُتكلم عن مَقْصُودِهِ، وتلك العبارة فعلٌ لسانيّ ناشئٌ عن

1 الفارابي، أبو نصر محمد بن محمد، الحروف، تحقيق محسن مجدي، دار المشرق، بيروت، 1969، ص 163.

2 إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفا وعلان الوفا، تحقيق عارف تامر، منشورات عويدات، بيروت، 1995، 101/3.

3 ابن حزم، علي بن أحمد، الإحكام في أصول الأحكام، دار الحديث، القاهرة، 1404 هـ، 46/1.

القصد بإفادة الكلام، فلا بدّ أن تصير ملكة مُتقرّرة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان، وهي في كلّ أمة بحسب اصطلاحاتها»¹.

فاللغة وسيلة تواصل في خدمة الإنسان يعبر بواسطتها عن آرائه وحاجاته، كما أنها ملكة لسانية، وتقوم على اصطلاح ضمني؛ أي متفق عليه في المجتمع الذي يتكلمها. وبذلك تكون مدرسة (براغ) التي تميّز بإلحاحها على دراسة وظائف اللغة التي اتّخذت لديها وجهتين رئيسيتين؛ الأولى تتمثّل في النظر في وظيفة اللغة في عملية الاتصال، ودور اللغة في المجتمع، والثانية تتمثّل بالنظر في وظيفة اللغة في الأدب ومسألة وجود اللغة، ومستوياتها في منطلق وظيفي قد وافقت ما ذهب إليه ابن خلدون، ومن لفّ لفيّفه من التراثيين السابقين.²

فقد نظر ابن خلدون إلى اللغة على أنّها نشاط اجتماعي، من حيث كونها استجابة ضرورية لحاجة الاتصال بين الناس جميعاً، وبذلك يكون ابن خلدون من أوائل الذين أرسوا قواعد الاتصال بين (علم اللغة) و(العلوم الاجتماعية)، وهو ما تبلور بشكل واضح حديثاً في اللسانيات الحديثة؛ إذ ظهر فيها فرع يسمى (اللغويات الاجتماعية). يقوم هذا العلم على أساس دراسة اللغة من خلال تفاعلها مع محيطها، ويتمثّل هذا البُعد في النظر إلى العوامل الخارجية التي تؤثر في استعمالنا للغة.³

1 ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، 2004، 1128/1.

2 انظر: الموسى، نهاد، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، ط3، 1987، ص 92.

3 انظر: السابق.

• اللغة عند اللسانيين المحدثين:

لعل التعريف الرائد والمؤسس للغة في اللسانيات الحديثة هو ذاك التعريف الذي طرحه اللساني السويسري فرديناند دوسوسور الذي عرّف اللغة بأنها نظام من العلامات، ويرى أنّها شكل وليست مادة، فهي تتكون من رموز اصطلاحية ليس لها دلالة ذاتية، وإنّما تتحدّد دلالة كلّ عنصر من عناصرها من خلال علاقته بالعناصر الأخرى، ولعلّنا نلاحظ أنّ (دوسوسور) قد ركّز في تعريفه على مصطلحين رئيسيين يحددان فهمه للغة، هما: (النظام والعلاقات)، وقد تبعه في ذلك لسانيون كثر، لعلّ أبرزهم اللغوي الفرنسي (جوزف فندريس) الذي ركّز على مفهوم (العلاقات)؛ فالكلمة المفردة لا تصلح للدلالة على معنى مُتكامل إلّا من خلال ارتباطها بغيرها في سياق لغويّ، هو: الجملة أو العبارة أو النص.¹

وقد عرف اللساني الأمريكي (إدوارد سايبير) الكلام بأنه: «وسيلة تفاهم خاصة بالإنسان تمكّنه من تبادل الأفكار والعواطف والرغبات بواسطة رموز صوتية اصطلاحية على وجه التغليب والتعميم وتصدرها أعضاء النطق إرادياً باندفاع الهواء خلالها من الداخل إلى الخارج»، ويصف سايبير وسيلة التفاهم هذه «بأنها غير غريزية».²

1 انظر: عياد، شكري، اللغة والإبداع، مبادئ علم الأسلوب العربي، إترناشيونال برس، القاهرة، 1988، ص 42، وللتوسع في فهم سوسور للغة، يمكن العودة إلى كتاب: دي سوسور، فرديناد، علم اللّغة العام، (ترجمة: يوثيل يوسف عزيز)، مراجعة النّص العربي مالك يوسف المطليبي، دارآفاق عربيّة، بغداد، 1985.

2 فضل ربه، السيد طمان، فقه اللغة، مطابع الثقافة، الإسكندرية، د.ت، ص 15.

أما اللسانيون العرب المعاصرون، فقد حاولوا طرح تعريفات عدة للغة. لم تخرج في مجملها عما سبق إليه اللسانيون الغربيون، فالدكتور تمام حسان يعرفها بقوله: «إنَّها منظمة عرفية للرمز تشير إلى نشاط المجتمع، وهذه المنظمة تشتمل على عدد من الأنظمة، يتألف كل واحد منها من مجموعة من «المعاني» تقف بإزائها مجموعة من «الوحدات التنظيمية» أو «المباني» المُعبّرة عن هذه المعاني، ثم طائفة من العلاقات التي تربط ربطاً إيجابياً، والفروق «القيم الخلافية» التي تربط سلبياً - بإيجاد المقابلات ذات الفائدة - بين أفراد كل من مجموعة المعاني أو مجموعة المباني»¹. فتمام حسان يركز على النظام والرمز والعلاقات في تعريفه للغة.

وقد قدم الدكتور محمود حجازي تعريفاً مُقارِباً لذاك التعريف عندما قال: «فاللغة - أولاً وقبل كل شيء - نظام من الرموز، ومعنى هذا أنها تتكوّن من عدد كبير من الجزئيات التي تنتظم بعلاقات مُحدّدة في سياق أو نظام مُحدّد»².

وقد ركّز محمد صلاح مجاور في تعريفها على الجانب التواصلّي الاجتماعي بين الناطقين بها، فعرفها بأنها: «استعمال مقصود شعوري لأيّ صوت أو رمز أو إشارة أو علاقة، لنقل حقيقة أو فكرة أو شعور أو انفعال من فرد إلى آخر أو من جماعة إلى أخرى»³.

1 حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط2، 1979، ص 34.

2 حجازي، محمود، اللغة العربية عبر القرون، المكتبة الثقافية، القاهرة، 1968، ص 4.

3 مجاور، محمد صلاح، تدريب اللغة العربية للمرحلة الابتدائية، 1977، ص 92.

وقد حاول الدكتور محمد يونس علي أن يستخلص من تعاريف اللغة المتنوعة تعريفاً جامعاً عندما عرفها بأنها: «نظام من العلامات المتواضع عليها اعتباطاً التي تتسم بقبولها للتجزئة، ويتخذها الفرد عادة وسيلة للتعبير عن أغراضه، ولتحقيق الاتصال بالآخرين، وذلك بوساطة الكلام والكتابة»¹.

ويمكن أن نلاحظ أن أهم ما يميز أكثر هذه التعاريف أنها أحادية الجانب، فإذا نظرنا إلى اللغة من ناحية وظيفية أمكن تعريفها بأنها وسيلة للتواصل بين الناس، وبهذا تكون وسيلة لصياغة الأفكار والتعبير عنها والتصريح بها. وإذا نظرنا إليها من ناحية تكوينها وأليتها أمكن تعريفها بأنها مجموعة من الوحدات ومن تراكيبها وقواعد استخدامها التي يطبقها الناطق باللغة المعينة في الحديث والكتابة. وإذا نظرنا إليها من ناحية وجودها وكيانها أمكن تعريفها بأنها نتيجة خبرة اجتماعية في خلق وحدات لغوية بوساطة ربط مادة صوتية محددة بمعنى معين. وإذا نظرنا إليها من ناحية سيميائية، أمكن تعريفها بأنها منظومة علامات، أي: منظومة عناصر مادية (أصوات)، اكتسبت دلالات خارجة عن جوهرها الذاتي. وإذا نظرنا إليها من ناحية معلوماتية، أمكن تعريفها بأنها نظام إشارات يتمّ من خلاله نقل معلومات ذات دلالة².

1 علي، محمد محمد يونس، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، 2004، ص 26.

2 انظر: القضماني، رضوان، مدخل إلى اللسانيات، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، جامعة البعث، 1988، ص 14-15.

وإذا انطلقنا من كل تلك المحددات لطرح تعريف يشتمل عليهما، ويعبر عن ماهية اللغة، فيمكن القول: «اللغة منظومة سيميائية- أي منظومة علامات- تؤدي وظيفتها في المجتمع باستخدامها أداة للتواصل عندما تتحول إلى كلام»¹.

ولعل أهم ما في هذا التعريف أنه يحدد أهم جوانب اللغة، وهي:

1. اللغة منظومة.

2. اللغة ذات طبيعة سيميائية.

3. اللغة مؤسسة اجتماعية.

4. اللغة أداة تواصل.

• نظرية التواصل وأركانها

تعددت مفاهيم التواصل communication وتنوعت اتجاهاته في الآونة الأخيرة، فهو «عملية بشرية تدور في فلك اللغة، بدءًا بالفكرة، وانتهاءً بالإبلاغ، هذه اللغة التي تتجلى أهميتها ويتعاضم دورها في حياتنا اليومية، باعتبارها أداة نستقبل ونرسل بها، توسّع مداركنا، وتحرك شعورنا، لا تعدو إلا أن تكون إشارات أو أصواتًا، وربما ملامح وعلامات يفهم معناها»².

إنّ اللغة في شقها التواصلي مجموعة من الأفكار والمشاعر تصدر عن متحدث أو كاتب، والتعبير عنها لا بد له من سياقات، تتطلب من المرسل

1 القضياني، مدخل إلى اللسانيات، ص 15.

2 حسن، حمدي إبراهيم، «رؤية حول مفهوم التواصل اللغوي»، مجلة كلية اللغات والترجمة، جامعة الملك سعود، العدد الأول، يونيو، 2011، ص 53.

انتقاءً جيداً لمفردات تساق في جمل، هدفها إبلاغ رسالة ذات مفهوم لها ارتباط وثيق بهذا السياق الذي هو حجر الزاوية في عملية التواصل، حيث تجتمع هذه اللغة على توصيل الأفكار والمشاعر من خلال نظام من الرموز يختاره المجتمع.¹

وتقوم مقومات التواصل على العناصر الآتية:²

1. المرسل: (Sender)

وهو الطرف الأول والأساسي في عملية التّواصل، والمسؤول عن إرسال الرّسالة واختيار المرجع وقناة الاتّصال والرّأزمة. وإذا نظرنا إلى الخطاب موضع البحث والدراسة في هذا البحث، فإن المرسل هو الشيخ زايد بن خليفة (زايد الكبير)، حاكم إمارة أبوظبي وتأخذ الرسالة أهميتها التاريخية والاجتماعية والسياسية من كونها صادرة عن مرسل له أثر كبير في صناعة الحدث التاريخي لهذه المنطقة الجغرافية، كما وضعنا في التمهيد لهذا البحث، فقد اتسم حكمه بالشجاعة والدبلوماسية في إدارة شؤون الدولة، وفهم المتغيرات السياسية وعلاقات القوى السائدة، واستطاع أن يترك بصماته في تاريخ الإمارات السياسي والاقتصادي والاجتماعي، فقد شهدت فترة حكمه ازدهاراً ملحوظاً، ونعمت أبوظبي بالأمان، وصارت إمارة مهابة الجانب، اجتمعت حولها قبائل المنطقة.

1 حسن، رؤية، 54-55.

2 انظر: القضماني، رضوان؛ والعكش أسامة، «نظرية التواصل المفهوم والمنهج»، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد 29، العدد الأول، 2007، ص 142-143.

2. المرسل إليه: (Sent to)

وهو الطرف الآخر في عملية التواصل، والمستقبل لمضمون الرسالة، المسؤول عن عملية إنجاح التواصل أو إفشاله. وهو في الخطاب المدروس مجموع المتلقين الذين وجهت إليهم الرسائل من أبناء ورؤساء قبائل ومساعدين في الحكم (الأبناء والوزراء).

3. الرسالة: (Message)

وهي عبارة عن متتالية من العلاقات المنقولة بين المرسل والمرسل إليه بواسطة قناة تستخدم لنقل الرّامزة؛ أي هي مجموعة من المعلومات المترسّخة حسب قواعد وقوانين متّفق عليها، تشكّل بعددًا ماديًا محسوسًا من الأفكار التي يرسلها المرسل وتحيل على المرجع العام المشترك بين المرسل والمرسل إليه.

ويكمن الفرق بين رسالة وأخرى في مدى إظهار قوّة حضور كلّ وظيفة من الوظائف الست، وحسب نيّة التواصل وأهدافه والظروف المحيطة في إنجاح عملية التواصل أو إفشالها، فلو نظرنا إلى الخطاب المدروس لوجدناه أنه يحمل مجموعة من القضايا الاجتماعية والاقتصادية المشتركة بين المرسل والمتلقي التي تهم شأن البلاد.

4. المرجع: (Reference)

يمثل البيئة التي يحيل إليها الخطاب؛ أي ما يتحدّث عنه طرفا التواصل، والذي «ينشأ نتيجة تطبيق إجراءات تأسيس محدّدة وفق بروتوكول مقبول بالإجماع، ونتيجة وجود إمكان متاح لأيّ كان من أجل متابعة هذا التّطبيق متى عنّ له ذلك»¹.

5. قناة الاتّصال: (Means of communication)

وهي متنوّعة تبعًا للوسائل المستعملة من قبل المرسل والمرسل إليه. مثلاً: النور يشكّل قناة التواصل البصري، أمّا الهواء فيشكّل قناة للتواصل الشّفوي وجهاً لوجه، بينما الكهرباء والكيمياء هما قنوات للتواصل الآلي. وقناة الاتصال في خطابنا المدروس هي الرسالة المكتوبة.

6. الرّامزة: (Code)

وهي الوسيط الحامل لمضمون الرّسالة. وهي اللغة في خطابنا المدروس. يهدف التواصل إلى تحقيق وظائف عدة هي:

• الوظيفة الانفعاليّة: (Emotive)

وظيفة لغويّة تظهر جليّة في الرّسائل التي تتكيّف فيها اللّغة لتتخذ من المرسل مرتكزاً لها بشكل مباشر من دون سواه، مشيرة بالتالي إلى موقفه ممّا يتحدّث عنه، فتهدف إلى تقديم انطباع عن انفعال معيّن صادق أو خادع؛

1 مانفرد، فرانك، حدود التّواصل (الإجماع والتّنازع بين هابرماس وليونار)، ترجمة وتقديم وتعليق: عز العرب لحكيم بناني، أفريقيا الشّرق، المغرب، 2003، ص 38.

وتستطيع تحديد العلائق بين الرسالة والمرسل. فعندما يتحدث شخص ما إلى شخصٍ آخر عبر كلامٍ أو ما شابه ذلك من أنماط الدلالة، فإنّه في الحقيقة يرسل أفكارًا تكون نسبيّة لطبيعة المرجع (وهي الوظيفة المرجعية)، إلاّ أنّه بمقدور ذلك الشخص أن يعبر عن موقفه إزاء هذا الشخص.¹

• الوظيفة الندائية: (Conative)

تؤلّد هذه الوظيفة لغويًا بالتركيز على عنصر المرسل إليه، وتسعى متوسّلةً باللّغة إلى إثارة انتباهه أو الطّلب إليه القيام بعمل ما، فتدخل في صلبها الجمل الأمرية،² وهي صيغة من صيغ الطلب، كما تسعى أيضًا إلى تحديد العلائق بين الرسالة والمرسل إليه بغية الحصول على ردّة فعل هذا المرسل إليه؛ لأنّ لكلّ اتصال هدفًا وغاية وُضِعَ من أجلها، ولكنّها إنّ تغلّبت على بقية الوظائف في نصّ ما أكسبته طابعًا جماليًا خاصًا به.³

• الوظيفة المرجعية: (Referentielle)

تتوجّه هذه الوظيفة نحو المرجع المشترك بين طرفي التّواصل الأساسيين؛ أي ما هو مشترك ومتّفق عليه من قبل المرسل والمرسل إليه، وهو المبرّر لعملية التّواصل؛ ذلك لأنّنا نتكلّم بهدف الإشارة إلى محتوى معيّن نرغب بإيصاله إلى الآخرين وتبادل الآراء معهم حوله. وتتعدّد أنواع المرجعيّات حسب الخطاب الذي يحيل إليها، فقد تكون مرجعيّات اجتماعية وفلسفية، وثقافية وطبيعية، وعلاقات ذاتية وموضوعية، وبنيات عميقة وسطحية.

1 نقلًا عن: غيرو، بيار، السّيميّا، (ترجمة: أنطوان أبي زيد)، منشورات عويدات، بيروت باريس، 1984، ص 10. القضماني، والعكش، نظرية التّواصل، ص 143-144.

2 القضماني، مدخل إلى اللّسانيّات، ص 45-46، القضماني، والعكش، نظرية التّواصل، ص 143-144.

3 انظر: القضماني، مدخل إلى اللّسانيّات، ص 45-46.

هذا ما أكده (بيارغيرو) عندما جعلها قاعدة كلِّ اتِّصال؛ لأنَّها تستكشف العلائق القائمة بين (الرِّسالة) وموضوع ترجع إليه؛ إذ إنَّ المسألة الأساسية تكمن في صياغة موضوعية لمعلومات صحيحة عن المرجع، يمكن ملاحظتها والتدقيق في صحَّتها.¹

فالعلوم المعرفية دائماً تسعى إلى تأكيد الوظيفة المرجعية؛ لأنَّها هدفها الأساسي؛ إذ يتمُّ حمايتها من تداخلات وتضمينات الوظائف الأخرى.²

• وظيفة إقامة الاتصال: (Phatique)

تظهر هذه الوظيفة في الرسائل التي توظَّف اللُّغة لإقامة اتِّصال وتمديده وفصله، وتعتمد كلمات تتيح للمرسل إقامة الاتصال أو قطعه؛ من مثل: (ألو! أسمعني؟ أفهمت؟ استمع إلي!). وقد توجد حوارات تامَّة هدفها الوحيد تمديد الاتِّصال والحفاظ عليه والتأكُّد من أنَّ المرسل إليه ما يزال مُصغياً مُقبلاً على التواصل، كما تؤدِّي مهمة بارزة في كافة أشكال الاتصال المتجسِّدة في المجتمع من طقوس، واحتفالات، وأعياد، وخطب، وأحاديث متنوِّعة تعود إلى طبيعة طرفي الاتصال؛ إذ تنعدم أهمية محتوى الرسالة فيها، ويغدو وجود الشخص المرسل وانتماؤه إلى المجموعة طرفي الاتصال الأساسيين، والمرجع هو الاتِّصال ذاته.³

1 غيرو، السيمياء، ص 10.

2 السابق، ص 73.

3 ياكبسون، رومان، قضايا الشِّعرية، (ترجمة: محمد الولي ومبارك حنون)، دار توبقال، الدار البيضاء، 1988، ص30، القضماني، والعكش، نظرية التواصل، ص 144.

ثانيًا: تحليل الخطاب السياسي

يعدُّ مصطلح الخطاب من المصطلحات الحديثة التي شغلت الدارسين من تخصصات متعددة ومختلفة، من لسانيات وعلم اجتماع، وعلم نفس، وعلوم السياسة وغيرها، وقد أعطى اللسانيون لهذا المصطلح هوية تنسجم مع مرجعيتهم. ويمكن القول إن اللسانيات ليست مرجعية للخطاب وتحليله، وإنما هي تصور ومنهج مؤطر بنظريات وجهاز مفاهيم معلوم، وضعا لتحليل الخطاب، وهذه المعطيات التي فصل القول فيها كثيرًا ستكون مرجعية للدراسة التطبيقية لهذا البحث.

شغل موضوع تحليل الخطاب بأنواعه المختلفة، المنطوق والمكتوب، الأدبي وغير الأدبي، اهتمام الباحثين من مختلف الميادين، ولعل من أهم المقاربات التي تناولت الخطاب، المقاربة اللسانية التي اعتنت بدراسة اللغة في سياقها التواصلي، فعُني الدرس اللساني بتعدد استعمالات اللغة وارتباطها الوثيق بالسياق الذي تنتج فيه.

لقد أصبح مصطلح الخطاب من المصطلحات المألوفة والكثيرة الاستعمال بين الناس في يومنا، وإذا نظرنا إلى هذا المصطلح، لغة، فإننا نجد أنه مُشتق من الثلاثي (حَطَبَ)، يقال: خاطبه يخاطبه خطابًا، وهو الكلام بين اثنين،¹ «والخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة

1 ابن فارس، أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، 1991، مادة خطب.

وخطابًا، وهما يتخاطبان»،¹ والخطاب: «المواجهة بالكلام»،² ويفهم من هذا أن «الخطاب في العربية يعني المكاملة أو الحديث، أو اللغة المستخدمة بين اثنين؛ أي لغة التفاعل».³

فالمصطلح يُشير في أصوله اللغوية إلى معاني العرض والسرد اللغوي، ويشير في أصوله الفلسفية إلى معاني النقد والتحليل والسبر،⁴ ودلالات الخطاب تتعدد بتعدد اتجاهات ومجالات تحليل الخطاب التي يقصد بها السياق المعرفي والمجتمعي له، والخطاب السياسي بشكل عام هو خطاب شارح للفكر الرسمي المُتسيّد في لحظة تاريخية بعينها، ولا يمكن قراءة هذا الخطاب بمعزل عن قراءة المجتمع ومشكلاته وهمومه وطموحاته.⁵

أمّا الخطاب في الاصطلاح اللساني المعاصر، فقد طُرحت له تعريفات عدة، منها تعريف هاريس الذي عرّفه بأنه: «ملفوظٌ طويلٌ، أو مُتتالية من الجمل تكوّن مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر اللسانية».⁶

- 1 ابن منظور، لسان العرب، (خطب).
- 2 الزمخشري، أساس البلاغة، (خطب).
- 3 عكاشة، محمود، لغة الخطاب السياسي، دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال، دار النشر للجامعات، القاهرة، 2005، ص 34.
- 4 مذكور، إبراهيم، في اللغة والأدب، دار المعارف، القاهرة، 1971، ص 25.
- 5 حسن، محمود، تحليل مضمون الخطاب السياسي للرئيس عرفات من منظور سيكولوجي، وقائع المؤتمر العلمي الدولي الأول (ياسر عرفات ذاكرة وطن ومسيرة شعب)، جامعة الأقصى، غزة، 2005، ص 604.
- 6 يقطين، سعيد، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 1989، ص 17.

ومنها تعريف بنفينست بأنه «كلّ تلفّظ يفترض متكلمًا ومستمعًا وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما»¹. فالخطاب وفق هذا الفهم يستدعي وجود عناصر أساسية هي متكلم ومتلقٍ بينهما تواصل، وهذا يتيح دراسته ضمن نظرية التواصل ووظائف اللغة.

وقد قدمت تحديدات عامة للخطاب تميزه، لعل أبرزها:²

- الخطاب يعني اللغة في طور العمل، أو اللسان الذي تنتجه ذاتٌ معينة.
- الخطاب وحدة توازي الجملة أو تفوقها، ويتكون من متتالية تشكل رسالة لها بداية ونهاية.
- الخطاب هو لغة التفاعل بين أفراد المجتمع الذين يتواصلون باللغة، فهو وحدة تواصلية.

والمُرَاد بالخطاب السياسي، خطاب السلطة الحاكمة في شائع الاستخدام، أما في بحثنا فهو الخطاب الموجّه، على شكل رسالة، عن قصد إلى متلقٍ مقصود، بقصد التأثير فيه، وإقناعه بمضمون الخطاب، ويتضمّن أفكارًا سياسية، أو يكون موضوع هذا الخطاب سياسيًا، أو اجتماعيًا، أو اقتصاديًا.³

1 يقطين، سعيد، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 1989، ص 19.

2 السابق، ص 21.

3 انظر: غولد شليغر، «نحو سيمياء الخطاب السلطوي»، (ترجمة: مصطفى كمال)، مجلة بيت الحكمة، ع5، السنة الثانية، الدار البيضاء، 1987، ص 134، وانظر: عكاشة، لغة الخطاب السياسي، ص 45.

ويتميز الخطاب السياسي بسمات عديدة تميزه عن غيره الخطابات الأخرى وتعطيه خصوصية، وقد أجملها الدكتور محمود عكاشة بالنقاط الآتية:¹

1. يعدّ الخطاب السياسي من أكثر الخطابات المعاصرة تأثيراً وأوسعها انتشاراً، ويرجع ذلك إلى ما يملكه من وسائل تساعد على انتشاره ومدّ نفوذه، وفي مقدمتها وسائل الإعلام.
2. يرتبط ارتباطاً كلياً بظروف الواقع الخارجي، ويتفاعل معه ويتأثر بجميع الأحداث الداخلية والخارجية.
3. يعتني بالمضمون والفكرة ويأتي الشكل في المرحلة الثانية.
4. هو خطاب موجه يهدف إلى الإقناع والتوجيه، وليس له أغراض جمالية، من هنا يعتمد الشكل المباشر، واللغة البسيطة الواقعية التي تعايش المتلقين.
5. ليس للخطاب السياسي قيم ثابتة، فقيمه وليدة الظرف والمصالح.
6. يميل إلى استخدام التراكيب البسيطة والقصيرة وغير المعقدة، لأنه خطاب إقناعي مقصدي.

1 انظر: عكاشة، لغة الخطاب السياسي، ص 346.

ثانيًا: الخطاب المنطوق والخطاب المكتوب

لكل لغة من لغات العالم «شكلان متميزان: الشكل المنطوق والشكل المكتوب، وقد كان يُظن قديمًا بأن اللغة المكتوبة هي انعكاس للغة المنطوقة، ولكن الدراسات اللسانية الاجتماعية المعاصرة كشفت بأن لكل لغة من هاتين اللغتين مكوناتها وشخصيتها ومميزاتها... وهذا بالطبع لن يؤثر فقط في تعليم اللغات الأجنبية لغير الناطقين بها، وإنما سيؤثر أيضًا في تعليم اللغة القومية للناطقين بها»¹. ولما كانت المدونة التطبيقية المدروسة في هذا البحث تنتمي إلى اللغة المكتوبة، فإنّ هذا يستدعي التمييز بينها وبين اللغة المكتوبة، فاللغة المنطوقة: «هي اللغة الأكثر دورًا بين بني البشر قياسًا بغيرها المكتوبة، حيث تتكون من أصوات بسيطة أو حركات أو إيماءات، كإيماء الوجه أو تعبيراته أثناء الحديث، أو غير ذلك، كلغة الأذان، ولغة الحركة والشم والانفعالات»².

ولما كانت «الطرائق والاستراتيجيات التي تستخدم في الخطاب المنطوق تختلف اختلافًا تامًا عن تلك التي تستخدم في الخطاب المكتوب»³ فإنّ «فنّ النطق الذي حدده اللغويون في كيفية الأداء Diction، أو القدرة على الأداء، تعد الأصوات اللغوية دعامة الرئيسة، بل قاعدته الأساسية التي ينبغي أن تحتل مكانًا مهمًا في مجال التعليم الحديث، ولاسيما فرع تعليم

1 الوعر، مازن، قضايا أساسية في علم اللسان الحديث، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1988، ص 481.

2 حسن، رؤية، ص 53.

3 الوعر، مازن، « اللسانيات وتحليل الخطاب السياسي»، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، مج 11، 1997، ص 230.

اللغات الأجنبية وتعلمها. كما أن الأداء المعياري الصحيح للمتحدث يعدّ سبباً مهماً من أسباب التواصل مع الآخر؛ لأن الشخص ذا الخصائص اللهجية الواضحة، إن أراد تعلم النطق الجيد، فإن هوة الفروق تزداد بين نطقه اللهجي والنطق المعياري المراد، لتصل الصعوبة ذروتها حال رغبته في التواصل الصوتي باللغة الأجنبية التي يدرسها»¹.

وإذا انتقلنا إلى اللغة المكتوبة، فيمكن القول إنها اللغة «الأقل استخداماً في حياتنا اليومية مقارنة بنظيرتها الشفاهية، وهي عبارة عن كلمات أو جمل أو عبارات ذات مدلول، أو معنى متعارف عليه من قبل أفراد، أو جماعات تنتهي إلى نوع واحد، أو مختلف.

وهذا النوع من اللغة تمثله علامات مرئية محددة في رموز ظاهرة ومختلفة، منقولة عن طريق الموجات الضوئية، ومستقبلة عن طريق العين، تعد أحد طرفي الإدراك اللغوي المعرفي، الذي تمثل طرفه الأول اللغة المنطوقة. والحقيقة أن كلتا الطريقتين (المنطوقة - المكتوبة) تعتمد على نفس القواعد والكلمات المعجمية المتوفرة في اللغة. على سبيل المثال، تحتاج اللغة الأدبية إلى مهارة لغوية وشخصية تعتمد أسلوب الفرد، لأنها لغة مكتوبة تتسم بجدية الموضوعات التي يتناولها الكاتب، إضافة إلى مراعاتها للقواعد اللغوية القياسية، صوتية، وصرفية ونحوية، هذه القواعد من شأنها إظهار العلامات بشكل صحيح، من حيث الموقع والمفهوم السياقي، ومن ثم وضوح الدلالات المختلفة دون لبس أو غموض.²

1 حسن، رؤية، ص 53-54.

2 السابق، ص 53 وما بعدها.

ويتميز الخطاب المكتوب بسمات تميزه عن الخطاب المنطوق، لعل من أبرزها أنه يستخدم التراكيب النحوية المعقدة، مثل الجمل الشرطية وجملة الصلة... ويتسم بالتماسك والوحدة، كما تبرز فيه الجمل التامة، والمتناسقة التي تحتوي على جمل متتابعة، فقد قام المرسل بمراجعة خطابه وتنقيحه، وإعداده. كما يعتمد على طول الجمل وتداخلها غالبًا، مع ضغط المعلومات بشكل ملحوظ دون كثرة في التفاصيل والاستغراق في الوصف، فهو يهتم بالفكرة المركزة، كما أن الخطاب السياسي المكتوب يقدم المعلومات على شكل تقرير، ويتسم بوحدة الموضوع، ولا يسترسل في السيرة الذاتية، وهذا الشكل يتلقاه الجمهور أو المتلقي عن طريق القراءة، أو عن طريق وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، وعلى هذا فهو خطاب مقروء.¹

ويعد الخطاب المكتوب أعلى صور الإعداد، ولهذا يتمتع بما يأتي:²

1. التسلسل الموضوعي، فال فقرات مرتبة، متتابعة بشكل منطقي، وهناك اتساق في الموضوع، حيث يتطور على طول الخطاب حتى يصل إلى الخاتمة التي توجز ما سبق وتضع الحلول المباشرة.

2. يأخذ الخطاب طابعًا رسميًا، ليكون أكثر مصداقية، وتأثيرًا.

3. استخدام الأدلة والبراهين الإقناعية والحجج المعدة.

4. الإحاطة بمعلومات كافية وشارحة للمضامين والأفكار.

1 الوعر، اللسانيات، ص 230-231، عكاشة، لغة الخطاب السياسي، ص 327-328. براون، ج. بول، ج، تحليل الخطاب، (ترجمة: محمد لطفي الرّليطني ومنير التّريكي). منشورات جامعة الملك سعود، الرياض، 1997، ص 18-19.

2 عكاشة، لغة الخطاب السياسي، ص 331-332.



5. الإجابة عن كل التساؤلات والأفكار التي تحيط بالموضوع.
6. الاستعانة بنصوص مباشرة من الدستور والقانون، وتعليق الأحداث بمصلحة الوطن.
7. إسناد الفعل إلى الفاعل الجمعي (الشعب، الوطن، البلد، الأمة، الجمهور، نحن).

أما الخطاب المنطوق، فله استراتيجيات عدة، لعل من أبرزها: استخدام التراكيب النحوية البسيطة التي تقترب من الخطاب اليومي، لأنها مباشرة وتلقائية وسريعة الفهم والتأثير، وأقرب إلى الجماهيرية، والاعتماد على الأشكال الملموسة المفككة من خلال التركيز على عناصر صوتية تحدد المراد من المعنى مثل التنغيم والفصل والوصل في المنطوقات، مما يعين على معرفة حدود الجمل ودلالاتها، وهي نابعة من السياق المباشر بين المتكلم والمتلقي، كما يتسم الخطاب المنطوق بالابتعاد عن المعلومات المضغوطة واستخدام معلومات أكثر تفككاً وتفصيلاً، وهذا ناتج عن السياق المباشر والكلام العفوي المباشر الذي هو ابن وقته وساعته بين المتكلم والمتلقي، من هنا يكثر في هذا الخطاب الجمل غير التامة، أو الناقصة، والجمل القصيرة، كما يبرز التكرار في هذا الخطاب بشكل ملحوظ.¹

ولو نظرنا في المدونة التطبيقية المدروسة لوجدناها تجمع خصائص الخطاب المكتوب، فهي جملة من الوثائق المكتوبة، وفي الوقت ذاته تنطوي على كثير من خصائص الخطاب المنطوق، وهذا ما يبرز في بعض الصياغات

1 انظر: الوعر، اللسانيات، ص 230-231، عكاشة، لغة الخطاب السياسي، ص 335-336.

التركيبية، والألفاظ التي تُستمدّ من اللغة التواصلية المنطوقة في ذلك العصر، فتعيد كتابتها في نص الرسائل.

ثالثاً: مفهوم النص

النص، على ما ترى جوليا كريستفا، هو «جهاز عبر لساني يعيد توزيع اللسان عن طريق ربطه بالكلام التواصلية، رامياً بذلك إلى الإخبار المباشر مع مختلف أنماط الملفوظات السابقة والمعاصرة»¹. والوصول إلى هذا الفهم اللساني الذي يرى في النص الوحدة الدلالية الكبرى في تحقيق التواصل، مر بمراحل عدة، فقد بقيت العناية بالجملة باعتبارها أكبر وحدة قابلة للوصف النحوي، أو التحليل اللساني، إلى أن بدأت مؤشرات ظهور علم جديد يُعنى بدراسة النص باعتباره كياناً موحّداً، أو وحدة دلالية مُتكاملة. ومما لا خلاف عليه بين اللسانيين، أن الانطلاقة الحقيقية في دراسة اللسانيات النصية (نحو النص)، تبدأ بأعمال زيلج هاريس (Z. Harris) مع بدايات النصف الثاني من القرن العشرين، عندما قدّم كتابه (تحليل الخطاب) Discourse analysis، ودعا فيه إلى تجاوز مشكلتين وقعت فيهما الدراسات اللغوية الوصفية والسلوكية، الأولى تتمثل بقصر الدراسة على الجمل والعلاقات فيما بين أجزاء الجملة الواحدة، والثانية الفصل بين اللغة Language والموقف الاجتماعي Social Situation مما يحول دون الفهم الصحيح.²

1 كريستيفا، جوليا، علم النص، (ترجمة: فريد الزاهي وعبد الجليل ناظم)، دار توبقال، المغرب، 1997، ص 22.

2 عبد المجيد، جميل، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1998، ص 65، وانظر: الطالب، هائل محمد، «من نحو الجملة إلى نحو النص، المفهوم والتطبيق»، مجلة جامعة البعث، حمص، مج 39، ع 12، 2017، ص 95 وما بعدها.

لقد لفتت هاتان القضيتان انتباه اللسانيين إلى أهمية تجاوز الدراسات اللغوية مستوى الجملة إلى مستوى النص، والربط بين اللغة والموقف الاجتماعي، فأخذ يتشكّل اتجاه لساني جديد، بدأت أسسه ومناهجه بالتبلور منذ ستينيات القرن العشرين،¹ وأطلقت عليه تسميات عدة، لعل أشهرها، وأكثرها استعمالاً بين الباحثين، هي: نحو النص Text Grammar، ولسانيات النص Text Linguistics، واللسانيات النصية Textual Linguistics، وعلم النص، وعلم اللغة النصي.

وأخذت اللسانيات النصية بالتطور على أيدي علماء كبار، مثل فانديك (Van Dijk) ودي بيوجراند (De Beaugrande) اللذين وضعوا الأسس العامة لنظرية نحو النص الحديث في الثمانينيات من القرن العشرين، فانتقل الاهتمام من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص.²

ولعل من «أبرز سمات تحوّل البحث اللغوي إلى لسانيات النص، أن الأخيرة لم تعد تكتفي باستخراج المعايير التي تحكم العمليات التي تتحقق في المستويات اللغوية الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، بل انتهت إلى أبعد من ذلك، فقد اهتمت بالتداولية متمثلة في تحديد أوجه الاتصال وشروطه وقواعده وخواصه وآثاره وأشكال التفاعل وعوامله ومظاهره وعلاقته بالنصية ومعاييرها المختلفة».³ وهذا ما جعل لسانيات النص

1 عبد المجيد، البديع، ص 66.

2 انظر: حسام الدين، زكي، أصول تراثية في علم اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2، 1985، ص 74-75، وانظر: الموسى، نظرية النحو، ص 95.

3 بحيري، سعيد، «اتجاهات لغوية معاصرة في تحليل النص»، مجلة علامات، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ج3، مح10، 2000، ص 135.

تتسم بالتداخل المعرفي، مع علوم أخرى لغوية، وغير لغوية، كعلم النفس والاجتماع، وغيرها؛ إذ إن «هذه العلوم تؤثر بوجه أو بأخر في المتكلم أو المبدع، سواء أكان متكلمًا أو كاتبًا»¹.

أما تعريف النص، فقد طرحت تعريفات متنوعة لهذا المصطلح، وهذا يعود لجملة من الأسباب، لعل من أهمها:

أولاً: التماسُّ بين لسانيات النص وغيرها من العلوم، مع أن ذلك يعدّ ركنًا أساسيًا من أركان الدراسة النصية، فالنص يصدر عن مرسل وعن مجتمع، ومن هنا لا بدّ من ارتباطه بعلوم النفس والاجتماع والفلسفة والأدب.

ثانياً: عدم اكتمال النظرية النصية.²

ثالثاً: تعدد معايير هذا التعريف، يقول الأزهر الزناد: «تعريف النص، مثل كل تعريف، أمر صعب، لتعدد معايير هذا التعريف، ومداخله، ومنطلقاته، تعدّد الأشكال والمواقع والغايات التي تتوافر فيما نطلق عليه اسم نص»³. فاللساني (هارتمان) يركز في تعريفه للنص على ربطه بالموقف الاتصالي، فيرى أن النص «علامة لغوية أصلية، تبرز الجانب الاتصالي والسيميائي»⁴.

1 انظر: العليان، يوسف، « النحو العربي بين نحو الجملة ونحو النص، مثل من كتاب سيبويه»، المجلة الأردنية في اللغة العربية وأدابها، مج7، ع1، 2011، ص 191.

2 سهل، ليلى، «النصية بين المفهوم والمعيّار»، مجلة مخبر اللسانيات واللغة العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ع5، 2016، ص 108.

3 الزناد، الأزهر، نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصًا، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 1993، ص 11.

4 بحيري، سعيد حسن، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، مؤسسة المختار، القاهرة، ط2، 2004، 108.

أما (فاينريش)، فينطلق من مفهوم الترابط النحوي، فيعرفه بأنه: «تكوين حتمي يحدّد بعضه بعضاً؛ إذ تستلزم عناصره بعضها بعضاً، لفهم الكل».¹ وينطلق مايكل هاليداي ورُقّيّة حسن من أن النص وحدة دلالية، وهو «لا يتعلق بالجمل، بل يتحقق بواسطتها، أو مشفر فيها»²، ويذهبان إلى أنّ «كل متوالية من الجمل تشكّل نصّاً شريطة أن تكون بين عناصر هذه الجمل علاقات، وتتم هذه العلاقات بين عنصر وآخر وارد في جملة سابقة أو جملة لاحقة، أو بين عنصر ومتتالية برمتها سابقة أو لاحقة...، فالنص وحدة دلالية، وليست الجمل إلا الوسيلة التي يتحقّق بها النص، وكل نصّ يتوفر على خاصية كونه نصّاً، يمكن أن تنطبق عليه صفة النصّيّة، وهذا ما يميزه عمّا ليس نصّاً، فلكي تكون لأيّ نص صفة النصية ينبغي أن يعتمد على مجموعة من الوسائل اللغوية، بحيث تساهم هذه الوسائل في وحدته الشاملة».³

ويتفق (دي بوجراند) مع هاليداي ورُقّيّة حسن، من ناحية أنه ليس شرطاً أن يكون النص مجموعة من الجمل، بل قد يكون جملة واحدة، ولذلك نراه يركّز في تعريفه على الجانب التداولي في النص؛ إذ لا بدّ أن يحقق النص أهداف التواصل، فيقول: إن النص «تشكيلة لغوية ذات معنى، تستهدف الاتصال، ويُضاف إلى ذلك ضرورة صدوره عن مشارك

1 بحيري، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، 108.

2 See: Halliday, M.A.K; and Ruqaiya Hasan. *Cohesion in English*. Longman. London, 1976. p 12

ويقطين، انفتاح، ص 16.

3 السابق

واحد، ضمن حدود فترة زمنية معينة، وليس من الضروري أن يتألف النص من الجمل وحدها، فقد يتكوّن النص من جمل أو كلمات مفردة، أو أية مجموعات لغوية تحقق أهداف الاتصال، ومن جهة أخرى، فقد يكون بين بعض النصوص من الصلة المتبادلة ما يؤهلها لأن تكون مقالاً¹.

وتعد محاولة (دي بوجراند) في كتابه (النص والخطاب والإجراء) في تحديد معايير النصّية من المحاولات التأسيسية المهمة في هذا المجال؛ إذ يقول: «وأنا أقترح المعايير الآتية لجعل النصّية textuality أساساً مشروعاً لإيجاد النصوص واستعمالها»،² منطلقاً من أن النص حدث تواصل يُلزم لكونه نصّاً أن تتوفر له سبعة معايير للنصّية مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلّف واحد من هذه المعايير، وهي:

- السبك Cohesion أو الربط النحوي.
- الحبك Coherence وقد ترجم أحياناً بالالتحام، أو بالانسجام، ويتحقق بواسطة الروابط المعنوية الموجودة في النص.
- القصدية Intentionality أي هدف النص، ومقاصد مؤلفه، وأهدافه التي يريد الوصول إليها من خلال النص.
- القبول أو المقبولية Acceptability وتتعلق بموقف المتلقي من قبول النص.
- الإخبارية أو الإعلامية Informativity أي توقع المعلومات الواردة فيه أو عدمه.

1 دي بوجراند، روبرت؛ وولفجانج دريسلر، مدخل إلى علم لغة النص، (ترجمة: إلهام أبو غزالة، علي خليل)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1999، ص 9.

2 دي بوجراند، روبرت، النص والخطاب والإجراء، (ترجمة: تمام حسان)، 1998، ص 103.



- المقامية Situationality وتتعلق بمناسبة النص للموقف.
 - التناص Intertextuality، أو التبالغية، ويتضمن العلاقات بين نص ما، ونصوص أخرى مرتبطة به.¹
- نلاحظ أن هذه المعايير بعضها يتصل بالنص نفسه، (السبك والحبك)، وبعضها يتصل بمنتج النص ومتلقيه (القصد والمقبولية)، وبعضها يتصل بظروف إنتاج النص وتلقيه (المقامية والتناص).² وتوافر هذه المعايير كاملة في النص يجعله كلاً متماسكاً، لكن علماء النص يرون أن نصية النص قد تتحقق بأقل قدر من هذه المعايير،³ ومن هنا رأوا في معايير (دي بوجراند) التحديد الأمثل للعناصر المشكلة لنصية النص، فهي تشبه اللائحة الحاضنة لنحو النص،⁴ وسيعتمد البحث في فصوله التطبيقية هذه المعايير النصية في تحليل رسائل زايد الأول.

1 انظر: دي بوجراند، روبرت، النص والخطاب والإجراء، ص 103-104، وبحيري، علم لغة النص، ص 111، وانظر: هاينه من، فولفجانج؛ وديتر فمفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، (ترجمة: فالح بن شبيب العجمي)، منشورات جامعة الملك سعود، الرياض، 1999، ص 93.

2 مصلوح، سعد، «نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية»، مجلة فصول، مج10، العددان: الأول والثاني، 1991، ص 154. وانظر: الطالب، «من نحو الجملة إلى نحو النص»، ص 104-105.

3 انظر: عبد الكريم، أشرف عبد البديع، الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة، 2008، ص 75. وانظر: بحيري، علم لغة النص، ص 146.

4 انظر: آدمستيك، كرستين، لسانيات النص، عرض تأسيسي، (ترجمة: سعيد حسن بحيري)، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2009، ص 112.

ونشير إلى أن ملامح الدراسة النصية وإرهاصاتها لم تكن غائبة عن تراثنا العربي، ونلاحظها في أقوال تراثية وتطبيقات كثيرة، كما نجد في قول ابن هشام: «القرآن كله كالسورة الواحدة، ولهذا يذكر الشيء في سورة وجوابه في سورة أخرى»¹. ففي ذلك إشارة إلى قراءة النص وبيان كفاءته النصية والإقناعية التي جعلت من هذه الرسائل مراجع قيمة مازال يتم تداولها لمفهوم النصية، وقد برزت مفاهيم نصية كثيرة في سياق الدراسات القرآنية التي تناولت تحليل القرآن الكريم وتفسيره، كما نجد في علم المناسبة الذي يُعنى بتناسب الآيات مع بعضها، الذي يقول الزركشي عنه: «وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها أخذًا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء»². ولعل هذا القول يلامس معيار الحبكة (الانسجام) كما حدده (دي بوجراند) الذي يقوم على ربط العلاقة بين أجزاء النص.

وعلى مستوى الدراسات النقدية والبلاغية في التراث، نجد إشارات نصية كثيرة، كما نلاحظ على سبيل المثال عند الجاحظ والجرجاني؛ فالجاحظ يقول واصفًا أجود الشعر: «وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغًا واحدًا، وسُبك سبكًا واحدًا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدّهان»³. وهو ما أسماه عبد القاهر

- 1 ابن هشام الأنصاري، عبدالله بن جمال الدين، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، 1992، ص 328
- 2 الزركشي، محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، 2006، ص 36.
- 3 الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998، 1 / 67.

الجرجاني بالنظم، القائم على تناسب أجزاء الكلام مع بعضها، يقول: «وإذا عرفت هذا النمط من الكلام، وهو ما تتحد أجزاءه حتى يُوضع وضِعاً واحداً، فاعلم أنه النمط العالي والباب الأعظم، والذي لا ترى سلطان المزية يعظم في شيء كعظمه فيه»¹.

وقد توقف عدد من نقاد التراث عند وسائل الربط النصي والعلاقات التي تحقق تماسك النص، كما نجد عند حازم القرطاجني الذي تحدّث عن تماسك القصيدة وتناسب معانيها في غير موضع، ومنها قوله: «وينبغي أن تكون النقلة من أحد المعنيين إلى الآخر فيما قصد إليه التفرّيع متناسبة، وأن يكون المعنى الثاني مما يحسن اقترانه بالأول، ويُفيد الكلام حسن موقع من النفس»².

فهذه إشارات لملامح الدراسة النصية في التراث، وقد توقف بعض الباحثين مفصلاً عند تلك الجهود النصية في التراث³. ونشير أخيراً إلى أن اللسانيات النصية قد تفرّعت إلى ثلاثة مجالات، تمثل فروع علم النص، هي:⁴

1 الجرجاني، عبد القاهر بن محمد، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط3، 1992، ص 95.

2 القرطاجني، أبو الحسن، حازم بن محمد، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، الدار العربية للكتاب، تونس، ط3، 2008، ص 54.

3 انظر: عبد الكريم، الدرس النحوي النصي، فقد قدّم إسهاماً مهماً على صعيد دراسة النصية في التراث العربي.

4 انظر: واورزنيك، زستسلاف، مدخل إلى علم النص، (ترجمة: سعيد حسن بحيري)، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2003، ص 66.

1. علم النص النظري، أو نظرية النص: ويُعنى هذا الفرع بقضايا النص النظرية، مثل علم بناء النص، وتشكيله.
2. علم النص الوصفي، أو تحليل النص: وهو علم عملي يُعنى بتحليل النصوص، وتصنيفها.
3. علم النص التطبيقي: ويُعنى باستخدام النصوص، واستيعابها، وتعليمها.

أما فيما يتعلّق بالمجالات التطبيقية للسانيات النصية، فهو «يهتم بوصف أشكال نصية، وأبنية نصية مختلفة، وشروطها، ووظائفها، وتأثيراتها المتباينة، والمحادثات اليومية، والأحاديث العلاجية، والمواد الصحفية، والحكايات والقصص، والقصائد، ونصوص الدعاية، والخطب، وإرشادات الاستعمال، والكتب المدرسية، والكتابات والنقوش، ونصوص القانون والتعليمات»،¹ ومن مهمات هذا العلم «وصف العلاقات الداخلية والخارجية للأبنية النصية، بمستوياتها المختلفة، وشرح المظاهر العديدة لأشكال التواصل، واستخدام اللغة، كما يتم تحليلها في العلوم المتنوعة».² وهذا لا يعني أن على نحو النص وعلومه صياغة مشكلات العلوم الأخرى، أو حلها، «بل يدور الأمر حول عزل جوانب محددة في هذه التخصصات العلمية؛ أي الأبنية، واستعمال أشكال نصية للاتصال، وتحليلها داخل إطار متكامل ومتداخل، فيتوقف عند الجوانب التي يجب أن يشمل عليها أساساً

1 توين، فان ديك، علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، (ترجمة: سعيد حسن بحيري)، دار القاهرة، ط2، 2005، ص 11.

2 فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1992، ص 247.

كل نص في لغة ما، حتى يمكن أن يُوظف بوجه عام بوصفه نصًا. وهنا يتصل الأمر بالأبنية النحوية والتركيبية والدلالية والبرغماتية والأسلوبية، وعلاقتها المتبادلة. إذن يتصل بأداء النص ووظيفته؛ أي تحليل خصائص إدراكية عامة تمكّن من إنتاج معلومة نصية معقدة وفهمها»¹.

ثالثًا: الفرق بين نحو الجملة ونحو النص

توقف اللسانيون عند أهم النقاط التي تميز نحو النص عن نحو الجملة، ويمكن أن نلخصها بالنقاط الآتية:

يعدّ نحو الجملة «صورة من صور التحليل النحوي يقف في معالجته عند حدود الجملة، ويرى أن الجملة هي الوحدة اللغوية الكبرى التي ينبغي أن يُقعد لها، دون أن يتجاوزها إلا في القليل النادر»². في حين أن نحو النص هو فرع من فروع اللسانيات يُعنى بدراسة النص وأبرز مميزاته، وتماسكه، وآساقه. والبحث عن محتواه الإبلاغي التواصلي، حيث تحتل النصية فيها مكانًا مرموقًا، لأنها تجري على تحديد الكيفيات التي ينسجم بها النص / الخطاب (Texte/Discours)، وتكشف عن الأبنية اللغوية، وكيفية تماسكها وتجاورها، من حيث هي وحدات لسانية؛ تتحكم فيها قواعد إنتاج متتاليات منبئية³.

- 1 لجلولي، فهمية، «علم النص، تحريات في دلالة النص وتداوله»، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العددان: العاشر والحادي عشر، 2012، ص 228.
- 2 انظر: عفيفي، أحمد، نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2001، ص 65.
- 3 ابن عمار، أحمد مداس، تحليل الخطاب الشعري من منظور اللسانيات النصية، تحولات الخطاب النقدي المعاصر، 2006، ص 495.

يتجاوز التحليل اللساني النصي في ضوء نحو النصوص نظرة التحليل النحوي التقليدي، وتنحصر مهامه في دراسة الخواص التي تؤدي إلى تماسك النص، فيعطي عرضاً لمكونات النظام النصاني، متجلية بمسألة وسائل الربط النصي، وقد حاولت مجموعة من اللسانيين تأسيس نظرية شاملة، تبحث في الترابط النصي من حيث أشكاله ووسائله.¹

1. يتوقف نحو الجملة، عند الجملة ويعزلها عن سياقها اللغوي في النص، وهذا ما يجعل النحويّ تسم بالاستقلالية عن المواقف اللغوية:² فالنحو هنا تحليلي لا تركيب، في حين أن نحو النص ينظر إلى المسألة في إطار شمولي كلي، وتصور يراعي فيه السياق النصي، وغير النصي، المؤثر في النص، كما ينظر في عناصر التلقي والفهم والاستيعاب، وغيرها، وربما من هذا الفهم قسم جون لوينز الجملة إلى نوعين: الجملة النصية التي تستمد دلالتها من داخل النص، والجملة غير النصية وهي عبارة عن جزء من الجملة.³

2. يحكم نحو الجملة مجموعة من المبادئ، أجملها الدكتور تمام حسان في أربعة مبادئ، هي: الاطراد؛ أي ثبات القاعدة في الحكم على اللغة الفصيحة؛ والمعيارية، فالقاعدة في النحو هي أساس الصواب أو الخطأ؛ والإطلاق؛ أي إننا نطلق القاعدة لتصدق على كل ما قيل أو سيقال؛ والاقتصار على بحث العلاقات في حدود الجملة الواحدة.⁴

1 بوقرة، نعمان، المصطلح اللساني النصي، قراءة تأصيلية سياقية، أعمال ملتقى «اللغة العربية والمصطلح»، منشورات مخبر اللسانيات واللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، مايو، 2002، ص 248.

2 عفيفي، نحو النص، ص 72.

3 Lyons, John, *Linguistic semantics*. Cambridge university press, 1995, P 261

4 عفيفي، نحو النص، ص 73-74.

وسنجد أن نحو النص ينأى عن الاطراد؛ لأنه ينطلق في دراسة النص من المؤشرات الأسلوبية التي تميزه، وهي مؤشرات فردية لا تأتي على نسق واحد، لذلك فإنّ النص هو موضوع البحث، كذلك يتعد نحو النص عن المعيارية؛ لأنه « نحو تطبيقي غير نظري، فلا ينشأ إلا بعد أن يكتمل النص». ¹ أما معيار الإطلاق، فالحكم في نحو النص تابع، يأتي بعد إنتاج النص وتحقيقه لفعله التواصلي. وإذا اقتصر نحو الجملة على الجملة فلم يتعدّها، فإنّ نحو النص سينطلق إلى النص، ليدرس الروابط النصية، والعلاقات التي شكّلت نصيته.

ومع كل هذه الفروقات بين هذين الاتجاهين من الدرس اللغوي، إلا أنّ ذلك لم يمنع اللسانيين من الإشارة إلى أن الدعوة إلى توجه العناية إلى درس النصية، «لا تعني رفض مقولات نحو الجملة، أو التقليل من قيمتها، أو التشكيك في صحتها، بل الأمر بالنسبة لعلماء النص يمكن أن يتحدد في أنه قد تحتم بعد إدخال عناصر دلالية وتداولية إلى الوصف والتحليل اللغويين أن يتغير الإطار الأساسي الذي يضم الجملة؛ إذ إنه لم يعد كافيًا لاستيعاب العناصر السابقة، وبخاصة أنه لم يعد ينظر إليها (الجملة) كوحدة أساسية للوصف النحوي». ² ومن هنا فليس لأحد الاتجاهين أن يلغي الآخر، فلا «الاعتراف بالنصية يلغي الدراسات التحليلية، ولا تعني الدراسات التحليلية عن الاعتراف بالدراسة النصية»، ³ ومن هنا كان البحث اللساني المعاصر

1 عفيفي، أحمد، نحو النص، 74.

2 بحيري، علم لغة النص، ص 218.

3 دي بوجراند، النص، ص 4.



منصَّبًا على البحث عن شرعية وجود نحو النص إلى جانب نحو الجملة.¹
وستوقف في الفصول الثلاثة الآتية عند عناصر النصية في رسائل
زايد الأول، منطلقين من هذا الفهم النظري لمفهوم النصية، للكشف عن
تجليات النصية في هذه الرسائل.

1 الزنّاد، نسيج النص، ص 14.



الفصل الثاني



السبك النصي في رسائل زايد

الدارسين،¹ ولكون هذا المصطلح مستعملاً في تراثنا بمعنى مقارب لدلالته الاصطلاحية المعاصرة.²

يُعنى معيار السبك، بالوقوف عند الوسائل التي تضمن خاصية الاستمرارية في ظاهر النص؛ وهنا تظهر العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق، وينتظم بعضها مع بعض تبعاً للمباني النحوية، ويتحقق ذلك بتوفير مجموعة من وسائل السبك التي تجعل النص محتفظاً بكيئونه واستمراريته، ومن أهم هذه الوسائل: التكرار، وأدوات الربط، والإحالة، والحذف.³

وبناء على ذلك يمكن القول: إنّ السبك هو مقارنة نحوية للنص تبحث داخله في الربط بين العلامات اللغوية والعلاقات القائمة بينها.⁴ ومن هنا توقف الدارسون عند أهمية السبك، وفوائده النصية التي يمكن إيجازها في النقاط الآتية:⁵

- يعطي الإحساس بأن النص كله جملة واحدة، بسبب التماسك والترابط الشديدين بين أجزائه، وتقوم وسائل السبك المختلفة بإحداث هذا الترابط.

1 انظر على سبيل المثال: عبد المجيد، البديع، ص 77، ودي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 103.

2 انظر على سبيل المثال: ابن منقذ، أسامة، البديع في نقد الشعر، تحقيق أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، 1960م، ص 163.

3 دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 103-104.

4 انظر: بحيري، علم لغة النص، ص 128.

5 انظر: الشاعر، النحو، ص 50-51.

- يفيد كثيرًا في اختصار النص، حيث يمكن لمنشئ النص أن يأتي بكلمة واحدة تنشط كمًّا من المعلومات وتحلّ محلها في النص، كما هو ظاهر في الإحالة.
 - يؤدي إلى الفهم الصحيح للمفردات، فمن المعلوم أن المعنى المعجمي لمفردة ما يُحدّد عن طريق السياق والنص الذي ورد فيه، ودلالاتها قابلة للتشكّل والتغير حسب سببها في السياق النحوي.
 - يفرّق بين ما هونصّ وما هو غير نصّ؛ لأنّ السبب بما يُحدثه من ربط بين الجمل المتوالية هو مناط النصية، وبانعدامه لا تكوّن الجمل المتوالية؛ فلكي تكون لأي نصّ نصّيته ينبغي أن يعتمد مجموعة من الوسائل اللغوية التي تحقق نصيته وتسهم في وحدته الشاملة.¹
- تُقسّم وسائل السبب التي تجعل النص متماسكًا إلى قسمين رئيسيين، هما: السبب المعجمي، وقد برز في الرسائل المدروسة من خلال وسيلة التكرار، والسبب النحوي الذي برز من خلال عناصر الفصل والوصل، والإحالة. وعلى هذا التقسيم سنبني هذا الفصل.

1 قبيلات، نزار مسند؛ ومحمود سليمان، «ثنائية الاتساق والانسجام في قصيدة قميصنا البالي للشاعر سميح القاسم»، مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، مج 39، ع 1، 2012، ص 129.

أولاً: السبك المعجمي في رسائل زايد

ويبرز السبك المعجمي في الرسائل، من خلال ظاهرة التكرار المعجمي بأشكالها المتنوعة.

مفهوم التكرار

هو أحد وسائل السبك المعجمي الذي يتطلب إعادة عنصر معجمي، أو جملة،¹ وقد توقف علماؤنا في التراث العربي عند هذا المصطلح، فابن الأثير (ت: 637هـ) يقول عنه: «دلالة اللفظ على المعنى مرددًا»،² وحدّده الشريف الجرجاني (ت: 816هـ) بأنه: «الإتيان بشيء مرة بعد أخرى»،³ لكن الملاحظ على الدراسات التراثية للتكرار أنها لم تتوقف عند أثره في تحقيق السبك النصي، فقد رأى الدكتور صبيح إبراهيم الفقي في وصف دراسات القدماء للتكرار: أنه لا توجد إسهامات لهم توضّح دور التكرار في تحقيق السبك بين عناصر النص المتباعدة «وهذا نتيجة لكون دراساتهم مقصورة على الجانب الجمالي أو البلاغي في الغالب، هذا باستثناء بعض الإشارات التي أشار إليها البلاغيون».⁴

ومن إشارات علمائنا في التراث لوظائف التكرار ما نقرؤه عند أبي هلال العسكري (ت: 395هـ)، الذي يقول: «إنّ العرب استعملوا التكرار ليؤكدوا

- 1 الخطابي، محمد، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1991، ص 24، وانظر: دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 303.
- 2 ابن الأثير، ضياء الدين، أبو الفتح، نصر الله بن محمد بن عبد الكريم، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، دار نهضة مصر، القاهرة، ط2، (د.ت.) 3 / 3
- 3 الجرجاني، التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، 1985، ص 68.
- 4 الفقي، علم اللغة النصي، 17 / 2.

القول للسامع، فهو من أساليبهم، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۗ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: 5-6] فيكون للتوكيد¹. ويذهب ابن سنان الخفاجي (ت: 466هـ) إلى التكرار قد يقبح العمل الأدبي «إلا إذا كان المعنى مبنياً عليه، ومقصوداً على إعادة اللفظ بعينه، فمتى كان كذلك لم تحكم بقبح»².

أما في الدراسات النصية الحديثة، فقد عدّ الدارسون ظاهرة التكرار بصورها المختلفة «من المفاتيح التي يمكن أن تساعد على اقتناص خيط من خيوط النص التي يُراد فكّها تركيبياً لإعادة نسجها دلاليًا»³. وبذلك يعدّ التكرار ذا أهمية خاصة في سبك النص الشعري على وجه الخصوص؛ «لأنّ البنية الشعرية ذات طبيعة تكرارية حين تنتظم في نسق لغوي»⁴. وقد يأتي به المبدع عن قصد أو عن غير قصد، وهو في كلتا الحالتين على درجة كبيرة من الأهمية في اتساق النص وتماسك أجزائه، فلما كان النص مجموعة متتاليات جمالية، كان لا بدّ من ترابط هذه الجمل، حتّى تصل إلى مستوى النصية، فالتكرار أحد الوسائل الرابطة بين الجمل، لأنه مكوّن للعلاقة بينها، وقد عدّه ديفيد كريستال واحداً من أهم عناصر تماسك النص⁵.

1 أبو هلال، عبدالله بن سهل العسكري، كتاب الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1952، ص 193

2 ابن سنان، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982، ص 107.

3 عبد اللطيف، محمد حماسة، الإبداع الموازي، التحليل النصي للشعر، دار غريب، القاهرة، 2001، ص 187.

4 لوتمان، يوري، تحليل النص الشعري، (ترجمة: محمد أبو الفتوح)، النادي الأدبي الثقافي، جدة، 1999، ص 86.

5 انظر: الفقي، علم اللغة النصي، 2/ 19، وانظر: عفيفي، نحو النص، ص 106.

- وبناء على ذلك يمكن القول إن التكرار لا يرد اعتباريًا في النص، بل هو يؤدي وظائف متعددة، لعل من أبرزها:¹
1. إنعاش الذاكرة، لاستعادة مذکور سابق، والتكرار أدمى للتذكير، وأقوى ضمانيًا للوصول إليه.
 2. أمن اللبس، كما في قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: 38] فلو أن ضميرًا وضع موضع ثاني لفظي الجلالة لبدا أن الجملة الحالية، ولكان المعنى أن كسبهما النكال ارتبط بحال عزة الله وحكمته، تعالى الله عن تغير الأحوال.²
 3. التأكيد؛ أي تأكيد الربط، بدلًا من حذف عنصر ما والإضمار له. وتحقيق التكرار لتلك الوظائف يؤدي إلى حسن النظم وسبك النص، فهو يدعم النص بجملة من العلاقات التي تحقق تماسكه لفظيًا عبر اللفظ المكرر ودلاليًا عبر ما ينتج عنه من دلالات تنتج عن كل تكرار.³

1 انظر: الشاعر، النحو، ص 113.

2 حسان، تمام، البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، 2002، 1/ 131.

3 انظر: النجار، ناديا رمضان، عناصر السبك بين القدماء والمحدثين، ضمن كتاب: المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية، بعنوان: العربية بين نحو الجملة ونحو النص، كلية دار العلوم، 2005، 2/ 592.

1. تكرار اللفظ مع وحدة المعنى، وهو التكرار التام، أو الكلبي، ويكون بتكرار الكلمة بعينها؛ أي ببنيتهما، وبمعناها.
2. التكرار الجزئي، ويقصد به تكرار جذر اللفظ؛ أي مكونه الأساس.
3. تكرار المعنى مع اختلاف اللفظ، وهو المعروف بالترادف، من خلال عطف اللفظ على مرادفه.
4. التكرار النحوي (التوازي)، وهو عبارة عن تكرار بنيوي في جملة أو في مجموعة من الجمل،² من خلال رصف جمل عدة على النسق والتركيب نفسه، وقد تختلف الجمل في مفرداتها من دون نظام التركيب، بمعنى هو تكرار قوالب التركيب واختلاف المحتوى، فهو نوع من تكرار المباني والتراكيب النحوية.³

وستتوقف فيما يلي عند أنماط التكرار في رسائل زايد:

تكرار الجملة والعبارة

تقدّم لنا رسائل زايد الكبير صورة عن طرق صياغة المكاتبات الرسمية التي كانت سائدة في عصره، وقد أشرنا إلى هذه الصورة تقوّم على تصميم

- 1 انظر: الشاعر، صالح، النحو وبناء الشعر في ضوء معايير النصية، ص 114. عفيفي، أحمد، نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص 106. البطاشي، خليل بن ياسر، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير للنشر والتوزيع، عمّان، 2013، ص 66-68.
- 2 انظر: قياس، ليندة، لسانيات النص، النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، 2009، ص 133.
- 3 الداودي، زاهر بن مرهون، الترابط النصي بين الشعر والنثر، دار جرير للنشر والتوزيع، عمّان، 2010م، ص 57.

محدد في بناء النص الرسائي، وكان من مقتضيات ذلك بروز التكرار والتشابه في افتتاحيات الرسائل وخواتيمها، وقد رصدنا هذا النمط من التكرار في مفتح الرسائل في الجدول رقم (1):

عدد مرات تكرارها	رقم الرسالة التي وردت فيها	العبارة
24	1، 2، 10، 12، 13، 18، 19، 21، 22، 23، 24، 25، 27، 29، 31، 32، 36، 38، 42، 66، 67، 68، 70، 71	سَلِّمَهُ اللهُ تَعَالَى، وَأَبْقَاهُ وَرِعَاهُ إِنْ شَاءَ اللهُ
15	4، 7، 8، 9، 11، 14، 15، 16، 17، 20، 33، 34، 35، 41، 43	سلمه الله تعالى ورعاه
4	26، 30، 65، 69	سلمه الله تعالى
2	3، 40	سَلِّمَهُ اللهُ تَعَالَى وَرِعَاهُ وَحِرْسَهُ
2	6، 28	سلمهم الله تعالى وأبقاهم ورعاهم، من جميع المكاره وقاهم إن شاء الله
2	37، 39	سَلِّمَهُ اللهُ تَعَالَى وَأَبْقَاهُ الْبِقَاءِ الْجَمِيلِ
1	5	سَلِّمَهُ اللهُ تَعَالَى وَرِعَاهُ وَنَجَّاهُ آمِينَ إِنْ شَاءَ اللهُ

جدول 1: التكرار والتشابه في افتتاحيات الرسائل وخواتيمها

فالدعاء بالسلامة في مفتح الرسالة هي العبارة الدعائية المكررة في الرسائل جميعها، وتتمثل بعبارة: (سلمه الله تعالى)، ثم سيضاف إلى هذه الصيغة لواحق دعائية أخرى، تدور في فلك (رعاية الله، حراسته للمخاطب، الدعاء له بالبقاء، الدعاء له بالوقاية من المكاره، الدعاء له بالبقاء الجميل، والنجاة).

أما التكرار في مختتم الرسائل فقد اتخذ الصيغ الآتية كما ورد في الجدول رقم (2):

عدد مرات تكرارها	رقم الرسالة التي وردت فيها	العبارة
4	1، 22، 23، 65	ومنّا الأولاد إخوانك طحنون وصقر وإخوتهم يسلمون عليك، والسلام
3	16، 34، 68	ومن لدينا الأولاد خليفة وطحنون وإخوتهم يسلمون عليك
18	2، 5، 6، 10، 12، 14، 24، 25، 28، 29، 37، 38، 39، 42، 66، 67، 70، 71	سلم لنا على... ومننا إخوانك الأولاد طحنون وصقر وسعيد وسلطان، وخادمكم محمد بن جبر، والجماعة يسلمون عليكم، وأنت سالم، والسلام.
19	3، 4، 7، 8، 9، 11، 15، 17، 20، 26، 30، 31، 32، 33، 35، 36، 40، 43	سلم على ... ومن لدينا الإخوة طحنون وصقر يسلمون عليكم، ودم سالمًا، والسلام.
3	13، 18، 41	لتعلم ذلك والسلام
1	21	لتعلم ذلك

العبارة	رقم الرسالة التي وردت فيها	عدد مرات تكرارها
والسلام	69	1
والسلام من محب الجميع محمد بن مسفر بيده	27	1

جدول 2: التكرار في مختتم الرسائل

وهنا يمكن أن نسجّل الملاحظات النصّية الآتية على أسلوب هذه الخواتيم:

- تبادلية السلام بين مرسل النص الشيخ زايد الأول، والمرسل إليه، والتي تظهر من خلال طريقتين، تظهر الأولى عبر الوحدة اللغوية الممثلة بصيغة فعل الطلب (سَلِّمْ) التي تليها أسماء الشخصيات التي يوجّه إليها السلام، ثم عبر الارتداد إلى الذات الممثلة بأفراد الأسرة المُعبر عنهم بالجار والمجرور المُكرر (منّا) أو (من لدينا)، وهنا يبرز السلام المُوجه من أفراد الأسرة إلى المرسل إليه، وهذا ما يضيف على الرسالة طابعًا اجتماعيًا، ونلاحظ أن هذا الأسلوب هو الطاغي في بنائية الرسائل، وقد تكرر هذا الأسلوب سبعًا وثلاثين مرة؛ ثماني عشرة مرة مع الجار والمجرور (منا)، وتسع عشرة مرة مع المجرور (من لدينا)، وبنية لغوية مكررة تشكل ملمحًا أسلوبيًا خاصًا في رسائل زايد.

- تتخلى خاتمة الرسالة عن الصيغة الطلبية (سَلِّمْ) الواردة في الأسلوب السابق، وتكتفي بتوجيه السلام من المرسل وأفراد الأسرة من خلال اعتماد ضمير المتكلم الدال على الجماعة (نا)، وهنا تتشابه هذه الصيغة مع الصيغة المُتممة في الصيغة السابقة، وتقوم الخاتمة على العبارة

المكررة الآتية: (ومنّا الأولاد إخوانك يسلمون عليك، والسلام)، وقد تحذف لفظة (والسلام)، وتتبدل صيغة الجار والمجرور في بداية الجملة، فتأتي الخاتمة على النحو الآتي: (ومن لدينا الأولاد.... يسلمون عليك)، وقد تكررت الخاتمة الأولى أربع مرات، والثانية ثلاث مرات.

- تُختتم الرسائل في مواضع نادرة بصيغة طلبية، هي (لتعلم ذلك)، وقد تأتي مصحوبة بلفظة (والسلام)، فقد كررت الصيغة الأولى مرة واحدة في الرسائل، في حين كرر الأسلوب الثاني ثلاث مرات، وهنا يظهر الأسلوب الذي ميز طريقة بنائية الرسائل القائم على الإيجاز والتكثيف، ولاسيّما عندما تسعى الرسائل إلى حلّ خلاف أو مشكلة تعترض المجتمع، وتحت هذه الغاية تندرج الرسائل التي ختمت بلفظ مكثف من دون تفصيل في السلام، وهي الخاتمة التي تقوم خاتمها على لفظة (والسلام) وقد وردت مفردة في رسالة واحدة، ومصحوبة بتحديد الشخص الموجه إليه السلام مرة واحدة أيضاً.

- تقديم العنصر المهم على صعيد بنائية الجملة، وهذا ما يبرز من خلال تقديم الجار والمجرور (منا) و(من لدينا) على الفعل المكرر (يسلمون) أو من خلال تكرار المسند إليه (الأولاد) أو (إخوانك) على المسند (يسلمون)، وهي صيغة تكررت في جميع الرسائل.

تكرار الصيغة الاشتقاقية

يبرز في مقدمة الرسائل، سمة أسلوبية مكررة، تتمثل في إسباغ عدد من الصفات على المرسل إليه، وتبرز هذه الصيغة الاشتقاقية الاجتماعية المكررة تواصلية عالية مع المخاطب، تتمثل في احترام المخاطب والإعلاء من شأنه، وهذا من شأنه إظهار الاحترام المتبادل معه، كما تُسهم في رفع مستوى التواصلية، وهذا ما يظهر في إسباغ الصفات الحميدة على المخاطب الذي توجه الرسالة إليه، وهنا تبرز صيغ اشتقاقية، هي: صيغة اسم التفضيل، وصيغة اسم المفعول واسم الفاعل وصيغة الصفة المشبهة على وزن فاعيل، ولهذه الصيغ بعد اجتماعي ألسني، سنلمسه بعد التوقف عند تلك الصيغ التي تتمثل على النحو الآتي كما ورد في الجدول رقم (3):

نوعها	الصيغة الاشتقاقية
اسم تفضيل	الأجل، الأحشم، الأحشام، الأكمل، الأمجد، الأشيم، الأفخم، الأرشد، الأفخم
اسم مفعول من فوق الثلاثي	المكرم، المحترم
اسم فاعل من فوق الثلاثي	المحب، المؤدّ
صفة مشبهة باسم الفاعل	العزیز، الكرام، الوفي، الصفيّ، حميد، زكي،

جدول 3: الصيغة الاشتقاقية الاجتماعية في الرسائل

وقد تحقّق السبك عبر هذا النمط من التكرار من خلال العناصر الآتية:

تكرار اسم التفضيل بصيغة المفرد عندما تكون الرسالة موجّهة إلى المفرد، وتكرارها بصيغة الجمع عندما يكون المخاطب جماعة من الناس، مثل: (الأحشم/ الأحشام)، وعنصر الربط بين هذه النعوت المتكررة يظهر من خلال جعل المخاطب، مركز الدلالة ثم تتلاحق الصفات المبجلة له، وهي صيغة مكررة في جميع الرسائل، تدل على أنها كانت الصيغة المعتمدة في المخاطبة في ذلك الزمن، ومن أمثلة هذا التكرار:

إلى جناب الأجل الأكمل المكرم الأحشم الأجد الولد العزيز الشيخ خليفة بن زايد بن خليفة المحترم¹.

هنا يبدأ الخطاب بوصف الصلة الاجتماعية للمرسل إليه، من خلال الألفاظ الآتية: (جناب، الشيخ، الولد، الأخ)، وبنية هذه الجمل تقوم على التقديم والتأخير، فالأصل التركيبي أن يأتي الموصوف الحقيقي، وهو المخاطب أولاً، وهو في الشاهد: (الشيخ خليفة) ثم يتبع بالصفات، لكن يبدو أن المكاتبات الرسمية ذات الطابع السياسي، وهو ما لاحظناه في جميع الرسائل المدروسة، تقوم على تقديم الصفات على الموصوف، وفي هذا إعلاء من شأن المخاطب، من خلال أسلوب التلطف في المخاطبة، فتأتي الصفات الدالة على التبجيل والاحترام ويكون تكرار هذه الصفات من دون ربط بحرف العطف إبرازاً لصفات المخاطب.

1 ابن كراز المهيري، رسائل، ص 23.

وتسيطر صيغة اسم التفضيل (أفعل) للمذكر، وقد جاءت في جميع الرسائل بصيغتها القياسية، وقد حقق تكرارها ترابطاً في الصياغة النصية، والصيغ المكررة، كما نلاحظ في الشاهد السابق، وفي بقية الرسائل، هي: الأجل: هي صيغة مشتقة من الثلاثي جلّ¹، تدور دلالتها في فلك التعظيم للمخاطب، وإبراز سمة مفارقة فيه تميّزه عن غيره.

الأحشم: وهي صيغة مشتقة من الثلاثي حشم، وتنصبّ دلالتها في إسباغ صفة الحياء² على المخاطب.

الأرشد: وهي صيغة مشتقة من الثلاثي رشد، وتدور في فلك دلالة الاهتداء، والراشد هو المستقيم على طريق الحق، والرشيد هو حسنُ التقدير³.

الأشيم: وهي صيغة مشتقة من الفعل الثلاثي شيم، والشيمة هي الخُلُق⁴. الأفخم: وهي صيغة مشتقة من الثلاثي فخم، وهي صيغة دالة على علو القدر⁵.

الأكمل: وهي صيغة مشتقة من الفعل الثلاثي (كمل)، وتدور دلالتها في فلك تمام الصفات،⁶ وهنا إسباغ لهذه الصفة على المخاطب.

الأمجد: وهي مشتقة من الثلاثي مجد، وهي دالة على المغالبة في المجد،

1 مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، (جلل).

2 انظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، (حشم).

3 انظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، (رشد).

4 انظر: السابق، (شيم).

5 انظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، (فخم).

6 انظر: السابق، (كمل).

فالمجد هو الشريف الخَيْر، والمجد هو النبل والشرف، كما تأتي دالة على صاحب المجد، ويقال: أَمجد الله فلانًا؛ أي كَرَّم فعاله،¹ فصيغة التفضيل هنا تأتي حاملة لكل تلك الدلالات التي تُسبغ على المخاطب على سبيل المدح.

يدل اسم التفضيل على تفضيل شيء على آخر، وعلى زيادة في الصفة الموجهة في المخاطب على سواه، وهذه الصفة منحصرة بالصفات الإيجابية التي تميز المخاطب عن غيره، مما تجعله مستحقًا للحظوة التي خصّه بها المرسل، ولا شك أن هذه الصيغ مرتبطة بطرق التعبير في السياق الاجتماعي الذي أنتجت فيه في تلك المرحلة الزمنية، فهي صيغة دالة على المكانة الاجتماعية للمخاطب، فهو ذو مكانة عالية استحقّ بناء عليها أن ينعت بهذه الصيغة التفضيلية.

- تكرار الصفة المشبهة باسم الفاعل، فقد وردت دالة على ثبوت الصفة في الموصوف/المُخاطَب، والصفات المكررة في مقدمات الرسائل هي: (العزیز، الكرام، الوفي، الصفي، حميد، زكي)، فقد أضفى مرسل الخطاب هذه الصفات على المُخاطَب، تحببًا وتلطّفًا في الخطاب، ولما يحملها هذا المشتق من دلالات تعزز الثقة في المخاطب، كما نلاحظ في المخاطبات الآتية:

إلى جناب الأجل المكرم الأحشم الولد العزيز الشيخ خليفة بن زايد².
إلى جناب الكرام الأحشام المشايخ الأولاد خليفة بن زايد وأحمد بن محمد بن هلال³.

1 انظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، (مجد).

2 ابن كراز المهيري، رسائل، ص 27.

3 السابق، ص 31.

إلى جناب الأجل الأحشم المحبّ الوفي الصفي الشيخ أحمد بن محمد
بن هلال المحترم¹.

إلى جناب المكرم الأجل الأكمل الأرشد الأفخم حميد الشيم الزكي
الوفا الولد الشفا أحمد بن محمد بن هلال المحترم².

فاتحقق الربط من خلال جعل المخاطب مركز الدلالة، ثم تتلاحق
الصفات المقترنة به، والفا تحمل دلالات عدة ففصف بها، وتمامور حول
الدلالات الآففة:

العزفز، هفا صفة مشتقة من الفلاففا: عزّ، واءور دالفها فف فلك القوا
البرفء من الفل، كما تأتي دالة على مكانة عالية عند مرسل الخطاب، من
باب القول: عزّ فلان على فلان: كرم عليه³.

الكرام: واءر بصفة الفمع، مفراءها كرفم، وهفا مشتقة من الففل
الفلاففا: كرمّ، وهفا اءور فف فلك دلالة العطاء والفوء⁴ فهفا ففنا فف مع الفؤم
والبفل، وهفا من الفمات المأموءة والمطلوبة فف مفامعنا، وهفا فعزز مكانة
صاحبها فف نفوس الناس، وفف نفس من اءار ففقه من ولاة الأمور، من هنا
نرف المرسل فعززها فف المخاطبفن.

1 ابن كراز المهبرف، رسائل، ص 35.

2 السابق، ص 73.

3 انظر: المعجم الوسفف، (عز).

4 انظر: مفع اللغة العربفة، المعجم الوسفف، (كرم).

الوفاي: وهي لفظ مشتق من الثلاثي: وَفَى، وتدور دلالتها في فلك الصدق والالتزام بالعهد،¹ وهي صفة مطلوبة بين الحاكم والرعية، ودالة على ترابط اجتماعي عندما يطلقها الحاكم على من يعملون معه.

الصفوي: لفظ مشتق من الثلاثي: صفا، ودلالة العامة الصفاء والخلو من الكدر، والصدق في الود والإخاء والإخلاص فيه،² وهي من الصفات التي تميز من يتسم بها عن غيره من الناس، وتعلي من مقامه بينهم.

حميد: وقد ورد هذا المشتق مركبًا تركيبًا إضافيًا: حميد الشيم؛ أي صاحب الشيم والصفات المحمودة، وهي تأكيد لما سبقها من صفات ونعوت يضيفها المرسل على المخاطبين.

زكي: وهو لفظ مشتق من الثلاثي: زكا، وهو وصف مستخدم في الرسائل بمعنى الصلاح، فيقال: زكا الرجل؛ أي صَلَحَ.³

• تكرار صيغة اسم المفعول من فوق الثلاثي للربط في مقدمة الرسائل، وقد تكررت في الرسائل صيغتان هما: (المُكْرَم، المُحْتَرَم)، وغالبًا ما تردان معًا، كما نلاحظ في الشاهد الآتي:

إلى جناب المُكْرَم الأجل الأحشم الوفاي الولد الشيخ أحمد بن محمد بن هلال المُحْتَرَم.⁴

1 انظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، (وفاي).

2 انظر: السابق، (صفو).

3 انظر: المعجم الوسيط، (زكي).

4 ابن كراز المهيري، رسائل، ص 81.

وتأتي كلمة (المكرم) في بداية الجملة التي توجّه إلى المخاطب، في حين تحتل كلمة (المحترم) موقع الكلمة الأخيرة في الجملة التي تحدد شخصية المرسل إليه.

وصيغة اسم المفعول من فوق الثلاثي تحمل دلالة من وقع عليه الفعل، سواء من مرسل الخطاب، أو من الناس؛ أي تحمل دلالة اجتماعية، فالمكرم هو من وقع عليه فعل الإكرام تبيحاً له، وهو ما ينطبق على لفظة (المحترم)، فهي تحمل الدلالة نفسها، ولكن موقعها دومًا في نهاية الجملة، يجعلها تأخذ موقعًا بارزًا تأكيدًا على مضمونها وما تحمله من احترام وتوقير يلفت انتباه المتلقي أو قارئ الرسائل.

• تكرر صيغة اسم الفاعل من فوق الثلاثي للربط بين عناصر مقدمة الرسائل، وقد تكررت في الرسائل صيغتان هما: (المحب، المود)، وقد وردتا معًا كما نلاحظ في الشاهد الآتي:

إلى جناب المكرم الأحشم المحبّ الوفي والمودّ الصفي الشيخ أحمد بن محمد بن هلال¹.

فصيغة اسم الفاعل تدل على من قام بالفعل، وهي صفة مقترنة بشخصية المخاطب، من باب الاعتراف بصفات تميّزه، فالمحب هو الذي يظهر محبته ووفاءه للمرسل، ومثلها كلمة (المودّ) فهو الذي يظهر المودة والمحبة للمرسل قولاً وعملاً، وتتضافر هذه الصيغة مع بقية الصيغ الاشتقاقية السابقة في تحقيق الربط بين الكلمات عن طريق جعلها جميعاً

1 ابن كراز المهيري، رسائل، ص 39.

مقترنة بشخص المرسل إليه، أو المخاطب في الرسائل، وهو ما يحقق ربطاً وتماسكاً على صعيد التقديم في الرسائل.

1. الربط التكراري

المراد بالربط التكراري، أن تتكرر كلمة في النص، بصياغتها ذاتها، أو بتعديل طفيف في بنيتها الاشتقاقية، أو في حالات متنوعة كأن ترد بصيغة الإفراد مرة، وبصيغة الجمع مرة أخرى، وتكون مركزاً للدلالة، مما يجعلها تشكل عنصراً ربطاً نصي، وقد تعددت صور هذا التكرار في الرسائل، ومنها:

3-1: تكرار كلمة

ومن الكلمات المفتاحية المكررة في الرسائل، تكرار كلمة (خير) كما نلاحظ في الشاهد الآتي:

والدك بحمد الله بخير، ولا زلت بحال الخير¹.

فتكررت لفظة (خير) نكرة مرة، ومعرفة مرة ثانية، وهي من الألفاظ المكررة في الرسائل جميعها، ويظهر الربط من إيضاحها حال طرفي التواصل، فمن المهم في هذا النمط الرسائلي إخبار المخاطب بحال المرسل فتأتي لفظة الخير موضحة لهذه الحال، كما أنها تؤكد عبر الصيغة الدعائية (لا زلت) تمنى المرسل للمخاطب أن يكون على هذه الصورة، فشكلت اللفظة عنصراً دلاليًا رابطاً بين طرفي عملية التواصل.

ومنه تكرار لفظة (حال)، فقد كررت في الرسالة الأولى، على سبيل المثال، ست مرات، على النحو الآتي:

1 ابن كراز المهبيري، رسائل، ص 21.

ولا زلت بحال الخير، والأحوال من فضل الله جميلة، ... وحالك لم يزل جميلاً بحال بما قدره الله ... فالله المحمود على كل حال، ولا يخفك في يوم اثني عشر من الشهر الحال وصلنا راجعين إلى أرض الوطن بحال الصحة والسلامة.

فقد شكل تكرارها في خمس مواضع بؤرة لانطلاق دلالة الجمل، وهي في مجملها تدور في فلك الدعاء، فالحال، هنا، المقصود بها حال المرسل، وحال المتلقي، وصيغة الجمع (أحوال) مرتبطة بالأسرة والإمارة من النواحي المختلفة، فمهمة التكرار هنا، هي تأكيد دلالة أن الأمور بأحسن ما يكون، أما كلمة الحال التي جاءت في التركيب النعني (الشهر الحال) فعلاقتها مع كلمة (حال) الواردة في السياقات الخمسة السابقة، هي علاقة جناسية، فالمراد بالشهر الحال؛ أي الشهر الحالي؛ أو الجاري الذي كتبت فيه الرسالة. ومن التكرار الرابط بين جمل النص، تكرار الصيغة المتنوعة ذات الأصل الاشتقائي الواحد، كما نلاحظ في الشاهد الآتي:

وصلنا راجعين إلى أرض الوطن بحال الصحة والسلامة، ثم الواصلة إليكم ثلاثين ريال للخيل... ثم واصلك كتاب للشيخ سلطان بن راشد اليعقوبي¹.

فشكّل تكرار ألفاظ (وصلنا، الواصلة، واصلك) عنصراً يربط بين الجمل المشكلة للنص، فالفعل الأول دالّ على الوصول إلى أرض الوطن، و(الواصلة) إليكم؛ أي المرسله إليكم، والكلمة الثالثة (واصلك) فهذا الاستخدام اللهجي

1 ابن كراز المهبيري، رسائل، ص 21.

العامي لهذا اللفظ، والمُرَاد: واصل إليك، فالدلالة العامة التي جمعت المقطع السابق كلها تدور في فلك الوصول والإيصال، وعلى هذه الكلمات المكررة يقوم بناء المقطع.

تكرار كلمة (كتاب) بمعنى رسالتك، أو خطابك، وهي من المفردات المكررة في الرسائل، ومن أمثلة تكرارها:

وأخبرنا تجدها في كتاب أحمد بن هلال، كتابك الشريف وصل...¹

فتكرار هذه اللفظة دالّ على صيغة التواصل الكتابية التي كانت سائدة وقتئذ بين أطراف الخطاب، فاللفظة في الموضع الأول دالة على أخبار المرسل، واللفظة الثانية المتصلة بكاف الخطاب دالة على أخبار الطرف الآخر، والربط تمثل في تكرار اللفظة الدالة على هذين الحالين.

2-3: تكرار الصيغة الفعلية

وهنا نلمح أن الرابط بين الجمل متحقق عبر تكرار الصيغة الفعلية التي تؤدي دور تصور الحدث، أو الطلب القيام بالمطلوب من المخاطب، ومن الأمثلة الدالة على هذا التكرار النحوي ما جاء في الرسالة الخامسة الموجّهة إلى الشيخ خليفة بن زايد:

كتابك الشريف وصل وأسرنا صحة حالك، وما ذكرته صار معلومًا،... بحال ما عرفت من جهة الحفاير العجم أنهم احفرو في الملتقى إلى الشريعة وطيبوا بما فيه من التراب وجعلتوهم يحفرون في

1 ابن كراز المهيري، رسائل، ص 27.

الخرابة وفيما بعد باتحطهم يحفرون في الرباعي... المراد منكم جميع بما ترون في الضياع أصلحوه وارفع نظرك والتفاتك على جميع الأشياء¹.

يظهر الربط في النص من خلال تكرار صيغة الفعل الماضي، وهي صيغة سردية ربطت بين أجزاء الحدث الذي تصوره الرسالة وتبرز في الأفعال: (وصل، أسرتنا، ذكرته، صار، عرفت، احفرو (حفروا)، طيبوا (نظفوا)، جعلتوهم) فتوالي هذه الأفعال الماضية أفاد سرد الحدث وتفصيلاته، مما أحدث ربطاً بين عناصر الرسالة. كما أدى تكرار صيغ المضارع، وهي صيغة وصفية في إكمال سرد الحدث وهو ما نلاحظه في تكرار أفعال: (يحفرون الذي تكرر مرتين، باتحطهم؛ أي ستأمرهم وهي صيغة مستمدة من الاستعمال اللهجي للفعل في منطقة الخليج).

كما يظهر الربط في الصيغ الطلبية المتمثلة بتكرار فعل الأمر: (أصلحوه، ارفع نظرك)، فوصف الحدث أو المشكلة التي اعترضت الحاكم يقتضي إصدار ما يراه مناسباً لحل المشكلة، ومن هنا كان تكرار أسلوب الطلب بصيغة فعل الأمر لوضع الحلول، وهي من الصيغ المكررة في مجمل الرسائل التي تتناول حل قضايا اجتماعية.

1 ابن كراز المهبيري، رسائل، ص 29.

ثانياً: السبك النحوي في رسائل زايد

ويبرز السبك النحوي من خلال ظواهر بارزة في الرسائل، حققت السبك في النصّ، وأبرزها الظواهر الآتية:

1-2: السبك من خلال الفصل والوصل بين الجمل

• في مفهوم الربط بين الجمل

تعدّ قرينة الربط من الأنظمة المهمة التي تضمن تلاحم جمل النص وفقراته في نسيج متلاحم العرى محكم الوثاق، وبذلك فالربط أحد أهم وسائل الاتساق، وقد تعددت آراء الباحثين فيه وتباينت، فهاليداي ورُقِيَّة حسن يعرفان الرِّبَط junction بأنّه: «تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السَّابِق بشكلٍ منظمٍ»¹.

ويُعرِّفه مصطفى حميدة بأنّه: «اصطناع علاقةٍ سياقيَّةٍ نحوِيَّةٍ بين طرفين باستعمال أداةٍ تدلُّ على تلك العلاقة»²، ويميّزه عن مصطلح آخر هو «الارتباط» الذي يرى أنه يتمُّ بمعزلٍ عن وجود الأداة، فهو ينشأ بين معنيين داخل الجملة الواحدة أو بين الجملتين من خلال علاقة سياقيَّة نحوِيَّة إذا كانت هذه العلاقة بينهما وثيقةً أشبه بعلاقة الشيء بنفسه، فتغني بذلك عن الرِّبَط بالأداة.³

1 الخطابي، لسانيات النص، ص 23.

2 حميدة، مصطفى، نظام الارتباط والرِّبَط في تركيب الجملة العربيَّة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1997، ص 143.

3 السابق، ص 146.

في حين لا يشترطُ بعض الباحثين وجود الأداة ليتحقّق الربط، فيُعزّف الربط بأنّه: «علاقة نحويّة بين أجزاء الجملة أو بين الجمل، وهذه العلاقة تكون بواسطة لفظيّة، وبدون واسطة لفظيّة»¹.

وبناء على ذلك فإنّ الرّبط يُشير إلى اجتماع العناصر والأجزاء المكوّنة لعالم النّص وتعلّق بعضها ببعض.² فهو يُعدُّ علاقة اتّساق رئيسة؛ لأنّه يؤدّي وظيفيّاً إلى تقوية الأسباب بين الجمل وجعل المتواليات النّصيّة مترابطة متماسكة.³ كذلك فإنّه «يُحكّم العلاقات السّياقية النحوية بين المعاني داخل الجملة الواحدة، كما يُحكّم تلك العلاقات بين الجمل بعضها وبعض داخل النّص».⁴ إلّا أنّ الرّبط هنا، هو رباطٌ جزئيٌّ بين الكلمات والتّراكيب المختلفة، لا رباطٌ على صعيد الأبنية الكبرى في النّص، وهو يتحقّق من خلال توظيف جملة من الأدوات والألفاظ تُدعى روابط،⁵ والرّابط هو «كل أداة تؤدّي وظيفة الرّبط اللفظي أو المعنوي»،⁶ وتكمن وظيفة الأداة في الرّبط من خلال تلخيصها لمعنىٍ نحويٍّ كالعطف والشّرط والاستثناء وغير ذلك،⁷ لذا فإنّ التّماسك النّصيّ الحاصل بفعل الرّبط هو «تماسكٌ وظيفيّ»، وقد أطلق غريماس على تلك الوظائف والروابط المُحقّقة لهذا التماسك

1 الخبّاص، جمعة عوض، نظام الرّبط في النّص العربي، داركنوز المعرفة، عمّان، الطبعة، 2008، ص 20.

2 دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 346.

3 الخطابي، لسانيات النص، ص 24.

4 حميدة، نظام الارتباط، ص 145.

5 البطاشي، خليل بن ياسر، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب ص 72.

6 بوقرة، نعمان، المصطلحات الأساسية في لسانيات النّص وتحليل الخطاب، 2009، ص 116.

7 حميدة، نظام الارتباط، ص 196.

مصطلح: «الروابط البلاغية»¹ وأطلق عليها الأزهر الزناد مصطلح: «نحو الروابط التركيبية»² وهذه الروابط التي تربط بين الجمل داخل النص تندرج ضمن «الأدوات المنطقية»: «لأنها علامات على أنواع العلاقات القائمة بين الجمل، وبها تتماسك الجمل وتبين مفاصل النظام الذي يقوم عليه النص، ويرتبط استعمالها بطبيعة النص من حيث موضوعه وأشكاله»³ وتُجَمَل الأدوات الرابطة في العربية في: أدوات العطف، واو الحال، واو المفعول معه، أدوات نصب المضارع، الحروف المصدرية، أدوات الشرط، الفاء في جواب الشرط، أدوات الاستثناء، حروف الجر.⁴

• أنماط الربط

يُصنّف الأزهر الزناد «الرّبط التركيبي بين الجمل في النص» بناءً على العلاقة بين الجمل المترابطة في:

1. ربط خطّي يقوم على الجمع بين الجملة السابقة واللاحقة: ومن أدواته في العربية «الواو».
2. ربط خطّي يقوم على الجمع كذلك ما بين الجملتين السابقة واللاحقة: إلّا أنّ هذا الجمع منوطٌ بالعلاقة المنطقية بين العنصرين المربوطين، ومن أدواته في العربية: «الفاء، ثمّ، أو...»⁵.

1 فضل، بلاغة الخطاب، ص 200-202.

2 الزناد، نسيج النص، ص 25.

3 السابق، ص 37.

4 حميدة، نظام الارتباط، ص 200 - 202.

5 الأزهر، نسيج النص، ص 37.

وبالتالي، يمكن القول إن أدوات العطف تؤدي دلالات متنوعة، فالواو دلالة الإشراك أو مطلق الجمع فقط، وتفيد بقية الأدوات دلالاتٍ أخرى، بالإضافة لدلالة الإشراك، كالدلالة على الترتيب مع التراخي أو بدونه أو دلالتها على التخيير أو التعقيب والسببية¹.

ويتفرّع الرّبط الخطيّ بناءً على تتابع العناصر المترابطة وكيفية هذا التتابع إلى:²

1. الرّبط الخطيّ المتّصل، وله نوعان:

- الرّبط الخطيّ التّتابعي الدّكري: ويُقصد به الرّبط بين الأحداث أو الحركات وفق تتابعها على محور الزّمن؛ أي الموافقة بين تتابع الأحداث في النّص وتعاقب الزّمن الحقيقي أو الفيزيائي.
- الرّبط الخطيّ المنطقي: ويُقصد به الرّبط بين العنصرين المتتابعين انطلاقاً من العلاقة الرابطة بينهما، وأساس هذه العلاقة السببية، مثل: ربط السّبب بنتيجته.

2. الرّبط الخطيّ المنفصل: ويُقصد به الرّبط بين عنصرين أو أكثر متباعدين في فضاء النّص من خلال علاقات متنوّعة كالّتعاقب والسببية وغيرهما.

ويبدو أنّ العلاقات الرابطة في تصنيف الزّناد لا تخرج عمّا ذهب إليه في التّصنيف السّابق من حيث الرّبط بالجمع فقط أو الرّبط الزّمني أو السببي، لكنّه في هذا التّصنيف لا يقتصر على ربط العناصر المتتابعة المتتالية فقط،

1 انظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 224.

2 الأزهر، نسيج النص، ص 46-49.

بل يتعدّأها إلى ربط العناصر المتباعدة في فضاء النَّص، من خلال العلاقات الجامعة بين العناصر، كعلاقة توالي الأحداث المنطقي، أو السببي الذي ينجم فيه حدث ما في النص عن حدث سابق.

والرَّيْبُ عند روبرت دي بوجراند وديرسليكون في الوصل على سبيل الجمع، وفي الفصل على سبيل الاختيار، وفي الاستدراك على سبيل السَّلب، وفي التَّفْرِيع على سبيل التَّدْرُج¹.

ويعتمدُ كل من فولفجانج هاينه، وديتر فيمفيجر تقريبًا تصنيف هاليداي ورُقِيَّة حسن ذاته؛ فقد جعلاً أنماط الوصل من «الاتِّصال السَّببي والاتِّصال الرَّمني والتقابل الضَّدي وتبادل السُّؤال والجواب وتخصيص / مضمون الجملة السَّابقة / وتصحيح / مقولة سابقة في جملة لاحقة»،² أسسًا خاصة بالنُّصوص ذات التَّعبير المثالي انطلاقًا من تحديد إيزنبرج للسمّة النَّصِيَّة العامة «مثالية التَّعبير» على أنَّها: «تعاقب أفقي متناسق لوحدات لغويَّة مترابطة تقوم على أسس محدَّدة من حيث التَّسلسل».³ ويبدو أنَّ تصنيف العلماء السابقين يركّز على العلاقات الدلاليَّة المنطقيَّة بين جمل النَّص.

وقد جاء الحديث عن الرِّبط في الدراسات التراثية موزَّعًا في أبوابٍ نحوِيَّةٍ مختلفةٍ، كما وردت كذلك في مؤلَّفات حروف المعاني، فلم يُشر إليها النحاةُ

1 انظر: دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 346-347، دي بوجراند، ولفغانغ، مدخل إلى علم لغة النص، ص 107.

2 هاينه من، فولفجانج، فيمفيجر، ديتر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ص 26.

3 السابق، ص 25.

المتقدِّمون إلاَّ إشاراتٍ عابرة وفي مواضع متفرِّقة من مُصنَّفاتهم، في حين حاول بعض المتأخرين حصر مواضعها في مباحث خاصة من مؤلِّفاتهم، وكان أوَّل من فصَّل الحديث فيها ابن هشام الأنصاري (761هـ)، وذلك في مبحثين من كتابه: «مغني اللبيب»، هما: «روابط الجملة بما هي خبر عنه»، و«الأشياء التي تحتاجُ إلى الرَّابطة». أمَّا البلاغيُّون فقد تناولوا ظاهرة الرِّبط في معرض تناولهم لمبحث «الفصل والوصل» مع ذكر مصطلح الرِّبط أو من دونه.¹

ولم يكن العلماء العرب القدامى بمنأى عن ملاحظة دور الوصل في تحقيق التماسك النَّصيِّ، فقد أدركوا أهميَّة حروف العطف في تحقيق التَّرابط على مستوى الجملة الواحدة والجمليتين، وما هو فوق ذلك؛ أي على مستوى النَّص،² كما أدركوا دور العطف في تحقيق اتِّصال الجمل واستمراريَّة النَّص، ليتخطوا بذلك نطاق الجملة المفردة مقترين من التحليل النصي،³ يقول ابن يعيش (643هـ): «الغرض من عطف الجمل ربط بعضها ببعض واتِّصالها، والإيذان بأنَّ المتكلِّم لم يُرد قطع الجملة الثانية من الأولى والأخذ في جملةٍ أخرى ليست من الأولى في شيء».⁴

1 انظر في تفصيل الجهود التَّرائية لظاهرة الرِّبط:

حميدة، نظام الارتباط، ص 190 وما بعدها.

الخبَّاص، جمعة عوض، نظام الرِّبط، ص 7، 15 وما بعدها.

ابن هشام الأنصاري، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، 1964، 564-551/2.

2 الفقي، صبحي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، 1/ 253، وانظر: البطاشي، خليل،

الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ص 183 - 185.

3 الفقي، صبحي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، 1/ 251.

4 ابن يعيش النحوي، أبو البقاء يعيش بن علي، شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، (د.ت)، 75/3.

وقد بلغت عنايتهم بدور العطف أن جعلوا حدَّ البلاغة «معرفة الفصل من الوصل»¹. كما استطاعوا أيضًا استخلاص الأوجه الجامعة والعلاقات الدلالية المنطقيّة الرابطة بين المعطوفات، وهذا إن دلَّ على شيء، فإنَّما يدل على وعيهم وإدراكهم العميق للعلاقة الجدليّة القائمة بين البنية السطحيّة والبنية العميقة للجمل المترابطة المكوّنة للنّص، فعبد القاهر الجرجاني (471هـ) يشترط لتحقُّق العطف وجود علاقة رابطة بين المعطوف والمعطوف عليه، ولتوضيح هذه العلاقة وظَّف جملة من المصطلحات، مثل: «الإشراك، والتّضام، والتّعلُّق، والمشاكله والمناسبة، والاشتباك والاقتران»². وهذه المصطلحات تدخل في صلب مفهوم التماسك النصّي،³ ممّا يُؤشِّر إلى إدراك الجرجاني أثر العطف في تحقيق التّماسك النصّي، وإن جاء تعبيره عن هذا الدّور تلميحيًا لا تصريحًا من خلال جملة من المصطلحات الدّالة، ومن خلال اشتراط العلاقات الرّابطة بين المعطوف والمعطوف عليه، وقد أشار السكاكي (626هـ) كذلك إلى تلك العلاقات بقوله: «جمعًا من جهة العقل أو الوهم أو الخيال. والجامع العقلي: هو أن يكون بينهما اتحدًا في تصوّر...، والوهمي: هو أن يكون بين تصوّراتهما شبه تماثل... والخيالي: هو أن يكون بين تصوّراتهما تقارن في الخيال سابق لأسباب مؤدية إلى ذلك...»⁴.

1 الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 222.

2 السابق، ص 224-226.

3 الفقي، صبحي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، 1/ 249.

4 السكاكي، ابن أبي بكر محمد بن علي، مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلميّة، بيروت، 2000، ص 361-363..

وبناء على ذلك يمكن أن نلاحظ أنَّ العلاقات الرَّابطة التي اشترط الجرجاني والسكاكي وجودها لتحقق الرِّبْط بين المتعاطفات تتقاطع وتشابه مع تلك العلاقات التي بنى عليها دي بوجراند ودريسلر أنماط الرِّبْط، والتي اعتمدها هاليداي ورُقِيَّة حسن في أنواع الوصل، والتي جعلها فولفجانج هاينه من، وديترفهيفيجر أسسًا خاصة بالنُّصوص ذات التَّعبير المثالي، وهذه العلاقات إنَّما هي العلاقات الدَّلاليَّة التي تؤلَّف بين جمل النَّص عمقًا وتربط بينها، وتبدو نقطة المفارقة بين الجرجاني والسَّكاكي من جهة، وعلماء الغرب من جهةٍ أُخرى، من حيث تناولهم لظاهرة الرِّبْط، أنَّ الجرجاني والسَّكاكي كما لاحظنا في العرض السابق قد عُنيا بظاهرة «الوصل والفصل»، واقتصرت عنايتهم على حروف العطف وبشكلٍ خاص «الواو»، وظهر اهتمامهما بالعلاقات الدَّلالية في إطار الإشارة للجامع المعنوي بين المعطوفات، أمَّا علماء الغرب، فقد تناولوا ظاهرة الرِّبْط بشكلٍ عام في ضوء تلك العلاقات. وقد تحقق هذا الرِّبْط بين المفردات والجمل في رسائل زايد، من خلال الملامح الأسلوبية الآتية:

• الرِّبْط من خلال اتفاق الصفات واشتراكها في الموصوف:

ويبرز هذا الرِّبْط في مقدمات الرسائل جميعها، من خلال الرِّبْط المتصل بين المفردات؛ إذ لم يغب الرابط بأداة العطف فيها، وقد برز هذا النوع من الرِّبْط في مقدمات سبع وأربعين رسالة من أصل خمسين، هو مجموع المدونة التطبيقية المدروسة، ومن أمثلته:

إلى جناب الأجل الأكمل المكرم الأحشم الأفخم الأمجد الولد العزيز
الشيخ خليفة بن زايد المحترم¹.
إلى جناب المكرم الأجل الأكمل الأرشد الأفخم حميد الشيم الزكي
الوفا الولد الشيخ أحمد بن محمد بن هلال المحترم².
إلى جناب المكرم الأحشم الوفا المحب الشيخ أحمد بن محمد بن
هلال³.

فلاحظ الفصل بين الصفات، وهو فصل له مبرره الدلالي، هو اتفاق الصفات المتوالية في الموصوف، فلما تكررت الصفات المتفقة المتقاربة في المعنى لم يكن ثمة حاجة إلى العطف؛ لأن هذه الصفات كأنها جنس واحد للموصوف، ومثل هذا التركيب الغالب في أسلوبية الرسائل، يعزز المحبة وإكبار المرسل إليه ورفع قيمته الاجتماعية لدى مرسل الخطاب؛ إذ يتحول إلى بؤرة الدلالة ومركزها؛ ففي المثال الأول، المرسل إليه هو الابن الشيخ خليفة بن زايد، ثم تتوالى الصفات على النحو الآتي:

في المثال الأول:

مركز الدلالة (الموصوف الحقيقي): الشيخ خليفة بن زايد.

تفرعات الدلالة (الصفات): الأجل + الأكمل + المكرم + الأحشم + الأفخم +
الأمجد + الولد + العزيز + الشيخ + المحترم.

1 ابن كراز المهيبي، رسائل، ص 29.

2 السابق، ص 73.

3 السابق، ص 45.

في المثال الثاني:

مركز الدلالة (الموصوف الحقيقي): الشيخ أحمد بن محمد بن هلال.
تفرعات الدلالة (الصفات): المكرم+ الأجل+ الأكمل+ الأرشد+ الأفخم+
حميد الشيم+ الزكي+ الوفي+ الولد+ المحترم

في المثال الثالث:

مركز الدلالة (الموصوف الحقيقي): الشيخ أحمد بن محمد بن هلال.
تفرعات الدلالة (الصفات): المكرم+ الأحشم+ الوفي+ المحب

ولا شك أن التقديم والتأخير في صياغة هذه التراكيب قد أديا دورًا
دلاليًا مهمًا في أسلوب صياغة الرسائل، فتقدم الصفات على الموصوف
هو صيغة من صيغ التلطف في الخطاب، وإلحاح على أهمية هذه الصفات
وتأكيد على اجتماعها في شخصية الموصوف/ متلقي الرسالة.
في حين دمج ذلك النوع من الربط مع الرابط النحوي (الواو) العاطفة
في ثلاثة رسائل، هي:

إلى جناب المكرم الأحشم المحب الوفي والموود الصفي الشيخ أحمد بن
محمد بن هلال¹.

إلى جناب المكرم الأحشم الأجد الوفي والموود الوفي المحب الشيخ
أحمد بن محمد بن هلال².

1 ابن كراز المهبيري، رسائل، ص 39.

2 السابق، ص 47.

إلى جناب المكرم الأحشم المحب الوفي والمود الصفي الشيخ أحمد بن محمد بن هلال¹.

وقد لاحظنا أن جميع المقدمات التي كان المرسل إليه هو الابن الشيخ خليفة ورد الوصل دون رابط عطف. وكذلك جاءت الرسائل الموجهة إلى الشيخ أحمد بن هلال في مجملها دون رابط عطف؛ ولم يرد الربط العطفى إلا في المواضع الثلاثة المشار إليها.

وإذا تأملنا الموضوع الثلاثة السابقة، فسنجد أن الربط بين المفردات قد تحقق من خلال الجمع بين الفصل والوصل، وقد أشرنا إلى أن الفصل يشير إلى اتحاد الصفات في الموصوف مما يغني عن الربط النحوي ويحقق اتساقاً في النص، أما دلالة الربط بالواو في الأمثلة السابقة، فنلاحظ أنه تكرر في ثلاثة مواضع متشابهة في اللفظ، على النحو الآتي:

في المثال الأول: الوفي والمود الصفي

في المثال الثاني: الوفي والمود الوفي المحب

في المثال الثالث: المحب الوفي والمود الصفي

فقد جاء الوصل بالواو مُحققاً لدلالة إبراز الصفة المعطوفة، ولفت الانتباه إلى أهميتها بين الصفات المذكورة، ولعل ما يؤكد ذلك هو تكرارها ذاتها بعد الحرف العاطف من خلال لفظة (المود) المتبوعة بصفة مؤكدة (الصفي/ المحب) مما يبرز طبيعة العلاقة القائمة بين المرسل والمتلقي،

1 ابن كراز المهيري، رسائل، ص 53.

فهي علاقة قائمة على الود والمحبة، وتشير إلى علاقة الاحترام المتبادلة بين الحاكم ومن يعملون معه في تلك الفترة الزمنية.

وبناء على ذلك يمكن أن نستنتج أن الوصل في الرسائل بين المفردات قد أدى دلالة إبراز المعطوف ووضعه موضع العناية والاهتمام، ومنحه ضرباً من الاستقلال والتميز عند المرسل والمتلقي. أما الفصل فقد كان المراد منه ضم النعوت إلى المنعوت من دون القصد إلى إظهار نعت محدد، فتظهر تلك النعوت مُتضامّة مجتمعة يشدّ بعضها أزر بعض، فالمراد اجتماع تلك الأوصاف في الموصوف، فكأنها معاً نعت واحد يحقق اتساق النص.

• الربط من خلال الفصل والوصل بين جمل النص:

مواضع الفصل:

وقد جاء الفصل بين الجمل في مواضع محددة في الرسائل المدروسة، ولاسيّما في الجمل التي تأتي في بداية الرسائل التي تظهر حال المرسل وأخباره، وقد كان لذلك الفصل مسوغات دلالية تحقق الاتساق بين هذه الجمل، ولعل من أبرزها أن يكون بين الجملتين اتحاد معنوي، فتكون الجملة الثانية توكيداً للأولى وبياناً لها أو بدلاً منها، وهو ما نلاحظه في المثال الآتي المتكرر في كل الرسائل:

حَبِّكَ يَمْدُ اللهُ إِلَيْكَ بِخَيْرٍ، لَا زَلَّتْ فِي أُنْمِ الْخَيْرِ وَالْمَسْرَةِ، أَخْبَارُنَا
خَيْرٌ مِنْ فَضْلِ اللهِ¹.

1 ابن كراز المهبيري، رسائل، ص 39

فالاتساق في النص مُتحقق بين جمل النص، رغم غياب الرابط النحوي، ويظهر من خلال اتحاد الجمل في المعنى الذي يعززه تكرار لفظة (الخير) في بنية الجمل المشكلة للمثال، وتسير الدلالة وفق الآتي:

• تأكيد حال الخير عند المرسل بصيغة المفرد (محبك يحمد الله إليك بخير)

• الدعاء بالخير للمتلقى (لا زلت في أتم الخير والمسرة)

• تأكيد حال الخير عند المرسل بصيغة الجماعة (أخبارنا خير من فضل الله)

ويتحقق الاتساق عندما تكون الجملة الثانية بيان للأولى، توضح مضمونها، فيغيب الرابط النحوي، كما نلاحظ في المثال الآتي:

فهذا واصلك في طي الكتاب، واصلك كتاب منّا إلى جناب سيدنا الولد فيصل بن تركي مكشوفاً بعد اطلاعك اتفضّل بلغه المشار إليه¹.

فالجملة الأولى: فهذا واصلك في طي الكتاب

والجملة الثانية: واصلك كتاب منّا إلى جناب...

فالجملة الثانية توضح لمضمون الجملة الأولى، من خلال تكرار اللفظ (واصلك)، وهذا ما حقق الربط والاتساق بين الجملتين، ومنه المثال الآتي:

1 ابن كراز المهيري، رسائل، ص 69.

الذي نعرفك به حال وصول التعريف إليك، المراد وصولكم
لينا¹.

فالجمله الثانية: (المراد وصولكم لينا/ إلينا) هي توضيح وشرح لمضمون
الجمله الأولى، وهذا ما حقق الاتساق النصي بين الجملتين.

ويقع الفصل بين الجمل عندما يكون هناك انقطاع وتباين في المضمون
أو الشكل أي مختلفتين في الخبر والإنشاء؛ فمن الحال الأولى: أي التباين في
المضمون ما نلاحظه في المثال الآتي:

فهذا واصلك في طي الكتاب، واصلك كتاب منّا إلى جناب سيدنا
الولد فيصل بن تركي مكشوفاً بعد اطلاعك اتفضّل بلغه المشار إليه،
جنابك لم يقصّر².

فمضمون العبارة الأولى في المثال السابق هو شرح لمضمون كتاب المرسل
إلى المتلقي، ثم تمّ الانتقال إلى مضمون آخر خارج عن مضمون الكتاب
متمثّل في وصف حال المخاطب في قوله: (جنابك لم يقصر)، فحسّن الفصل
لانقطاع المضمون بين الجملتين. ونشير إلى أنه في المثال نفسه شاهد على
الفصل بين الجمل للتباين في الشمل، من حيث الخبر والإنشاء، فالعبارة
الأولى ذات بنية لغوية خبرية، إلى أن جاءت الجملة الطلبية (اتفضل/
تفضل) التي تشير إلى المطلوب من المتلقي، فحسّن الفصل بين الجمل
لاختلافهما من حيث الخبر والإنشاء، وهذا الأسلوب يتكرر بالصيغة نفسها

1 ابن كراز المهيري، رسائل، ص 51.

2 السابق، ص 69.

في الرسائل ومن أمثلته:

- لا يخفّاك بحار لمحمد بن خليفة القمزي بطرفكم، اتفضّل دبره بالوصول إلى نُوحذه¹.
- المراد منك حال وصول البيان إليك لا تتخّر (لا تتأخر) ساعة عن ساعة².

فمسوّغ الفصل هو الاختلاف في الشكل اللغوي، فأنت العبارة الأولى في المثالين السابقين خبرية، والجملّة التالية إنشائية طلبية بصيغة الأمر في الأولى: (اتفضّل / تفضّل)، وبصيغة النهي: (لا تتخّر / لا تتأخر) في الثانية.

- مواضع وأنماط الوصل والربط النحوي بين مفردات الرسائل وجملها:

أسهمت وسائل ربط متعددة في تحقيق اتّساق النّص وتماسكه في الرسائل المدروسة؛ إذ شكّلت حلقة وصل بين جمل النّص وجزئياته، ممّا كثف نسيج النّص وحقق تلاحم مكوّناته، ويمكن التوقف عند أبرز العناصر النحوية الرابطة التي أسهمت في تحقيق تماسك النصّي من خلال الجدول رقم (4):

1 ابن كراز المهيري، رسائل، ص 47.

2 السابق، ص 53.

النسبة المئوية	عدد مرات التكرار	أداة الربط	التسلسل
% 89,74	1050	الواو	1
% 3,07	36	الفاء	2
% 2,47	29	أم (بمعنى أو)	3
% 1,96	23	لام التعليل	4
% 1,70	20	ثم	5
% 0,59	7	حتى	6
% 0,42	5	أو	7

جدول 4: أبرز العناصر النحوية الرابطة التي أسهمت في تحقق تماسك النصي

يُقدّم لنا الجدول السابق، المؤشرات العامة الأسلوبية الآتية على صعيد الربط النصي:

1. اعتمد الخطاب المدرّس في تحقيق الربط النحوي النصي على سبعة روابط، وقد احتل الربط بـ "الواو" المرتبة الأولى بنسبة قاربت (90%) فيما لم تتجاوز نسبة بقية الروابط (10%) ومرد ذلك إلى اقتراب لغة الخطاب من اللغة العامية القريبة من الفصحى نوعاً ما، وهي لغة تميل إلى العطف بهذه الأداة على حساب بقية الأدوات.
2. بروز العطف بالواو في مواضع محددة من الرسائل، هي مقدمة الرسالة، وخاتمتها، فقد برزت في هذين الموضعين أعلى نسبة تكرار لهذا الربط، وهو ما نلاحظه، على سبيل المثال، في مقدمة الرسالة الثامنة عشرة، في قوله:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، محببك والله الحمد بخير، ولا زاد
وحدث إلا بما به علم الخير، ولا يخفك سابقاً عرفناك...¹

وهذه الصيغة مكررة في كل مقدمات الرسائل، ولو تأملنا المثال، لوجدنا
أن الربط بالواو قد تكرر ست مرات للربط بين عناصر النص.

أما تكرار هذا الرابط في نهاية الرسائل، فقد جاء في صيغة إرسال السلام
القائم على ذكر من يرسل السلام إلى المتلقي، مما اقتضى العطف بالواو،
وهذا الموضع مكرر في نهايات رسائل المدونة جميعها، كما نلاحظ في نهاية
الرسالة الثالثة والعشرين التي جاء فيها:

سلم على أخيك هلال، والولد محمد، والجماعة، ومنا الأولاد طحنون
وصقر وإخوتهم يسلمون عليك، وأنت سالم والسلام.²

فقد تكرر العطف بالواو في هذا الموضع في الرسائل جميعها، مما جعله
يشكل سمة أسلوبية في بناء رسائل المدونة.

جاء العطف بالأداة (أم) متوافقاً مع استعمال اللهجة الإماراتية
خصوصاً والخليجية عموماً، فهي تعادل (أو) في اللغة الفصحى، وقد احتل
العطف بها موضعاً محددًا ومكررًا في جميع الرسائل، وفي صيغة واحدة،
فهي تأتي بعد الفراغ من مضمون الرسالة، وتأتي مكررة بإحدى الصيغ
الثلاث الآتية:

1 ابن كراز المهيري، رسائل، ص 57.

2 السابق، ص 67.

وكل غرض أم حاجة تقضى¹.

كل غرض أم لازم يفضى².

وكل غرض أم حاجة الإشارة³.

وقد تكررت هذه الصيغة في تسع وعشرين رسالة، هي مجموع تكرارات الأداة الرابطة (أم) مما جعلها تأخذ طابعًا رسميًا، وملمحةً أسلوبيًا في الرسائل، وهي دالة على قضاء ما يتطلبه العمل في الدولة، ويظهر العلاقة بين المرسل والمتلقي، من خلال الطلب إليه أن يبرز ما يحتاجه أو ما يعينه على إنجاز عمله.

3. حضر الربط بالأداة الرابطة (ثم) في أربع عشرة رسالة، وغاب الربط بها عن بقية الرسائل، وقد توافق استعمالها في الغالب بين الاستخدام المنسجم مع اللهجة الإماراتية والخليجية، وبين الاستعمال الفصيح لها، فمن الاستعمال الأول، قوله:

والانتكال على الله وثم عليك⁴.

فهذه العبارة من العبارات المكررة في اللهجة الإماراتية والخليجية حتى اليوم، وهي عبارة بدوية، يتكرر فيها عاطفان متتابعان معًا: (و، ثم)، يُكتفى في اللغة الفصيحة بالعاطف (ثم): للدلالة على تعاقب الفعلية/ الحدث وترتيبهما في الحدوث مع تراخٍ في الزمن.

1 ابن كراز المهبيري، رسائل، ص 27.

2 السابق، ص 29.

3 السابق، ص 37.

4 السابق، ص 29.

ومن مواضع استعمالات هذا الربط، أن يأتي في مقدمة الرسالة بعد الدعاء للمرسل إليه، كما نلاحظ في المثال الآتي:

إلى جناب الأجل الأكمل... الشيخ خليفة بن زايد...
سَلِّمَهُ اللهُ تَعَالَى وَأَبْقَاهُ...
ثُمَّ السَّلَامَ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةَ اللهِ وَبَرَكَاتِهِ...¹

فقد جاءت الأداة (ثم) للربط بين جزأين من النص، جزء الدعاء للمرسل إليه، ثم جزء السلام، فحققت الالتحام بينهما.

كما تأتي للربط بين جزأين متلازمين من الكلام، كما نلاحظ في المثال الآتي:

المأمول في الله ثم منك تأمر...²

فالعبرة تشير إلى أسلوب التلطف الخطاب الذي يحوي صيغاً أمرية، من خلال استعمال عبارة (المأمول في الله) ثم أداة الربط (ثم) ثم المطلوب من المتلقي؛ فالرجاء والأمل بالله في تحقق الفعل، ثم بالمخاطب، فيتحقق التلازم بين العبارتين المشكلتين للنص، وهو ما نلاحظه في المثال الآتي:

معلقين الأمر على الله ثم علينا...³

فالعطف بهذا الرابط أتى محققاً للتلطف في صوغ ما ينبغي فعله، من خلال ربط الأمل بإنجازه بالله، ثم بولي الأمر.

1 ابن كراز المهبيري، رسائل، ص 23.

2 السابق، ص 75.

3 السابق، ص 89.

وقد يؤدي الربط بالأداة (ثم) دلالة الربط بعبارة (أما بعد) في صياغة الرسائل، حيث تؤدي دلالة الانتقال من جزء من الرسالة إلى جزء آخر، كالانتقال من السلام على المخاطب إلى مضمون الرسالة، وهو ما نلاحظه في المثال الآتي:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، محببك والله الحمد بخير، ولا زاد وحدث إلا ما به مسرة الخاطر... ثم لا يخفأك قد وصلنا تعريف من والدك....¹

فقد جاء الرابط (ثم) محققًا لوظيفة الاتساق بين عبارات السلام والدعاء بالسلامة للمخاطب، وبين المضمون الرئيسي للرسالة، فكان من وسائل التلاحم بين أجزاء النص.

4. حضر الربط بالفاء، الذي يأتي في المرتبة الثانية بعد الربط بالواو، في خمس وعشرين رسالة، وغاب عن خمس وعشرين رسالة أخرى،² مما يشير إلى تركّز الربط بالواو في الرسائل. وقد أتت الفاء محققة لدالتين هما الربط الاستثنائي للكلام، والربط الشرطي، فمن أمثلة الربط الاستثنائي:

• وصلتنا تعاريف من أخيك الولد الشيخ حمدان بن زايد وأخبار الغرب من طرف بن رشيد وابن سعود، فهو واصلك³.

1 ابن كراز المهيبي، رسائل، ص 173.

2 الرسائل التي غاب الربط فيها بالفاء هي ذوات الأرقام: 8، 11، 12، 13، 15، 16، 17، 19، 20، 23، 25، 28، 29، 30، 31، 33، 34، 37، 41، 42، 43، 44، 65، 66، 69، 70.

3 ابن كراز المهيبي، رسائل، ص 23



- ... فالمراد منك حال وصول الخط (الرسالة) إليك تقبل إلينا¹.

فالفاء في المثالين السابقين دالة على الاستئناف، والربط متحقق من ارتباط الجملة الواقعة بعد الفاء بالجملة السابقة عليها، فهي نتيجة لها.

ومن أمثلة الربط الشرطي:

- إن كان الربع استدت (حلّت مشاكلهم) أحوالهم مع السيد فهو المطلوب.²
- إذا كان جناب السيد فيصل بن تركي معذرنا منهم، فلا بأس³.

فالفاء هنا تقع رابطة لجواب الشرط، وتكون نتيجة لفعل الشرط السابق عليها.

1 ابن كراز المهيبي، رسائل، ص 167

2 السابق، ص 25.

3 السابق، ص 73.

أنماط الوصل والربط غير النحوي في رسائل زايد:

ثمة روابط غير نحوية استعملت في الربط بين عبارات النص وجمله، بعضها تكرر في الرسائل، مما جعلها تشكل سمة أسلوبية في الربط، وبعضها ورد للربط من دون تكرر، فالروابط التي شكّلت ملمحاً أسلوبياً للربط، يمثلها الجدول الآتي:

عدد مرات تكراره	الربط	التسلسل
25	اسم الإشارة (هذا، هذي، هذه)	1
20	لا يخفك، لا يخفى عليك	2
11	كذلك، ذلك	3
11	المراد منك، المرجو منك	4
7	على الدوام	5
6	أمّا بعد	6
4	بعد اطلاعك، بعدها	7
4	بحال، حال	8

ومن أمثلة الربط الإشاري بين الجمل:

- كتابك الشريف وصل، وأسرنا صحة حالك، وما ذكرته صار معلوماً، هذا الظن بك... كذلك عرفت مرادك للحفافير العجم² في مائة قرش فلا باس. هذه مائة قرش واصلات إلى جناب..³

1 وردت في الأصل هكذا: معلوم.

2 الحفافير: أي الحفارون، العجم: أي الأعاجم.

3 ابن كراز، رسائل، ص 29.

- وحال وصول التعريف بجنابك ترسل طارشاً عاني للعفار ينذرهم... هذا ما لزم...¹
- فالمراد منك تبين لجناب السيد والوالي سليمان بن سويلم باتصال منافع آل بو شامس بحيث أنهم محسوبون² على الله ثم علينا، إلا إذا كان جناب السيد فيصل بن تركي معذرنا...، هذا ما لزم بيانه³.

ففي المثال الأول نلاحظ أربعة روابط، ثلاثة منها إشارية هي: (هذا، كذلك، هذه)، و رابط غير إشاري متمثل بعبارة: (فالمراد منك). قد أدت هذه الروابط مهمة الربط بين عبارات النص، وحققت اتساقه، فرابط (هذا) قد ورد في جملة هي: (هذا الظن بك)، وهي من الجمل المكررة في الرسائل، فبعد أن يبيّن المرسل فحوى خطاب سابق من المرسل إليه، كانت وسيلة الربط بالرباط (هذا) تأكيداً لحسن تصرف المرسل إليه، فهو يؤدي مهمته على خير وجه. أما الرابط (هذه) فقد حقق الانتقال من مضمون إلى آخر (هذه مائة قرش واصلات إلى جناب)؛ إذ انتقل الخطاب من شرح المطلوب إلى تنفيذه. أما الرابط (كذلك) فقد حقق وظيفة الانتقال السردى للحدث، من حالة إلى أخرى، وهذا ما يحقق تماسك الخطاب واتساقه.

أما الربط من خلال عبارة: (فالمراد منك)، فيتمثل بالانتقال من شرح القضية أو المشكلة المطروحة في الرسالة، إلى المراد فعله من المخاطب، وهي صيغة ملطفة عن الأوامر التنفيذية.

1 ابن كراز، رسائل، ص 67.

2 وردت في الأصل هكذا: محسوبين.

3 ابن كراز، رسائل، ص 73.

أما في المثال الثاني، والثالث فالربط (هذا) يأتي في عبارة مكررة في نهايات مضمون الرسائل، وهو الغاية في إرسال الرسالة إلى المخاطب؛ إذ يُقفل المضمون بإحدى الصيغتين الآتيتين: (هذا ما لزم) أو (هذا ما لزم بيانه)، وهذه الصيغة الرابطة تأتي مؤكدة لمضمون ما يطلب الحاكم من المرسل إليه تنفيذه، فهي صيغة توجيهية تختتم بها الخطابات الرسمية التي يشار إليها اليوم بخطابات (الأوامر أو المذكرات الإدارية).

ومن أمثلة الروابط الأخرى:

...أخبارنا خير من فضل الله، ولا زاد إلا ما به مسرة الجميع، لا يخفأك من طرف خليفة بن مايد (ماجد) بن سليمان توفي وله أختان¹ عزّاب، وأولاد عمه، فالمراد بها يسمح له من تركه...²

فأتى الرابط (لا يخفأك) وسيلة للانتقال من الإخبار عن حال المرسل، إلى مضمون الرسالة، والمطلوب من المرسل إليه أن يفعله بشأن القضية المطروحة في الرسالة، المُعبّر عنه بالرابط (فالمراد)، هذا الرابط الذي يتكرر في الرسائل، وقد يأتي غير مقترن بالفاء (المراد منك) ليوضح المهمة الموكلة إلى المرسل إليه في علاج القضية؛ أي الأوامر التنفيذية لحلّها.

وتؤدي بقية الروابط غير النحوية وظائف مماثلة للرابطين السابقين؛ أي مهمة الانتقال من غرض إلى آخر في بنية الرسالة، كما نلاحظ في الرابط (أما بعد) في الرسالة الآتية:

1 وردت في الأصل هكذا: أختين

2 ابن كراز، رسائل، ص 49

... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
أما بعد: نخلُ بن خايف، أمرنا بها للولد الشيخ صقر بن زايد
لأجل المقيض، لتعلم ذلك والسلام¹.

فيأتي الرابط (أما بعد) بعد عبارة السلام، للانتقال إلى مضمون الرسالة،
أو الأمر الإداري المطلوب من المرسل إليه.

وظائف الربط:

تبرز وظائف عدة للربط النحوي في الرسائل، وتظهر هذه الوظائف من
خلال الربط بالواو، وهي الأداة الأكثر تكرارًا في الرسائل، ولعل من أبرز تلك
الوظائف:

1. الوصل أو مطلق الجمع conjunction

وهو يربط بين صورتين متشابهتين من صور المعلومات أو أكثر جامعًا
بينهما،² وذلك اعتمادًا على تمتُّعهما بنفس المكانة في عالم النص،³ وأداته
الرئيسية في المدونة المدروسة، هي: الواو.

وتحقيق الواو الربط الخطي لسير الدلالة في النص، فقد تكرر هذا
الرابط في المدونة المدروسة، ولـ "الواو" العاطفة دلالات عدّة وفق سياقاتٍ
ورودها؛ إذ يتَّفَق النُّحاة في دلالتها على «مطلق الجمع أو الإِشْرَاك» بين
المتعاطفين، إلَّا أنَّهم مختلفون في دلالة ذلك الجمع على الزَّمن النُّحوي، من

1 ابن كراز، رسائل، ص 103.

2 دي بوجراند، روبرت، النص والخطاب والإجراء (ترجمة: تمام حسان)، 2011م، ص 346.

3 دي بوجراند؛ ولفغانغ دريسلر، مدخل، 2009م، ص 107.

حيث كونه جمعاً مطلقاً مُجرّداً من الزّمن، أم دالاً على التّرتيب الزّمني أم المصاحبة أم المعية بين المتعاطفين، وحقيقة الأمر في هذا أنّ دلالات الواو العاطفة منوطةً بسياق المقال والمقام وقرائنهما.¹

وقد أسهم الربط بهذه الأداة في تحقيق وظائف عدّة، منها الجمع بين المتناقضات، وليس المراد التناقض الدلالي، وإنما اختلاف دلالة كل جملة عن الأخرى كما نلاحظ في المثال الآتي:

وهذا المأمول فيه وحالك جميل.²

فقد انتقل من وصف حالة رجل غائب (وهذا المأمول فيه)، إلى الدعاء بحُسن الحال للمخاطب (وحالك جميل)، فأسهم الربط بالواو في تحقيق الحبك النحوي بين الجملتين.

كما قد يأتي الربط بالواو للجمع بين المترادفات، أو ما في حكم المترادف في المعنى، كما نلاحظ في المثال الآتي المتكرر في رسائل عدة:

وهذا الظن بك والمأمول فيك.³

فالظن والمأمول متقاربان في المعنى، وقد ربطت الواو بين هاتين الجملتين، وتحقق التماسك من خلال تأكيد الجملة الثانية لمضمون الأولى في الدلالة على صفات إيجابية محمودة في المخاطب.

1 انظر: حميدة، مصطفى، أساليب العطف في القرآن الكريم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1999، ص 51 59.

2 ابن كراز المهيري، رسائل، ص 53.

3 السابق، ص 53.

ويأتي الربط بالواو للدلالة على الحال، في سياقات متعددة، كما نلاحظ في المثال الآتي:

... وصحت الفزعات عليهم من كل جانب من المشايخ... وأخرجوهم وهم صاغرون¹.

فقد أتى الربط بالواو لإظهار حال المهزومين.

وقد تأتي الأداة العاطفة لتحقيق الربط التركيبي الخطي التتابعي على محور الزمن؛ أي تربط بين تعاقب الأحداث وفق المنطق الزمني الحقيقي مما يحقق الاتساق والانسجام في النص من خلال ربط توالي أحداثه، وهو ما يمكن أن نلاحظه في المثال الآتي:

... وخط حمد بن عبد الله الشرقي وصل، وأشرفنا عليه، وقد وصلتنا من المشار إليه كتب، وقد أرسلناها² للولد الشيخ سلطان بن محمد يشرف على حقيقة أخبارهم...³

فقد حقق الرابط العطفى الواو وظيفة الربط التركيبي الخطي التتابعي على محور الزمن من خلال توالي الأفعال: وصل، ثم الفعل أشرفنا، ثم الفعل قد وصلتنا، ثم الفعل قد أرسلناها، فهي أفعال مرتبة بحسب زمن حدوثها.

1 ابن كراز المهيبي، رسائل، ص 85.

2 وردت في الرسائل هكذا: أرسلناها.

3 ابن كراز المهيبي، رسائل، ص 77.

2. الفصل أو التَّخْيِير disjunction

ويقوم هذا النوع من الربط على علاقة الاختيار بين صورتين مختلفتين من صور المعلومات في النص، بمعنى أَنَّ الصُّورَتَيْنِ لهما مكانتان بديلتان، فأحدهما فحسب صائبٌ في عالم النَّصِّ.¹ وأداته الرئيسية في المدونة المدروسة هي: (أو)، و(أم) التي تأتي في المدونة المدروسة بمعنى (أو)، فمن أمثلة (أو) قوله:

... وهذه الخطوط (الرسائل) يوصلهن، إما الشيخ هلال بن محمد
أو غانم بن حمودة.²

... المأمول في الله ثم منك اتفضل تأمر عليه بوصوله إلى نوحذته أو
بما عليه من الحق.³

ومن أمثلة (أم) قوله:

... وكل غرض أم لازم يُقضى.⁴

فدلالة (أو) هي دلالة تخيرية للمخاطب بين فعلين يختار المناسب منها، أما أداة الربط (أم) فتأتي بالصيغة نفسها مكررة في نهاية مضمون الرسالة في أغلب رسائل المدونة المدروسة، والتخيير فيها يتحقق بين مترادفين (غرض) أو (حاجة) للإشارة إلى تلبية المرسل لمتطلبات المرسل إليه في كل ما يحتاجه من أجل إنجاح عمله.

1 دي بوجراند، روبرت، ولفغانغ دريسلر، مدخل إلى علم لغة النص، ص 107.

2 ابن كراز المهبيري، رسائل، ص 31.

3 السابق، ص 75.

4 السابق، ص 67.

3. الإِتباع أو التَّفريع subordination

وهو يربط بين صورتين من صور المعلومات من خلال علاقة التَّدْرِج؛ إذ يتوقَّف تحقُّق إحداهما على تحقُّق الأخرى: ¹ أي تكون صور المعلومات صائبة في ظل ظروف أو دوافع معيَّنة مثل: (شرط سابق / حادث، سبب / نتيجة... إلخ)، ² ومن أدواته في المدونة المدروسة: لأنَّ، مادام، من حيث، ولهذا، ومن ثمَّ، لام التعليل، كما نلاحظ في الأمثلة الآتية:

- ترسل للمقاييل والشوامس سيف بن سلطان؛ لأنك متوسط بالخير فيما بينهم وبين الوالي ³.
- والخط بلِّغناه غانم بن حمود ليرجع إليك، وحقيقة الجواب لتطلع عليه ⁴.

فالفعل بعد الرابط ناجم عن الفعل قبله ومرتببط به بواسطة الأداة الرابطة (لأنك) في المثال الأول، ولام التعليل مع الفعل في المثال الثاني.

1 دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 347.

2 دي بوجراند، ولفغانغ دريسلر، مدخل إلى علم لغة النص، ص 107.

3 ابن كراز المهيبي، رسائل، ص 25.

4 السابق، ص 45.

2-2: الإحالة REFERENCE في رسائل زايد

الإحالة علاقة دلالية تخضع لقيود دلالي يتمثل في ضرورة تطابق الخصائص الدلالية ما بين العنصر المُحِيل والعنصر المُحَال إليه.¹ ويُقصد بها العلاقة بين الأسماء والمُسَمَّيات من جهة إحالة الأسماء إلى المُسَمَّيات،² «وإذا كانت الإحالة هي العلاقة بين العبارات والأشياء objects والأحداث events والمواقف situations في العالم الذي يُدَل عليه بالعبارات ذات الطَّابع البدائلي alternative في نص ما؛ إذ تُشيرُ إلى شيءٍ ينتمي إلى نفس عالم النَّص، أمكنَ أن يُقال عن هذه العبارات إنَّها ذات إحالة مشتركة».³ ممَّا يُفضي بالنتيجة إلى تماسك هذه العبارات بناءً على تماسكها الإحالي. إلَّا أنَّ هذا لا يعني أنَّ الإحالة مقصورة على العلاقة بين الأسماء والمُسَمَّيات؛ فالإحالة ليست بمعزل عن أطراف العملية التواصلية وظروف إنتاج الخطاب، فهي ليست أمرًا يقوم به تعبيرٌ ما فحسب، بل عمل يقوم به المُتكلِّم/الكاتب الذي يُحيل إلى شيء ما من خلال تحميله التعبير وظيفة إحيائية مُعيَّنة.⁴

ويُفهم من هذا أنَّ الإحالة تعني تلك الوظيفة التي تُمكن الكاتب خلال استعماله لعبارة مُحيلة من الإشارة إلى الأشياء التي يتحدَّث / يكتب عنها، من هنا يعتمدُ نجاح عملية الإحالة على قدرة المُتلقي على معرفة المُسَمَّى

1 خطابي، لسانيات النَّص، ص 17.

2 براون، تحليل الخطاب، ص 36.

3 دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 320.

4 ج. ب. براون، ج. يول، تحليل الخطاب ص 36.

الذي قصدهُ المُتكلِّم بتوظيفه العبارة المُحيلة بغية إدراك الرِّسالة اللغويَّة المُوجَّهة إليه، ومهما كانت صيغة العبارة المُحيلة، فإنَّ وظيفتها الإحاليَّة تعتمدُ مقصد المُتكلِّم في مقام استعمالها الخاص؛ لذا فإنَّ المُتكلِّم عند استعماله عبارةً مُعيَّنة لإيصال مُسَمَّى مُعيَّن إلى المُتلقي يُراعي جملة أمور تتعلَّق بتصوُّر المُستمع لخطابه مثل: وجود تجربةٍ عامَّةٍ مماثلةٍ للعالم والوعي بالسيِّاق والأعراف التَّواصلية، والأعراف الاجتماعيَّة الثقافيَّة، وبالمقابل يفترض المُتلقي أنَّ المُبدع يوجِّه إحالاته إليه بموجب هذه الفرضيَّات،¹ بمعنى أنَّ إدراك الإحالات يتمُّ من خلال عمليَّتي الإِفهام لدى المُبدع، والفهم لدى المُتلقي، وذلك مع مراعاة ظروف إنتاج الخطاب وتلقّيه من قِبَل قطبي العمليَّة التواصليَّة (المُبدع / المُتلقي).

وتتحقِّق الإحالة من خلال وسائل الاتِّساق الإحاليَّة أو العناصر الإحاليَّة anaphors، وهي ألفاظ لا تملك دلالة مستقلَّة، بل تكتسب دلالتها من خلال عودتها على عنصر أو عناصر مذكورة في الخطاب أو مفهومه من سياقه وملابساته، وتقوم على مبدأ التَّمائل بين المُحيل والمُحال عليه، فتؤدِّي بناءً على طبيعته عملها وظيفتين: إشارية بين طرفي الإحالة، وترابطيَّة نصيَّة إذ تُعوِّض المُشار إليه فتُحيل عليه وترتبط به.² وتتألَّف العناصر الإحاليَّة من: الضَّمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة، وأدوات المقارنة.³

1 براون، تحليل الخطاب، ص 542-742.

2 الزُّنَّاد، نسيج النص، ص 118.

3 انظر: الخطابي، لسانيات النَّص، ص 18. وعفيقي، نحو النَّص، ص 118.

وتتفرّع الإحالة إلى نوعين رئيسيين:¹

1. إحالة داخل النَّص: endophora وتُسمّى الإحالة النَّصِيَّة textual، أو الإحالة الدَّاخِلِيَّة، ويُقصدُ بها العلاقات الإحاليَّة داخل النَّص بالعودة إلى ما سبق أو بالإشارة إلى ما سيأتي، وهي تُسهم في تحقيق اتِّساق النَّص بتحديدِها بنيته التَّركيبِيَّة، من خلال عنايتها بالعلاقات بين المكوِّنات التَّركيبِيَّة للنَّص، فقد تكون بين ضمير وكلمة، أو كلمة وكلمة، أو عبارة، أو جملة وجملة، أو فقرة وفقرة. إلخ.

2. إحالة خارج النَّص exophora وتُسمّى المقاميَّة situational أو الخارجِيَّة، وترتكزُ على معرفة سياق الحال Context of situation أو الأحداث والمواقف والأشياء والملابسات المُحيطة بالنَّص وتتحقِّق من خلال إشارة بعض المكوِّنات اللغويَّة داخل النَّص، إلى الموقف الخارجي؛ خارج النص.

وتتفرّع الإحالة داخل النَّص إلى:

1. إحالة على السَّابق أو إحالة بالعودة وتُسمّى (قبليَّة) anaphora: وهي تعودُ على مُفسِّرٍ تمَّ التَّلْفُظُ بِهِ سابقًا، بمعنى أنَّ كلمةً أو عبارةً في النَّص تُشير إلى كلمةٍ أو عبارةٍ أخرى سابقة في النَّص ذاته، والإحالة القبليَّة هي الأكثر استعمالاً في النَّص.

2. إحالة على اللاحق وتُسمّى (بعديَّة) cataphora، وهي تعودُ على عنصرٍ إشاريٍّ مذكور بعدها في النَّص، بمعنى أنَّ كلمةً أو عبارةً في النَّص تُشير إلى كلمةٍ أخرى أو عبارةٍ أخرى لاحقة لها في النَّص ذاته.

1 انظر: عفيفي، نحو النَّص. ص 117. والفقي، علم اللغة النصِّي، 1/ 38-41.

وتتضمّن الإحالة بالعودة نوعًا خاصًا من الإحالة يُعرّف بـ «الإحالة التكرارية epanaphora» ويُقصَد بها تكرار مفردة أو مجموعة من المفردات في بداية كل جملة من جمل النص بغية التأكيد.¹

وتُعدّ الإحالة البعدية نادرة جدًا مقارنةً بالإحالة القبلية،² بمعنى أنّ تأخّر وسائل الإحالة عن مراجعها أكثر احتمالًا من ورودها متقدّمةً عليها.³

يرى هاليداي ورُقبيّة حسن أنّ الإحالة المقامية تُسهم في خلق النص من خلال ربطها اللغة بسياق المقام، لكنّها لا تُسهم في اتّساقه بشكل مباشر، في حين تؤدّي الإحالة الداخلية دورًا فعّالًا في اتّساق النص،⁴ وتأتي خصوصية الإحالة في رسائل زايد من كونها تستند إلى جملة من العناصر الإحالية، وفي مقدمتها الضمائر التي تشكل عنصر ربط أساسيًّا في ربط مكونات النص. وسائل الاتّساق الإحالية:

الضمائر: يُلجأ إلى الإحالة بالضمير لغاية الاختصار وأمن اللبس الناجم عن التكرار وإعادة الذّكر.⁵ وتُعدّ الضمائر أشهر تلك وسائل الاتّساق الإحالية، ويُشاركها في الإحالة بشكلٍ عامّ الأسماء الموجودة في النص،⁶

1 الزناد، نسيج النص، ص 119، انظر للاستزادة في الإحالة التكرارية: ميلود، نزار، «الإحالة التكرارية ودورها في التماسك النصّي بين القدامى والمحدثين»، مجلة علوم إنسانية، السنة السابعة، العدد 44، شتاء 2010.

2 Halliday, M.A.K. *An introduction to functional grammar*, Edward Arnold, London, third edition, 2004, P 552.

3 دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 327.

4 خطابي، لسانيات النص، ص 17 - 18.

5 حميدة، نظام الارتباط والربط، ص 153.

6 دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 321.

وربما تُعزى هيمنة الضمائر على وسائل الإحالة الأخرى لأنها روابط في معظم الجمل،¹ ولكن «ليس الربط بالضمير كالربط بالأداة، فوظيفة الربط بالضمير ناشئة مما في الضمير من إعادة الذكر، وفي هذا تعليقٌ وائتلافٌ وربطٌ... أمّا وظيفة الأداة في الربط، فناشئة من تلخيصها لمعنى نحويّ، كالعطف والشّرط والاستثناء، وغيرها من المعاني».² ويُشترطُ في الإضمار تحقُّق المطابقة بين الضمير ومرجعِهِ في اللفظ والقصد،³ وتتفرّع الضمائر إلى:

أ. ضمائر وجوديّة مثل: أنا، أنت، نحن، هو، هم، هنّ... إلخ.

ب. ضمائر ملكيّة مثل: كتابي، كتابك، كتابهم، كتابنا... إلخ.⁴

1. أسماء الإشارة

تجري أسماء الإشارة مجرى الضمائر في الربط النصّي ممّا يمنحها بعدًا ضميريًا، فالإحالة بأسماء الإشارة قريبة من الإحالة بالضمائر، والعلاقة بينهما علاقة تبادل تركيبية دلالية.⁵

2. الأسماء الموصولة:

تجري الأسماء الموصولة كذلك كأسماء الإشارة مجرى الضمائر في الربط النصّي ممّا يمنحها بعدًا ضميريًا، فهي تتشابه مع الضمائر من حيث النّيابة

1 انظر في تفصيل الجمل التي يربطها الضمير: حميدة، نظام الارتباط والربط، ص 191.

2 حميدة، نظام الارتباط والربط، ص 691، وانظر: ص 251.

3 حسان، البيان، ص 119.

4 خطابي، لسانيات النص، ص 18.

5 انظر: حميدة، نظام الارتباط والربط، ص 200.

والتعويض؛ إذ يشتركان في النِّيابة عن الاسم الظَّاهر، ويقومان كذلك بوظيفة الرِّبْط بين السَّابق واللاحق.¹ أمَّا دور الاسم الموصول في التعويض فَيُفَسَّر بكونه يحيل إلى المنعوت، وأمَّا دوره التركيبي في الرِّبْط فيتمثلُ في كونه وُصلةً إلى وصفِ المعارفِ بالجمل.² ويُسْتَرْتَبُ في الأسماء الموصولة وأسماء الإشارة المطابقة مع المرجع في اللفظ والقصد، وعلاوةً على ذلك فهي تؤدِّي دورًا وظيفيًا من خلال إفادتها لمعانٍ إضافية كإرادة وصف المرجع.³ ويتحقَّق هذا الوصف مع الأسماء الموصولة من خلال جملة الصِّلة التي يُسْتَرْتَبُ تضمُّنها ضميرًا يرتبط بعلاقة مرجعيَّة مع الاسم الموصول ومرجع الصِّلة (الموصوف)، وهذا الارتباط بين هذه المكوِّنات هو ارتباطٌ وثيقٌ تتولَّد عنه علاقة عائديَّة، هي ذات العلاقة الرَّابطة بين الضَّمائر والعوائد بسوابقها في البنيات النَّصيَّة.⁴

ولما كانت الإحالة تقوم على عناصر محددة تربط بين عناصر النص، فإن الوقوف على إحالاتها المتنوعة لا يظهر إلا من خلال رصدها في نص كامل يظهر عناصر الإحالة مرجعياتها، وبناءً على ذلك سنحلل نص رسالة كاملة لإظهار هذا الجانب.

- 1 الغريسي، محمد، اللسانيَّات العربيَّة والإضمار (دراسة تركيبية دلالية)، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2014، ص 179-181.
- 2 حميدة، نظام الارتباط والربط، ص 151-152، 199.
- 3 حسان، البيان، تمام حسان، ص 121.
- 4 الغريسي، اللسانيَّات العربيَّة والإضمار، ص 177-178.

نموذج تطبيقي على الإحالة:

جاء في الرسالة التاسعة عشرة من رسائل زايد ما يلي:¹

من زايد بن خليفة:

إلى جناب المكرم الأجل الأحشم الوفي الصفي الوالد الشيخ أحمد
بن محمد بن هلال المحترم.

سلمه الله تعالى ورعاه وعافاه إن شاء الله.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأزكى على الدوام، محبك بحمد
الله بخير لا زلت كذلك بحال الخير وبدائم² المسرة، أخبرنا من فضل
الله خير ولا زاد إلا مسرة الجميع، كتابك الشريف وصل، وبما ذكرت
من بداية إلى نهاية صار عند محبك معلوم³. والكتاب الذي وصلك
من الأخ الشيخ هلال أشرفنا عليه، وأيضاً الكتاب الذي وصلنا من
المشار إليه أشرفنا على مضمونها⁴، بحال وصول الوالي سليمان بن
سويلم إلى البلد انقل⁵ مقصده حرب بني غافل أهل دريز، ولا يخفأك
من طرف الوالي سليمان بن سويلم، قد عدلناه ونصحناه من هذا
المثار ولا قبل. وربما إن الله عزّ وجلّ مقدر أمراً وعسى العاقبة خيراً،

1 ابن كراز المهيبي، رسائل، ص 59.

2 بدائم: أي بدائم.

3 معلوماً.

4 مضمونه.

5 انقل: اسم بلد في سلطنة عمان.

وحالاً قد وصّينا الطروش¹ إلى الأخ الشيخ هلال بوصية مشافه بعدم الموافقة للوالي، لتعلم ذلك. أيضاً عرفت² من طرف الفرس الكحيلية أنها³ وصلت وأنجبت مهرة مباركة إن شاء الله، وقد حصّلتو⁴ لها منيحه⁵ بتذمر ونهن بالوصول إلينا أحسّتم، وحالكم جميل ولا من جنابكم تقصير، كذلك من طرف مادية مفتاح بن ماسكيه الرّجال مثلما عرفناك سابقاً ماب وثقة ولا هوب للحاجة.⁶ والرأي بيعاد فيه، لتعلم ذلك.

تجمع لغة الخطاب السابق بين خصائص النص المنطوق الشفاهي المستمد من اللهجة المحلية والخطاب المكتوب، من هنا برزت في النص عناصر إحالية متأثرة بهذين النمطين، ولاسيّما من ناحية حذف العنصر الإحالي والاكتفاء بدلالة المقام، كما نلاحظ في قوله: (كتابك وصل) والمراد وصلنا، أو وصل إلينا.

وتقسم الضمائر في النص السابق - بحسب وظيفتها في عملية التخاطب - إلى قسمين:⁷

- 1 أي الرّسل.
- 2 وردت في الأصل، هكذا: عرفة.
- 3 وردت في الأصل بكسر همزة (إنّ)، هكذا: إتها.
- 4 حصلتم؛ أي أوجدتم لها أو جلبتم.
- 5 منيحة: هي الناقة المعدة خصيصاً للحلب.
- 6 لا يوثق به وليس أهلاً للحاجة.
- 7 انظر: الشاوش، محمد، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية،، 1/126. والخطابي، لسانيات النص، ص 18.

- ضمائرلها وظيفة في عملية التخاطب، وهي ضمائر المتكلم والمخاطب، وتشير هذه الضمائر بأنواعها إلى خارج النص، وتسمى الإحالة هنا، إحالة مقامية، وتؤدي وظيفة غير مباشرة في ترابط النص، ومثالها:

أخبارنا من فضل الله خير ولا زاد إلا مسرة الجميع، محبك بحمد الله بخير لا زلت كذلك بحال الخير وبدايم المسرة.

فالخطاب يبيّن العلاقة بين مرسل الخطاب (الشيخ زايد) ومتلقي الخطاب (أحمد بن محمد بن هلال)، والترابط في النص يتشكل من خلال ضمائر تنوب عن التسمية، فالضمير (نا) في تراكيب مثل (أخبارنا) الدالة على الجماعة ينوب عن تسمية الشيخ زايد وأفراد أسرته، وكاف الخطاب في (محبك) ينوب عن ذكر اسم المتلقي هو الشيخ ابن هلال، وإحالات ضمائر الخطاب والتكلم هي إحالات مقامية خارجية؛ أي تشير إلى ما هو خارج النص. ومن أمثلة هذه الحالة بالنص: (كتابك، ذكرت، وصلك، وصلنا، أشرفنا، لا يخفك، نصحنا، لتعلم،)

- ضمائر الغيبة، وهي الضمائر التي تُسهم في تناسق النص واتساقه، وتدخل ضمن الإحالة النصية،¹ وقد اعتنى هاليداي ورؤية حسن بهذا النوع من الضمائر وعدّها الأساس في تماسك النص وربطه، وقد أكّد النحاة مكانة الضمير في تفسير المتقدّم، وفي ربط أجزاء النص،² ويمكن تصنيف شبكة الضمائر في النص وفق الجدول رقم(5):

1 انظر: الخطابي، لسانيات النص، ص 18.

2 انظر: الداودي، الترابط النصي، ص 46. والشاوش، أصول تحليل الخطاب، 1/ 126.

نوع الضمير	نوع الإحالة	المحال عليه	الإحالة
ضمير الغائب الهاء	داخلية / قبيلية	الشيخ ابن هلال	سلمته الله
ضمير الغائب الهاء	داخلية/ قبيلية	الشيخ ابن هلال	رعاه
ضمير الغائب الهاء	داخلية/ قبيلية	الشيخ ابن هلال	عافاه
ضمير غائب مستتر	داخلية/ قبيلية	المحب (الشيخ زايد)	يحمد
ضمير غائب مستتر	داخلية/ قبيلية	كتابتك (رسالتك)	وصل
ضمير الغائب المستتر	داخلية/ قبيلية	الكتاب (الرسالة)	صار
ضمير الغائب الهاء	داخلية/ قبيلية	الولي سليمان بن سويلم	مقصده
ضمير الغائب الهاء	داخلية/ قبيلية	الوالي سليمان بن سويلم	عدلناه
ضمير الغائب الهاء	داخلية/ قبيلية	الوالي سليمان بن سويلم	نصحناه
ضمير الغائب التاء الساكنة	داخلية/ قبيلية	الفرس الكحيلية	وصلت
ضمير الغائب التاء الساكنة	داخلية/ قبيلية	الفرس الكحيلية	أنجبت
ضمير الغائب الهاء	داخلية/ قبيلية	مفتاح بن ماسكيه	فيه

جدول 5: ضمائر الغيبة

يُقدّم النص أربع بؤر دلالية تشكّل مضمون النص / الرسالة، بعد
ديباجة السلام والأخبار في مقدمة الرسالة:

الأولى: تنطلق من وصول كتاب ابن هلال إلى الشيخ زايد، والتي تُبدأ
بتركيب إضافي (كتاب) ثم سيكون الكلام تفسيرًا وإيضاحًا لمضمون الكتاب،
فشكّل ضمير الغيبة (هاء الغائب) عنصر الربط الأساسي بين جمل الرسالة
على الترتيب الآتي:

الكتاب: وصل + صار معلومًا + أشرفنا على مضمونه مكررة مرتين.

الثانية: شرح نية الوالي ابن سويلم في الحرب على بني غافر أهل بلدة
دريز، وهنا يُحدّد الشيخ زايد، رحمه الله، موقفه من هذه الحرب، من خلال
نصحه لابن سويلم بالألّا يُقدم علمها، فيكون ذلك البؤرة الثانية لتشكيل
المعنى في النص، ويكون الربط عبر ضمائر الغيبة على النحو الآتي:

الوالي ابن سويلم: مقصده الحرب + عدلناه + نصحناه + لا قبل (لم يقبل)

الثالثة: هنا ينتقل الخطاب / الرسالة للحديث عن خبر الفرس الكحيلية،
من خلال الانتقال عبر الرابط (أيضًا) الذي ينقلنا من خبر ابن سويلم إلى
خبر الناقة الكحيلية، فتكون بؤرة الدلالة، وتأتي الجمل المتوالية بعدها
شرحًا لحالتها، من خلال نيابة ضمير الغائب عنها، فتشكل الإحالة بضمير
الغائب عنصر الربط الأساسي على النحو الآتي:

الفرس الكحيلية: إنها + وصلت + أنجبت + لها

الرابعة: البؤرة الرابعة للمعنى تبيّن حال أحد الرجال هو مفتاح بن

ماسكيه، فيكون بؤرة انطلاق الخبر، ويشكل ضمير الغائب عنصر الإحالة الأساسي في الربط على النحو الآتي:

ابن ماسكيه: ما بثقة (تركيب لهجي عامي يعني ليس أهلاً للثقة) + ولا هوب للحاجة (تركيب لهجي عامي يعني ليس أهلاً للحاجة) + فيه.

وهنا لا بدّ من الإشارة إلى نتيجة مهمة تشكل مؤشراً أسلوبياً في بناء الرسائل، يتمثل في سيطرة ثنائية الإحالة بضميري الغائب والمخاطب لتحقيق الربط بين الجمل في صياغة الرسائل، ومرد ذلك إلى أن كل رسالة تقوم على خبر أساسي، يليه كلام يشرح المقتضى في معالجته، فتأتي ضمائر الغائب لتحقيق الربط بين الجمل، مما يحقق التماسك النصي.

أما أسماء الإشارة، في النص السابق، فقد أدّت دوراً مماثلاً لما تؤديه الضمائر، ويتمثل في تحقيق اتساق النص وترابطه، بما تمتلكه من إيجاز وتكثيف، كما أنها تتشابه مع الضمائر في كونها لا تعين معناها إلا بالإشارة إلى موجود، قد يكون ملفوظاً نصياً، أو موجوداً مقامياً، وأسماء إشارة الواردة في النص، هي (كذلك+ ذلك) مكررة أربع مرات، و(هذا) وردت مرة واحدة، وقد تكون الإحالة بأسماء الإشارة موسعة، تتمثل «بإمكانية الإحالة إلى جملة بأكملها، أو متتالية من الجمل»،¹ فتكون اختزالاً للكلام السابق من جهة واستذكّاراً له من جهة أخرى. وهذا ما نلاحظه في عبارة (لتعلم ذلك) المكررة مرتين في النص السابق، وهي من العبارات المكررة في الرسائل جميعها، وتبرز القيمة الاختزالية لاسم الإشارة الوارد في العبارة من موقعه

1 الخطابي، لسانيات النص، ص 19.

في النص، فهذه العبارة تأتي في نهاية الخبر لتكون اختزالاً لما ورد سابقاً وتأكيدياً عليه، كما يؤدي اسم الإشارة (ذلك) مقترناً بالكاف وسيلة للانتقال من خبر إلى آخر، فيكون عنصراً ربطاً، وقد اجتمعت هاتان الداللتان في المثال الآتي من النص السابق:

كذلك من طرف مادية مفتاح بن ماسكيه الرَّجَّال مثلما عرَّفناك سابقاً ماب وثقة ولا هوب للحاجة، والرأي ببعاد فيه، لتعلم ذلك.

فالعنصر الإشاري (كذلك) في بداية العبارة، حقق وظيفة الربط والانتقال من والعنصر الإشارة الوارد في نهاية الجزء السابق (لتعلم ذلك) أدى وظيفة تأكيدية واختزالية تُكثِّف كل ما ورد في العبارة السابقة. وتشكل هذه الإحالة الإشارية في رسائل زايد سمة أسلوبية تتكرر في الرسائل، وتمثل أسلوبية صياغة الخطاب الرسمية في تلك الفترة من التاريخ.

وتشكّل الأسماء الموصولة عناصر مهمة للإحالة في النص، وهي بذلك تشترك مع الضمائر وأسماء الإشارة، وإذا كانت الضمائر وأسماء الإشارة تأتي في السياق الإحالي معينة للمحال إليه، أو معوضة عنه، فإن الموصولات لا تأتي إلا معوضة عن المحال إليه،¹ كما أنها مهمة لوقوعها على كل شيء من حيوان وجماد،² وهي « تفتقر إلى ما يفسرها ويتمم معناها، وتقوم الصلة

1 بحيري، سعيد، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، ص 99.

2 ابن يعيش، شرح المفصل، 2/ 372.

بهذا الدور»¹ والجملة الفعلية التي تقع بعد الاسم الموصول دائما مرتبطة بما قبله، وقد ورد في الرسالة السابقة اسمان من الأسماء الموصولة، هما: (ما) و(الذي) الذي كُـرر مرتين، على النحو الآتي:

كتابك الشريف وصل، وبما ذكرت من بداية إلى نهاية صار عند محبك معلومًا. والكتاب الذي وصلك من الأخ الشيخ هلال أشرفنا عليه، وأيضًا الكتاب الذي وصلنا من المشار إليه أشرفنا على مضمونه.

ف (ما) وهو اسم موصول لغير العاقل أتى مع جملة الصلة مُعَوِّضًا عن المحال إليه، وهو المضمون الذي احتوته رسالة المخاطب. كما أتت جملة الصلة الواردة بعد اسمي الموصول (ما/ الذي) مرتبطة بما قبلها كما نلاحظ في عبارة: (الكتاب الذي وصلك/ وصلنا) فالاسم الموصول جاء وصفًا للكتاب الوارد قبله ومحيلًا إلى صفة مُحدّدة له.

وبناء على ذلك يمكن أن نستنتج أن كل أداة من أدوات الإحالة في النص السابق قد أدت مهمة دلالة في تحقيق الربط عبر الإحالة النصية، فقد أدت الضمائر دورها في تفسير المتقدّم، والربط بين العناصر المشكلة للنص، أما أسماء الإشارة، في النص السابق، فقد أدّت دورًا مماثلًا لما تؤديه الضمائر، ويتمثل في تحقيق اتساق النص وترابطه، بما تمتلكه من إيجاز وتكثيف، كما أنّها تتشابه مع الضمائر في كونها لا تعين معناها إلا بالإشارة إلى موجود، قد يكون ملفوظًا نصيًّا، أو موجودًا مقاميًّا، وشكّلت الأسماء الموصولة

1 الأشموني، أبو الحسن نور الدين علي بن محمد بن يوسف، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، 1/ 147.



عناصر مهمة للإحالة في النص، وإذا كانت الضمائر وأسماء الإشارة تأتي في السياق الإحالي مُعيّنةً للمحال إليه، أو معوضة عنه، فإن الموصولات لا تأتي إلا معوضة عن المحال إليه.



الفصل الثالث



الحبك في رسائل زايد



المبحث الأول:

البنية الدلالية الكبرى في رسائل زايد.

المبحث الثاني:

العلاقات الدلالية النصية في رسائل زايد.



الفصل الثالث

الحبك في رسائل زايد

الحبك Coherence هو المعيار الثاني من معايير النصية، وإذا كان السبك يُعنى بالربط اللفظي بين عناصر النص، فإن الحبك يُعنى بالربط المعنوي بين عناصر النص، فهو يلتفت إلى العلاقات الملحوظة بين عناصر النص غير الظاهرة، وهي المعاني، وقد استعملت مصطلحات عدة دالة على هذا المصطلح، إما نتيجة الخلاف في ترجمته، وإما نتيجة الاجتهاد في اختيار المصطلح من بعض الدارسين، ومن تلك المصطلحات: الانسجام¹ والالتحام²، والتقارن³، والتماسك المعنوي⁴، والحبك⁵. وقد اعتمدت مصطلح الحبك؛ لأنه من أكثر المصطلحات استعمالاً، وذلك لأنه وارد في التراث العربي⁶، ولأن بعض المصطلحات المستعملة من بعض الدارسين

- 1 استعمله الخطابي في كتابه: لسانيات النص، ص 34، كما استعمله الشاوش في كتابه: أصول تحليل الخطاب، 1/ 111.
- 2 استعمله تمام حسان في ترجمته كتاب دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص 103، واستعمله عبد الراضي، أحمد، نحو النص بين الأصالة والحداثة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008، ص 83.
- 3 استعمله إلهام أبوغزالة وعلي خليل في كتاب: مدخل إلى علم لغة النص، ص 120.
- 4 انظر: محمد، علم لغة النص، ص 184.
- 5 استعمله عبد المجيد في كتابه: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: 141، ومصطوح، سعد، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، آفاق جديدة، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، 2003، ص 228، والعبد، محمد في كتابه: النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، 2005، ص 100.
- 6 انظر: قياس، لسانيات النص، ص 23.

غير شائعة كمصطلحي: التقارن والتماسك المعنوي، فمصطلح الحبك هو الأقرب في التداول والشيوع بين الدارسين، كما أن معناه اللغوي يشير إلى دقته في التعبير عن المراد، فالحبك في اللغة: أصل يدل على «إحكام الشيء في امتداد واطراد»¹، ويدلّ على «الشّد وإحكام النسج وإجاداته»².

أما في الاصطلاح النصي، فالحبك هو الجامع للعلاقات المفهومية داخل الخطاب/ النص، ينسجها ليجعل للنص معنى كلياً³، كما أنه يمثّل روح النص، فهو المكون الدلالي لأي نص ومن دونه لا يكون نصّاً؛ إذ يختص بالاستمرارية الدلالية المتحققة في عالم النص⁴. وما يتميز به الحبك هو تلك العلاقة بين المعاني، حيث تفسّر بعض أجزاء النص أجزاء أخرى منه، ليكون النص مفهوماً، وبذلك تتكامل وظيفة الحبك المعنوية مع وظيفة السبك اللفظية في تشكيل نصية النص، ويمكن إيجاز أهمية الحبك في النقاط الآتية:⁵

- 1 ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (حبك).
- 2 ابن منظور، لسان العرب، (حبك).
- 3 الشاعر، النحو، ص 149.
- 4 مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص 227.
- 5 الشامي، محمد أشرف عبد العال، معايير النصية، دراسة في نحو النص (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 2003، ص 103 وما بعدها، الشاعر، النحو وبناء الشعر، ص 150.

1. إنه سهل في فهم النص وتأويله، فغياب علاقات الحبكة عن النص قد تمثل عقبة في طريق المتلقي، فلا يفهم النص، وتتشختت الجمل أمامه مع كونها مترابطة نحوياً ظاهرياً.
2. إنه يظهر المعنى الصحيح لكل عنصر من عناصر النص.
3. وقد يرجح الحبكة وجهاً نحوياً معيناً، بما يظهره من العلاقات المعنوية داخل النص.
4. واعتماداً على الحبكة يصبح لمنشئ النص الحرية في ترتيب عناصر النص. وسيتوقف البحث في الحبكة في رسائل زايد عند مبحثين أساسيين يرصدان تجليات الحبكة، هما:
 - المبحث الأول: البنية الدلالية الكبرى وندرس فيه الموضوع وطرق بنائه.
 - المبحث الثاني: نتوقف فيه عند العلاقات الدلالية النصية في رسائل زايد، فندرس العلاقات الدلالية التي برزت في رسائل زايد، والمتمثلة بعلاقات: الإجمال والتفصيل، والسبب والنتيجة، والعلاقة الشرطية، وعلاقة المقارنة.

المبحث الأول: البنية الدلالية الكبرى في رسائل زايد

البنية الدلالية الكبرى/ موضوع النص

تنطلق اللسانيات النصية من أن النص هو وحدة دلالية كلية، وبناء على هذا الفهم ترى أنّ مفهوم البنية الكبرى هو «عبارة عن تصورات دلالية يتجمع تحتها كم غير محدد من الأبنية الصغرى، ويناط إلى المفسر تحديدها، وتحديد أشكال التماسك الكلي؛ لأن ذلك ينتهي إلى مجال الفهم والتفسير الذي ينشده القارئ»¹. وبالتالي فالبنية الكبرى هي اختزال لمجموعة قضايا النص الدلالية، وهي التمثيل الكلي الذي يصور معنى النص بشكل محدد باعتبار النص عملاً كلياً فريداً².

وتتشكّل دلالة النص الكبرى من جملة من الدلالات الجزئية التي تتضافر لتشكيل تلك الدلالة³.

ونشير إلى أن مفهوم البنية الكبرى هو تفسير نسبي، فقد تختلف هذه البنية من قارئ إلى آخر⁴، وتتداخل في ذلك عوامل كثيرة، منها «ثقافة القارئ والزمان والمكان وأهداف القارئ مما يقرأ»⁵. فتصورات بعضنا للنصوص مختلفة بحسب العوامل السياقية وعلاقة المخاطبين، فيجمل القارئ أهم ما في النص؛ أي بنيته الكبرى، كما يراها.

1 البطاشي، الترابط النصي، ص 123.

2 بحيري، علم اللغة النصي، ص 127.

3 توين، علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات (ترجمة وتعليق: سعيد حسن بحيري)، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، 2001، ص 74.

4 بحيري، علم اللغة النصي، ص 130.

5 البطاشي، الترابط النصي، ص 123.

والبنية الدلالية الكبرى تعبر عن الترابط الدلالي والشكلي لمكونات النص، ويمكن عن طريقها أن نحكم على متوالية ما أنها متماسكة دلاليًا.¹

وبناء على ذلك يمكن القول عن هذه البنية، إنها «تصور الترابط الكلي ومعنى النص الذي يستقر على مستوى القضايا الفردية، وبذلك يمكن أن يتشكل تتابع كلي أو جزئي لعدد كبير من القضايا وحدة دلالية على مستوى أكثر عمومية».²

إن الكشف عن البنية الدلالية الكبرى لا يرتبط بما في النص من قضايا صغرى تترايط مع بعضها فقط، بل هو نتيجة لتفاعلات معقدة لمكوناتها المعجمية والتركيبية والدلالية والسياقية؛ أي إن البنية الكبرى هي مزيج من مكونات النص وقصدية المؤلف والظروف السياقية وتوقعات المتلقي. وللكشف عن البنى الكبرى في النص يقوم المتلقي بمجموعة من القواعد، حددها فان دايك بالآتي:³

1. الحذف: وتتضمن هذه القاعدة حذف المعلومات، والقضايا غير الضرورية؛ أي إنَّ هذه المعلومات غير أساسية مقارنة بالمعلومات الأخرى.
2. الاختيار: وتعني هذه القاعدة حذف المعلومات المتعلقة بقضية أخرى.
3. التعميم: وتتسم هذه القاعدة بالحذف العام للقضايا الأساسية، وإحلال معلومات شاملة بديلة عنها.

1 بحيري، علم لغة النص، ص 127.

2 توين، علم النص، ص 75.

3 السابق، ص 81.

4. التركيب: وتعني هذه القاعدة جمع دلالة أجزاء النص وإحلال دلالة قائمة بنفسها مكانها، فهذه القاعدة هي تجميع لطائفة من الدلالات.

فلو طبقنا هذه القواعد على الرسائل لوجدنا أن الوصول إلى الدلالة المركزية للنص سيقوم على قاعدة الحذف التي تخضع للسياق النفسي وتعدّ جزءاً من السلم الحجاجي من خلال التخلي عن المعلومات الثانوية؛ أي تلك التي لم تكن محوراً في مضمون الرسالة، مثل العبارات الافتتاحية للرسائل القائمة على تحديد هوية المُخاطَب، وما يتسم به من صفات، ثم العبارات التي تشرح حال المرسل والمرسل إليه التي تشير إلى جانب اجتماعي يقتضيه فن الرسائل مثل إظهار الحالة الصحية الجيدة والدعاء للمرسل إليه بالخير، ويدخل في قاعدة الحذف خواتيم الرسالة التي يقتضها العرف الاجتماعي المتمثلة بالسلام على المرسل إليه من المرسل وأفراد عائلته. أما قاعدة الاختيار فيشمل اختيار الموضوع الأبرز للرسالة في حال تناولت أكثر من موضوع، وغالباً ما تتناول الرسالة موضوعاً رئيسياً واحداً يتناول مسألة إدارية أو قضائية أو غير ذلك.

أما قاعدة التركيب فتتمثل فيما يبرز في النص الرسائي من وحدات دلالية تؤكد مقولة الرسالة، وهنا تحضر قاعدة التعميم الذي ينحاز إلى اختزال مقولة النص بكلمة أو جملة تلخص مضمونه، كمقولة العدل، أو الإصلاح وغيرهما.

وتظهر البنية الدلالية الكبرى للنص من خلال التركيز على المحددات الرئيسية الآتية:

أولاً: المقولات المركزية:

يشير الباحث سعيد المهيري في مقدمته لرسائل زايد إلى أن أهمية رسائل زايد تكمن في أنها تتحدث عن فترة سبقت مرحلة النهضة المعاصرة، وهي في حقيقتها لباب التاريخ وعصارتها عبر مراحل تاريخ هذه المنطقة الحقيقي؛ لما لهذه الرسائل من بيان ووضوح تاريخي لتلك الشخصيات صانعة الحكمة والكلمة بكل عفوية وبساطة. وإلى جانب أهمية هذه الرسائل من الناحية التاريخية، فهي مادة اجتماعية قيّمة؛ لأنها تصور حياة المواطن العادي قبل ما يزيد على مئة عام، وتُظهر معاملاته اليومية من تجارة وزراعة وعمران وغير ذلك، ثم إنها تقدم لنا صورة عن حياة الناس وما بأمورهم الشخصية، في تلك الحقبة من الزمن،¹ وقد توقفنا في التمهيد عند الظروف الاجتماعية والثقافية التي كتبت فيه رسائل زايد، فهي تقدم لنا صورة عن طبيعة الحياة الاجتماعية وطبيعة الثقافة التي كانت سائدة وقتئذٍ، وطبيعة العلاقات التي كانت تقوم عليها حياة الناس؛ فالرسائل تُقدِّم صورة عن حياة الناس وتحركاتهم وما يعترضها من مشاكل، وهي قضايا قد لا تكون في صلب عمل المؤرخين الذي يعتنون بأحداث التاريخ الكبرى من خلال الأمور العسكرية والأحداث التي جرت في المنطقة والصراع بين أطراف متناحرة. وبالتالي فالرسائل تقدم صورة عملية حية لما كان يقوم به الشيخ زايد الأول في تدبير شؤون دولته، فهي صورة شخصية لنفسية هذا الزعيم الطيبة التي تحب لشعبها كل الخير مع التسامح والرفق بالرعية، فجمع بتلك الصفات القلوب المتنافرة وجعلهم يلتفون حوله.²

1 بن كراز المهيري، رسائل، ص 11.

2 السابق، ص 11-12.

وقد برزت في الرسائل مقولات أساسية مركزية كانت تبني عليها البنية
الدلالية الكبرى للرسائل، ولعل من أبرزها:
الإصلاح والعدل:

قامت سياسة الشيخ زايد الأول في حكمه وفضه للخلافات بين مكونات
المجتمع القبلية على مرتكز أساسي هو الإصلاح الذي يظهر بوضوح في رسائله
إلى معاونيه، ويرتكز هذا الإصلاح على العدل، وقد شكّل ذلك مقولة أساسية
قامت عليها رسائل عدة، ومن أمثلة ذلك ما جاء في الرسالة السادسة:

من زايد بن خليفة

إلى جناب الكرام الأحشام المشايخ الأولاد

خليفة بن زايد وأحمد بن محمد بن هلال

سلمهم الله تعالى وأبقاهم ورعاهم من جميع المكاره وقاهم إن شاء الله

... كتبكم الشريفة جميعهن وصلن وبما ذكرتموه من بداية إلى نهاية
صار عند والدكم معلومًا، ... بحال مادية بني قتب وبني كعب مع
جناب الولد الشيخ سلطان بن محمد، قد وصل إليكم الشيخ سالم بن
أديين ومحمد بن هويدن وأنهم ممثلين¹، بما صدر منا إليهم من الأمر، وقد
واثقوكم على ذلك فلا بأس، كما معلومكم بنا إن مرادنا صلاح ذات البين
بين الجميع، والشيخ الولد سلطان بن محمد ما تاخذنا من طرفه في الله

لومة لايم، ومحسوب على الله وثم علينا في الخير وضده، بالحاضر هذه
واصلتكم خطوط¹ للمشار إليهم تشرفون عليهن² أن يكون أنهم على
الجواب الذي أعطوكم إياه من طرفنا، مرادنا منهم وصولهم إليكم براعي
مصفوت³ ولد سعيد بن عبد الله راعي حتا، وتصلحون الأحوال التي
بينهم وبين الولد الشيخ سلطان بن محمد، يوسط بجانبكم وكل منهم
يُعطى المواجب الذي⁴ له وإلى أهله، ويكون أهل حتا تحت أمر الله ثم
أمر الولد الشيخ سلطان بن محمد ولا يكون إلى أحد منهم مدخل. هذه
الخطوط يكون تصلون بهم يوصلهن إما الشيخ هلال بن محمد أو غانم بن
حموده ويجاوبهم بجواب من الراس إلى الراس، التعلمون ذلك⁵.

لعل أول ما نلاحظه على هذه الرسالة، وهو ما ينطبق على جميع
الرسائل، أنها تقوم على مقولة واحدة، أو موضوع واحد تعالجه، وبناء عليه
تبني الرسالة هيكليتها، فالمقولة الرئيسية للرسالة السابقة، هي إصلاح ذات
البين بين المتخاصمين (طرفها الأول بنو قتب وبنو كعب، وطرفها الثاني
الولد الشيخ سلطان بن محمد) وقد سار بناء هذه المقولة في النص وفق
تسلسل منطقي يتمثل في الوحدات الفرعية الآتية:

- 1 أي رسائل.
- 2 عليها؛ أي الرسائل.
- 3 أي حاكم مصفوت.
- 4 التي.
- 5 لتعلموا بذلك. انظر: ابن كراز المهيري، رسائل، ص 31.

- أسلوب التلطف الذي ميز أسلوبية رسائل الشيخ زايد جميعها ويظهر في مخاطبة معاوني بلفظ اسمه مجرداً من الألقاب (من زايد بن خليفة) المرسل/ ثم تحديد الطرف الثاني/ المرسل إليه/ مسبقاً بجملة من الألقاب (جناب/ الكرام/ الأحشام/ الأولاد/ ثم الدعاء لهم والسلام عليهم، وهذا ما يشير إلى بث روح الألفة والتعاضد بين الفرقاء.
- تحديد مضمون الرسائل التي أرسلها معاونوه له حول القضية المعالجة، وهذا ما نلمسه من خلال أسلوب التفصيل والتفسير، فلم يلجأ إلى المهمم ولا المجمل.
- تفصيل القضية التي تدور حولها الرسالة (الخلاف).
- الحلول للخلاف ويظهر من خلال: إرسال الوسيط المحايد لحل الخلاف، التأكيد أن الهدف إصلاح ذات البين من خلال تكرار الجمل الدالة عليه: (إن مرادنا إصلاح ذات البين بين الجميع، وتصلحون الأحوال).
- تأكيد قيمة العدل في بناء العلاقات بين الناس من دون تمييز بينهم (والشيخ الولد محمد بن سلطان ما تأخذنا من طرفه في الله لومة لائم، ومحسوب على الله ثم علينا في الخير وضده)، قد أسهمت الحجة في تعضيد الحبك، وهي حجة مستمدة من الشريعة الإسلامية التي تقرّها الأطراف المتلقية لهذه الرسالة، وتؤكد قيمة العدل في جمل أخرى صريحة كما نلاحظ في قوله: (وكل منهم يعطى المواجيب التي له).
- فهذه الوحدات الدلالية تضافرت بتسلسلها المنطقي في تحقيق الحبك المعنوي للرسائل وتحقيق تماسكها النصي.

السلطة القائمة على التعاون والاحترام المتبادل بين مكوناتها المجتمعية

تظهر هذه المقولة بوضوح في الرسائل التي كان يرسلها شيوخ القبائل إلى الشيخ زايد ومعاونيه، فالمكون الأساسي لبناء الدولة يقوم على احترام مكوناتها المجتمعية المتنوعة والتكامل في العمل الذي يعزز سلطة الدولة، ومراعاة خصوصية كل مكون من مكوناتها، مع الولاء لحكمة القائد لهذه الدولة وتعزيزها، وهذا ما يؤكد تعاضد الدولة وجنوح مكوناتها نحو الوحدة والتكامل، وهذا ما يبرز في مقدمات الرسائل التي كان يوجهها زعماء القبائل والأعيان إلى الشيخ زايد التي تؤكد الولاء والتعاون في بناء المجتمع ومنها الرسالة التي بعثها أحد الأعيان (خلفان بن حميد النقي):

إلى جناب عالي الجناب الشيخ الأكرم المكرم العدل الأحشم
الأجل الأرشد المجد الأشيم السعد الصفي الوفي ذخرنا وفخرنا زايد
بن خليفة المحترم.
سَلِّمَهُ اللهُ تَعَالَى إِنْ شَاءَ اللهُ.

السلام عليك ورحمة الله وبركاته، وأزكى وأشرف تحياته. ومن
هذه الأطراف لا حدث عندنا علم نحب رفعه إليك إلا الخير ومسرة
قلبك ودوام بقاءك إن شاء الله لنا ذخراً مدة الحياة آمين.¹

1 ابن كراز المهبيري، رسائل، ص 489.

ومن أمثلة هذه الرسائل التي تشير إلى الوحدة التي لا تنفصم عراها في الدولة في عصر زايد ما جاء في الرسالة الآتية:

من محبّك علي بن سعيد ومحمد بن سعيد وكافة رجال الشوامسة
إلى جناب الشيخ الأكرم المكرم العزيز الناصح عندنا خليفة بن زايد
حماك الله وأبقاك إن شاء الله
سلام عليك ورحمة الله وبركاته ومغفرته ومرضاته، أما بعد صرنا
نحن والشيخ زايد بن خليفة عضو، لاله مفصل...¹

فمجمال تلك الرسائل تشير إلى الاحترام والتقدير للشيخ زايد وتؤكد صفاته القيادية وصفاته الأخلاقية التي جمعت الناس حوله، ويمكن أن نلاحظ أن الحبك المعنوي للرسائل قد قام على تعزيز مقصدية الرسالة، من خلال تسليم مُنشئ هذه الرسالة وملتقها بتلك الصفات القيادية التي امتلكها الشيخ زايد.

ثانيًا: تحديد مفاهيم السلطة والشورى وما يرتبط بها

يمكن القول إن مفهوم السلطة في تلك الفترة التاريخية هو مفهوم قائم على التصالح بين مكونات المجتمع، وتحقيق الاستقرار، وهذا ما نلاحظه في رسالته الموجهة إلى ولده الشيخ خليفة بن زايد، فبعد السلام والدعاء تأتي الجملة المركزية للرسالة المتمثلة في قوله:

1 ابن كراز المهيري، رسائل، ص 263.

كتابك الشريف وصل وما ذكرته صار عند والدك معلومًا
والصلح الذي أعطيته لخبروت الجنبيبي تمام.¹

وقد يقترن بناء الرسالة بطرح حلول الصلح مع الاعتماد على الشورى في الوصول إلى الحكم الصائب، وهو ما نلاحظه في اعتماد الشيخ زايد على أصحاب الرأي والحكمة في معالجة الأمور، وهذا يبرز في رسائل الشيخ زايد إلى مستشاره الشيخ أحمد بن هلال التي شكلت فيها هذه البنية الدلالية الكبرى (الشورى والرأي) محور موضوع الرسالة، وهذا ما يمكن ملاحظته في المقتطف الآتي:

... واصلاتك تعاريف منّا لجناب السيد فيصل والوالي سليمان بن سويلم مكشوفات تُشرف على مضمونها، والمراد من جنابك تتفضل وتوجه لجناب الوالي سليمان بتأخيرٍ عن ما هو عازم عليه، وكتاب السيد فيصل ذمّره أحدًا من الربع، إما أخيك² هلال بن محمد أو غانم بن حمودة لجناب السيد فيصل حتى نعرف بما هم فيه وعليه، فإن كان مرادهم من سداد الأحوال فيها بينهم وبين أهالي الظاهرة، ومرادهم من التوسط الخير فلا بأس إذا سعت فيه بعين العارفة... وإن كان مطلب السيد عداوة أهل الظاهرة الرأي يعاد وجنابك الناظر في ذلك وبنظرك كفاية...³

1 ابن كراز المهبيري، رسائل، ص 27.

2 أخاك.

3 ابن كراز المهبيري، رسائل، ص 35.

فالبنية الدلالية الكبرى للرسالة السابقة تقوم على تعزيز مفهوم الصلح بين مكونات المجتمع، واعتماد مندوب لحل الخلاف من ذوي الخبرة بأحوال الناس، واعتماد الحوار في حل الخلافات من خلال كشف نوايا كل طرف ومعالجتها، فتكون «التعاريف»؛ أي «الرسائل» الموجه الأول للحل، وتترك لمندوبه أو مستشاره الحرية في المعالجة لما يستجد من أمور الخلاف، وهذا ما دلت عليه أوصاف الشيخ زايد لمستشاره ومن جملتها: (سعت فيه بعين العارفة) (وجنابك الناظر في ذلك وبنظرك كفاية)، فهي جمل دالة على الشورى في أخذ رأي حكماء الدولة في معالجة القضايا والمشكلات بين أبناء المجتمع من خلال الحوار الذي يؤسس للتصالح والبعد عن العداوة.

ويقترن مفهوم السلطة بمفهوم العدل المستند إلى الشريعة الإسلامية، فقد استند حل كثير من مشكلات التي واجهت الناس في عصر زايد إلى الشريعة الإسلامية، ومنها قضية الإرث، وهو ما نلاحظه في الرسالة الآتية:

من زايد بن خليفة

إلى جناب المكرم الأحشم ... الشيخ محمد بن هلال

... ولا يخفك من طرف مصبّح بن راشد بلغنا أنه توفي وأرثتوا¹ في تركته، وله ثلاث خوات² ما ورثتوهنّ من تركته، المراد بما يحقّ لهنّ من تركته تقبضها. وهذي فتوى سيد محمد واصلة تشرف عليها وبه كفاية.³

1 أي قتمت بقسمة الإرث.

2 أخوات.

3 ابن كراز المهبيري، رسائل، ص 43.

فالمقولة المركزية للنص هي إقامة العدل على وفق ما تقتضيه الشريعة الإسلامية، في قضايا التوريث، مع الاستناد إلى فتوى ذوي الاختصاص، فقامت الدلالة الكبرى للرسالة على شرح القضية المطروحة، وطرح الحل الشرعي لها، ثم الدعوة إلى الالتزام بمقتضيات الشريعة العادلة في رد الحق إلى أصحابه. وقد تكرر هذا الموضوع وبطريقة المعالجة ذاتها في رسالة أخرى¹. فكان هذا الملمح من أهم ملامح الحبك المعنوي في الرسائل.

كما استندت السلطة إلى الحزم في إدارة الخلافات التي تشكل خطرًا على الدولة، مع توخي الحكمة في إدارتها، كما نلاحظ في الرسالة التي وجهها الشيخ زايد إلى مستشاره الشيخ أحمد بن محمد بن هلال، والبنية الدلالية الكبرى للخطاب تتمثل بالمقطع الآتي:

... ولا يخفأك الذي نعرفك به بلغنا خبر أن المناصير آل شعر² بايثورون ييون³ العفّار، وحال وصول التعريف بجنابك ترسل طارشًا عاني⁴ للعفّار ينذرهم عن لا يلحق ذمتنا منهم شيء⁵، وهذا ما لزم ولا يكون تتماهل وتغفل عن ذلك⁶.

1 ابن كراز المهبيري، رسائل، ص 49.

2 أشار المحقق إلى أن صوابها: آل بالشعر بتشديد الشين، وهي عشيرة من عشائر المناصير.

3 بايثورون؛ أي سوف يثورون، ييون أي يقصدون أو يرغبون.

4 عاني؛ أي خاصًا.

5 أي ينذرهم كي لا يلحق بذمتنا منهم شيء.

6 ابن كراز المهبيري، رسائل، ص 67.

فالبنية الدلالية للخطاب تقوم على الإجمال ثم التفصيل، وهي بنية تتكون من الوحدات الآتية:

- تحديد القضية (بلغنا أن المناصير...)
- إرسال التعريف (الرسالة) المتضمنة اقتراح الحل
- إنذار الطرف الثاني
- إبراء الذمة
- عدم التساهل في تنفيذ الحل.

ثالثاً: القبيلة والعرف

استندت أسس الحكم في تلك الفترة والسياسة بين مكونات المجتمع إلى بعض التقاليد التي يفرضها العرف الاجتماعي القبلي، فهي عنصر أساسي في تحقيق العدل والاستقرار، ويمكن أن نلاحظ هذا في إشارة واضحة في الرسالة الآتية:

... وبعده: أعرفك وصل عندنا الشيخ علي بن صالح وسوّى سالفه بين الجماعة بني غافر واليعاقب وانفضاضها على يديكم، هذا والسلام.¹

1 ابن كراز المهبيري، رسائل، ص 495.

وقد ذكر محقق الرسائل أن السالفة هنا بمعنى الرجوع إلى رجل عارف في الأعراف والتقاليد تُحلّ على يديه المشاكل، كما أن السالفة لها تفسير آخر وهي هدنة تتم بين القاتل وأهل المقتول تُحدد فيها مدة معينة لحل المشكلة التي بينهم.¹ ولكنني أميل إلى تفسير مختلف، وهو أن السالفة يراد بها هنا: قصة أو مشكلة ما، والدليل أنه قال بعد ذلك: «وانفضاضها على يدكم».

1 انظر: ابن كراز المهبيري، رسائل، الحاشية رقم (2) ص 495.

المبحث الثاني: العلاقات الدلالية النصية في رسائل زايد (وسائل الحيك الداخلية)

مقدمة

تفرد الدراسة النصية جانبًا خاصًا وأساسيًا للجانب الدلالي للنصوص، لأن التماسك النصي يقوم على الترابط بين مكونات النص دلاليًا، الذي يتحقق من خلال علاقات متعددة بين مكوناته، فالنص يتكوّن من مجموعة قضايا مرتبطة ببعضها، وهذا الارتباط قائم على علاقات، وتعد هذه العلاقات الدلالية من معايير الحيك النصي التي عدّها فان ديك ضرورية لربط الفقرة النصية.¹ ومن هنا فالتوقف عندها، هو وقوف عند مظاهر انسجام النص، وتماسك أجزائه، فالوحدة المعنوية تؤثر في إحكام الوحدة البيانية الفنية، وهذا ما أشار إليه فان ديك عندما جعل الترابط بين العلاقات داخل النص ضرورة لانسجامه وتماسكه،² فالوظيفة التي يقدمها مفهوم العلاقات في النص، هي ربط أجزاء النص والعمل على استمرارية الدلالة؛ إذ تعمل العلاقات «على تنظيم الأحداث والأعمال داخل بنية الخطاب».³

وتبرز وسائل الحيك الداخلية في رسائل زايد من خلال جملة من العلاقات الدلالية، ولعل من أبرزها:

-
- 1 توين، علم النص، ص 64.
 - 2 السابق، ص 53.
 - 3 ابن عمار، تحليل الخطاب الشعري، ط2، 2009، ص 83.

علاقة الإجمال والتفصيل

وتعني إيراد معنى على سبيل الإجمال ثم تفصيله أو تفسيره أو تخصيصه،¹ وقد حدده السيوطي بقوله: «المجمل ما لم تتضح دلالته»،² وتوضّحه التفصيلات التي تأتي بعده، وتعمل هذه العلاقة على اتصال القضايا بعضها ببعض داخل النص عندما تكون الدلالة الأولى مكثفة، وتأتي الأخرى مفصلة لها؛ إذ تكون دلالة التفصيل كدلالة التعريف،³ فترد القضية مجملة ويتبعها التفصيل، فتكون الدلالة مستمرة، وقد ترد القضية مفصلة ويتبعها الإجمال.⁴

ويظهر الإجمال في مظهر بارز في الرسائل، وهو "الاستهلال" أو جملة الفاتحة، بشكل أساسي؛ إذ لا نجد العتبات النصية الأخرى التي تشكّل نصًا موازيًا عن هذه الرسائل، ومن هنا تحتل فاتحة النص مكانة بارزة من حيث الأهمية، ومن حيث علاقاتها ببقية أجزاء النص وتحكمها في هذه الأجزاء،⁵ لأنه في الغالب يُركّز المرسل كل جهوده في هذه الجملة وما يأتي بعدها تفسير وتفصيل لها، وتعدّ جملة الاستهلال المحور الذي يدور في مجاله النص إذ تتعلّق الأجزاء الباقية من النص بالجملة الأولى بوسيلة اتساقية تربطها بما يأتي بعدها وتحيل إليها، فمن عبارات الاستهلال المجمل الرئيسية في مفتتح الرسائل التي كانت مكررة فيها ما يلي:

- 1 عبد المجيد، البديع بين البلاغة واللسانيات النصية، ص 146.
- 2 السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1988: 53/3.
- 3 انظر: البطاشي، الترابط النصي، 79.
- 4 الخطابي، لسانيات النص، ص 272.
- 5 الفقي، علم اللغة النصي، 1/65.

التركيب النعتي

وهذا بات ملمحًا أسلوبياً في رسائل زايد، وهو ما نلاحظه في الجملة الأولى التي يُفتتح بها مضمون الرسالة، وهي عبارة تتكرر في الرسائل، وتتمثل في التركيب: (كتابك الشريف) أو عبارة (كتبكم الشريفة)، وهي من العبارات المُجَمَّلة العامة والمهمة، تليها الجمل التفسيرية التي تشير إلى المضمون، كما نلاحظ في الرسالة التي وجهها الشيخ زايد إلى الشيخ أحمد بن محمد بن هلال التي جاء في متنها:

... كتابك الشريف وصل، وما ذكرت صار عند مُحَبِّك معلوم،¹ بحال وصولك إلى المشايخ أولاد شامس بن حمد أوجدت² منهم الحال الجميل، وأنهم ثابتين³ على الجواب المتقدم، فحالهم جميل، وإن كان من الجواب عمل نرجو من الله العواقب تكون إلى خير، التعلم⁴ ذلك.⁵

فالتركيب النعتي المُجَمَّل (كتابك الشريف) هو تركيب عام مجمل لمضمون الرسالة التي أرسلها المرسل الشيخ أحمد بن هلال إلى الشيخ زايد، ولكن التركيب يشير إلى الرسالة من دون الإشارة إلى ما تضمنته، فهي من العبارات المجملة المختصرة التي ينتظر المتلقي تفصيلاً لها، ثم يلي ذلك جمل عدة مرتبطة بها يتضمنها الخطاب ويفصّل هذا الإجمال في التركيب،

1 معلومًا.

2 أي: وجدت.

3 ثابتون.

4 لتعلم بذلك.

5 ابن كراز المهيري، رسائل، ص 63.

والكلمة المفتاحية في الرسالة التي تشير إلى تفصيل المضمون هي: (بحال)،
فهي تشير إلى أن الرد هو إجابات عن القضايا الواردة في خطاب ابن هلال،
على النحو الآتي:

- التفصيل الأول: بحال ووصولك إلى المشايخ أولاد شامس ووجدت منهم الحال الجميل. هذا يشير إلى أن مضمون كتاب ابن هلال قد طلب رأي الشيخ زايد في مسألة أولاد شامس.
 - التفصيل الثاني يتضمن رد الشيخ زايد الذي يرصد احتمالات اللقاء مع أولاد شامس ونتائجه، المتمثل في أحد الاحتمالين: الأول الثبات على العهد فتكون النتيجة الحال الجميل، وإما نكث العهد وعندها يكون الرجاء أن تكون عواقب ذلك خيراً، وبناء على ذلك أسهم الإجمال الوارد في العبارة المفتاحية، ثم ما وليه من عبارات تفصيلية في تحقيق الحيك والانسجام المعنوي في بنية الرسالة.
- وقد يرد التركيب السابق في الرسائل بصيغة الجمع: (كتبكم الشريفة)، وهو ما نلاحظه في الرسالة الموجهة من الشيخ زايد إلى الشيخ خليفة بن زايد، والشيخ أحمد بن هلال التي جاءت ردًا مجملًا على مجموعة قد أرسلوها للشيخ زايد:

كتبكم الشريفة جميعهن وصلن... بحال مادية بني قتب وبني كعب مع جناب الولد الشيخ سلطان بن محمد. قد وصل إليكم الشيخ سالم بن أديين ومحمد بن علي بن هويدن وأنهم ممثلين¹ بما صدر منا إليهم من

1 أي وهما ممثلان.

الأمر، وقد واثقوكم على ذلك فلا بأس، كما معلومكم بنا إن مرادنا صلاح ذات البين بين الجميع...¹

فالعبرة المفتاحية المجملة في الرسالة هي: (كتبكم الشريفة) التي تشير إلى رسائل إلى الشيخ زايد تتضمن أخذ رأيه في قضايا غير محددة، ثم تأتي الجمل التفصيلية التي تشير إلى مضامين تلك الرسائل والقضايا المطروحة، ويفتح التفصيل بكلمة (بحال) يليها عرض القضية وطرح طرق المعالجة لها.

العبرة العامة المُجملة

وقد يفتح مضمون الرسالة بعبارة عامة مجملة، هي: (والذي نعرفك به ونرجوه منك حال وصول التعريف إليك)، وهنا الرسالة لا تكون ردًا على رسائل مرسله إلى الشيخ زايد، وإنما تكون رسالة ذات طابع توجيهي وإداري في القضية المطروحة، وهي ما يسميها عبد الهادي بن ظافر الشهري بـ(الاستراتيجية التوجيهية) التي تتجسد من خلال آليات صريحة في توجيه المتلقي مثل أساليب النهي والأمر الصريحين والتحذير وغيرها²، ونلاحظ من خلالها أسلوب إدارة الحاكم للمشاكل التي تواجه الدولة، فتفتح الرسالة بالعبارة المجملة التي تلمها التفصيلات الشارحة لها والمرتبطة بها، كما نلاحظ في الرسالة التي يوجهها الشيخ زايد إلى الشيخ خليفة بن زايد وقد جاء فيها:

1 ابن كراز المهيبي، رسائل، ص 31.

2 الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2004، ص 7.

... والذي نعرفك به ونرجوه منك حال وصول التعريف إليك، المراد منك تتوجه أنت والعربان الذي يخصونا بقدر مائة رجل إلى البلد صحار، إن كان المقابيل والشوامس ما ستدّوا ويّا الوالي،¹ وقبل ميثارك يكون ترسل² للمقابيل والشوامس سيف بن سلطان، لأنك متوسّط بالخير فيما بينهم وبين الوالي...³

فقد افتتح مضمون الرسالة بالعبارة المفتاحية المُجملة (والذي نعرفك...) ثم يأتي التفصيل بكلمة (المراد) الذي يُحدّد مضمون ما ينبغي أن يعرفه المرسل إليه، وما ينبغي عليه فعله، فالعبارات التالية للعبارة المفتاحية هي عبارات تفصيلية تُفصّل المُجمل.

استعمال التركيب المُجمل (لا يخفاك)

وقد يأتي الإجمال عبر التركيب (ولا يخفاك) وهذا التركيب يرد لغرض الإجمال الذي يليه التفصيل في بداية الرسالة، كما أنه يرد في سياقها، فيؤدي فائدة حجاجية فالعبارة تضمّر إفحامًا للمخاطب، فمن وروده في بداية الرسالة ما نلاحظه في المثال الآتي:

... ولا يخفاك ناقة ضايعة على خليفة بن مانع وبالأمس رأوها عند ولد شويبي العرج، ورادوا يحجرونها ورخصناها يظهر عليها الولد، والناقة يزعمون إنها مشرية ... المراد منك تحجر على الناقة ما تتغير إلى أن يوضح أمرها.⁴

1 أي: إذا لم يتفقوا وبنها الأمر مع الوالي.

2 أي قبل قيامك من جلستك يجب أن ترسل.

3 ابن كراز، رسائل، ص 25.

4 ابن كراز، رسائل، ص 37.

وفي رسالة أخرى نقراً:

... لا يخفأك من طرف مصبّح بن راشد بلغنا أنه توفي وأرثتوا في تركته،
وله ثلاث خوات ما ورثتوهن من تركته، المراد بما يحقّ لهنّ من تركة تقبضها
1...

فيفتح مضمون الرسالة بهذا التركيب المجمل (لا يخفأك) الذي لا
يعرف المتلقي مضمونه، ثم ترد تفاصيل الأمر فيما يتلوه من عبارات.
وقد يأتي الإجمال والتفصيل بهذا التركيب في سياق الرسالة، نحو:
... ولا يخفأك بخّار لمحمد بن خليفة القمزي بطرفكم. اتفضّل
دبره² بالوصول إلى نوحده.³

تراكيب الإجمال والتفصيل في نهاية الرسالة:

وتظهر تقنية الإجمال والتفصيل في خاتمة الرسائل من خلال تقنيات
لغوية عدة، أكثرها ترداداً صيغة فعل الأمر (سلّم) والتفصيل بعده بمن
يُراد توجيه السلام عليهم، وهي من الصيغ التي شكلت سمة أسلوبية في
نهايات الرسائل جميعها، كما نلاحظ في المثال الآتي:

... سلّم لنا على أخيك الشيخ هلال. والولد محمد، ومنا الأولاد خليفة
وطحنون وصقر وإخوتهم يسلمون عليكم والسلام.⁴

-
- 1 ابن كراز، رسائل، ص 43.
 - 2 أي مكّنه.
 - 3 ابن كراز، رسائل، ص 43.
 - 4 السابق، ص 71.

وقد تكون هذه التقنية معكوسة، فتبدأ الرسالة بالتفصيل وصولاً إلى الإجمال، ويتحقق الإجمال عبر عبارة التعميم (كل) وهذا ما نلاحظه في العبارة الرئيسية التي ترد في نهاية كل رسالة، وهي قول المرسل: (وكل غرض أم لازم يقضى).¹

وقد يأتي التعميم بعد التفصيل من خلال عبارة: (وهذا بيانه) التي ترد دومًا بعد تفصيل، وهذه العبارة تعدّ أسلوبًا مُلطفًا للطلب من المرسل إليه تنفيذ المطلوب المشار إليه في الرسالة.²

ويأتي التعميم بعد التفصيل في متن الرسالة بصيغة (لتعلم ذلك) في نهاية الرسالة وخاتمتها، وهذه الصيغة هي عبارة ملطفة ظاهرها إعلام المخاطب بتفاصيل الرسالة ومضمورها ثم حثّه على تنفيذ مضمونها.³

الحوارية (السؤال بالجواب)

تسهم هذه العلاقة في بناء الحوار الداخلي للنص؛ إذ ترتبط دلالة السؤال بالجواب، فهما يدوران في دائرة دلالة واحدة وموضوع واحد، وتؤدي هذه العلاقة بأدوات نحوية مثل هل، أين، ما، ماذا...⁴ وقد تؤدي بوحدات معجمية دالة على السؤال من مثل: (وسائلة، وتسألني...).

1 ابن كراز، رسائل، ص 45.

2 انظر: السابق، ص 47.

3 انظر على سبيل المثال، ابن كراز، رسائل، ص 63.

4 محمد، علم لغة النص، ص 207.

ولعل من أبرز تقنيات الحوارية في رسائل زايد، تقنية الاستفهام المضمّر، وهو طلب الفهم، وهو بمعنى الاستخبار،¹ ويعرف الاستفهام بأنه «طلب حصول صورة الشيء في الذهن»،² ولكن «ما تُشيعه أداة الاستفهام أرحب وأدق من أن نحدده تحديداً تاماً، وأن المعاني التي تشير إليها هي بطبيعتها خفية وهاربة لا تستطيع وصفها بإحاطة وسيطرة، وهذا ليس بعيداً عن طبيعة اللغة».³ من هنا يمكن القول إن «الاستفهام البلاغي لا يقف عند حد الطلب، بل يتجاوز ذلك إلى التعبير عما في النفس من معاني، وهذه المعاني لا يكشف عنها ويدل عليها نوع أداة الاستفهام فحسب، ولا نوع ألفاظ الجملة وطريقة تركيبها فقط، ولا رؤية المستفهم وحدها، بل كل ذلك وغيره يشارك في الكشف عن دلالة هذه الجملة».⁴ وبناء على ذلك يمكن القول إنّ المقام والسياق هما المحددان الأساسيان في تحديد المعاني البلاغية للأساليب اللغوية ومن جملتها الاستفهام.

وقد لاحظنا في رسائل زايد أن الحوارية لم تقم على الاستفهام المباشر من خلال أدوات الاستفهام، وإنما قامت على تقنية التحاور، فالسؤال من المرسل كانت تدل عليه عبارة: (كتابك الشريف) أو (كتبتكم الشريفة) ثم يكون الجواب في رسائل زايد مفتتحاً بعبارة (وما ذكرته صار عند محبك

1 ابن منظور، لسان العرب، (فهم).

2 السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، تقديم مصطفى البيغاء، دار ابن كثير، دمشق، 1407هـ: 883 /2.

3 أبو موسى، محمد، دلالات التراكيب، دراسة بلاغية، مكتبة وهبة، القاهرة، (د.ت): 218.

4 الذبياني، مساعد، السخرية في شعر عبد الله البردوني (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، السعودية، 1431هـ: 116.

معلوماً)، وهذه العبارة تضمّر مجموعة تساؤلات أو استفسارات من المرسل، وتأتي الإجابة عن تلك الاستفسارات في رسالة الشيخ زايد مفصلة، ويتم الانتقال من المضمون إلى التفصيلات عن الاستفسارات باعتماد أداة ربط أساسية، هي لفظة (بحال)، أو ما يرادفها، ولإظهار هذه الحوارية التي تعد من وسائل الحيك النصي، يمكن التوقف عند الرسالة الآتية التي يخاطب فيها الشيخ زايد، الشيخ أحمد بن هلال:

... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وألطفه وهباته، مُجِّبُكَ وَهُوَ
الحمد بخير لا زلت محروس¹ بحال الخير، ولا زاد وحدث إلا ما به
سرّة الجميع، كتابك الشريف وصل، وما ذكرته صار عند مجِّبِكَ
معلوم،² وهذا الظن بك والمأمول... بحال بما عرفتنا من طرف
أحوال الولد الشيخ العزيز سلطان بن محمد بن علي بأنه على ما نأمله
أمنه³ بزيادة، فهذا عندنا ثابت وعين اليقين... وظننا ورجانا في الله ثم
في المشار إليه بما هو الحسن الجميل... ثم بحال بما أشرت إليه من
أحوال أهل المقاصد لتعلم فلا هم عندنا محل ولا نصغي إلى جواباتهم
بما يتحقق عندنا في أحوال الصفاوة والتحام الصداقة في المشار إليه،
وشركاء وإياه في الخير وضده، نسأل الله تعالى أن يمدّنا بعونه ويُثبِّتنا على
ما يحبّه ويرضاه إن شاء الله، وقد وصل إلينا الولد الشيخ خلف بن
سنان وتوايها⁴ وإياه وأملنا أنه متليّم في بد ولازم لنا بحب الإشارة

1 محروسًا.

2 معلوماً.

3 أي: منه.

4 أي وتواجهنا.

منا إليه، وحالاً كلفناه بالوصول إلى الولد الشيخ سلطان بن راشد حتى يكون على الشيفه،¹ أحببنا التبيان لجنابك، هذا ما لزم بيانه، وكل غرض أم لازم يُقضى.²

فالحوارية في الرسائل المدروسة تكمن في طرفي التلقي؛ أي المرسل والمرسل إليه، كما أن الحوار لدى الشيخ زايد يجعل الآخر يتقبل مضمونه لما يحمل من تواضع، فالمرسل يرسل قضية أو جملة من القضايا في رسالته إلى الحاكم تضمّر تساؤلات حول القضية/ القضايا المطروحة، وتكون الرسالة ردّاً عليها وتفسيراً لها، وتكون الكلمة المفتاحية، كما نلاحظ في الرسالة السابقة، هي عبارة: (كتابك الشريف) التي تشير إلى رسالة موجهة من مساعد الشيخ زايد، وهو الشيخ ابن هلال، من دون تفصيل في مضمونها، ثم يتحقق التفصيل والإجابة عن القضايا المطروحة في متن الرسالة التي تنطوي على إشارات إلى مضمون تلك الاستفسارات والتساؤلات، بما يحقق الحبك الحواري في النص، ويظهر الربط والانتقال بين مكونات النص عبر لفظة (بحال) التي تشير في كل مرة إلى محتوى أو مضمون جديد يظهر على التراتبية الآتية:

بحال بما عرفتنا من طرف أحوال الولد الشيخ العزيز سلطان بن محمد بن علي بأنه على ما نأمله...

كما يتحقق الانتقال إلى معنى جديد من خلال عبارة (وقد وصل إلينا)

1 الشيفه بكسر الشين بمعنى رهن الإشارة.

2 ابن كراز المهيري، رسائل، ص 93.

في قوله:

وقد وصل إلينا الولد الشيخ خلف بن سنان وتوايها وإياه وأملنا أنه
مُتَلِّمٌ في بد ولازم لنا بحب الإشارة منّا إليه، وحالاً كلفناه بالوصول إلى
الولد الشيخ سلطان بن راشد...

ففي كل انتقال من فقرة إلى أخرى في رسالة الشيخ زايد ما يشير إلى
حوارية متمثلة في إجابات حول قضايا تطرحها رسالة ابن هلال له، وهذا
ما يحقق مهمة الحبك والربط في بنية الخطاب.

علاقة المقارنة:

والمراد بالمقارنة «الإتيان بصورتين متناقضتين في السياق نفسه،
لتحقيق هدف ما»¹ وتعدّ المقارنة من الاستراتيجيات الحجاجية، وتحقق
المقارنة وظائف عدة في حبك النص، فقد تقدم دلالة المفارقة بهدف التأثير
في المتلقي من خلال إبراز التناقض والتضاد بين طرفين، والمقارنة في رسائل
زايد، تظهر في مظاهر عدة تتصل بالوجود والمجتمع والفرد، وتتمثل في
أوجه التناقض، والتضارب، والتنافر، والتعارض، والاختلاف، والتعاكس،
والتغاير والتباين والتقابل بين طرفين: بين ما هو ظاهر، وما هو باطن، أو
بين ما يحدث، وما يجب أن يحدث، أو بين ما هو حق، وما هو زائف، كما
تتبدى المفارقة بين المنطق واللامنطق، كما تكشف المقارنة عن اجتماع
ثنائيات متضادة لا يجب أن تجتمع.²

1 البطاشي، الترابط النصي، ص 79.

2 عبد الجليل، حسني، المفارقة في شعر عدي بن زيد، الموقف والأداة، دار الوفاء لنديا الطباعة
والنشر، الإسكندرية، 2009، ص 11.

ومن أبرز الدلالات المقارنة المؤدية إلى كسر التوقع تلك التي تعرض صورتين متناقضتين للواقع، وأبرز تقنيتين تعتمدهما المقارنة، هما المقارنة المعتمدة على تقنية الطباق؛ أي « الجمع بين متضادّين أي معنيين متقابلين في الجملة»¹. والمقارنة المعتمدة على تقنية المقابلة؛ أي « أن يُؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر، ثمَّ بما يُقابل ذلك على الترتيب»².

وقد اجتمعت هاتان التقنيتان معاً في الرسالة الآتية:

...وكذلك بحال وصول الشيخ صقر بن خالد إليكم واجتماعكم به أنت والولد الشيخ بطي بن سهيل وتعاهدتو³ على عهد الله وميثاقه أنه يوالي من توالون ويعادي من تعادون والحال واحد في الخير وضده وصار الأمور متعلّقاً⁴ بالله ثم بنا...⁵

فقد برز التقابل في العبارة الآتية: يوالي من توالون // ويعادي من تعادون // والحال واحد في الخير وضده، ولا شك أن مثل هذه التقابلات تؤثر في المتلقي وتحثه على اختيار المناسب منها، من خلال المقارنة بين فعلين متضادين، لكل واحد منهما نتائج وعواقب.

- 1 الخطيب القزويني، الإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، التلخيص في علوم البلاغة، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1932، ص 348.
- 2 السابق، ص 352.
- 3 وتعاهدتم.
- 4 أي والأمور متعلقة بالله ثم بنا.
- 5 ابن كراز المهبيري، رسائل، ص 101.

فالبنية التركيبية للتركيبين تقوم على: فعل مضارع للمفرد (يوالي- يعادي) + اسم موصول(مَنْ) + فعل مضارع للجماعة (توالون- تعادون)، وقد قام هذا التركيب على ثنائيات ضدية تتمثل على النحو الآتي:

يوالي # يعادي

تولون # تعادون

الخير # ضده (أي الشر)

يأتي دور المطابقة والمقابلة في حيك النَّص وانسجامه من ارتكازهما على نظرية «تداعي المعاني»، ويُقصدُ بها: تلازم أو اقتران شيء أو مفهوم ما بأشياء ومفاهيم أخرى في ذهن المرسل أو المتلقي، وهو إمَّا تداعٍ نظميٌّ خطيٌّ تركيبِي يقومُ على اقتران إحدى الكلمتين المتجاورتين بالأخرى في السلسلة الكلامية الخطية الأفقية، أو على تداعٍ استبداليٍّ يقوم على اقتران كلمة بكلمات أخرى يمكن استبدالها بها في الموقع اللغوي ذاته ضمن السلسلة الكلامية¹. والمعاني تستدعي بعضها بعضاً استدعاءً تشابهِ أو تضاداً² وفي المطابقة والمقابلة هو استدعاءٌ تضادٍ أو تقابل، فالضدُّ (أو المقابل) يوردُ إلى الذَّهن ضدهُ (أو مقابله)؛ لأنَّهما متضايقان يرتكزُ أحدهما على الآخر³ فعند توارد الطرف الأوَّل من المطابقة أو المقابلة على ذهن المتكلم (أو المتلقي) تنشط

1 يعقوب، إميل وآخرون، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، دار العلم للملايين، بيروت، 1987، ص 114 115.

2 انظر: المراغي، محمود، في البلاغة العربية، دار العلوم العربية، بيروت، 1991، ص 71 -72.

3 انظر: قلقيلة، عبده عبد العزيز، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1992، ص 299.

الفعاليّة الدّهنيّة لديه بسبب التّفّيش في مخزونه المعرفي لمحاولة وضع ذلك الطّرف إزاء الطّرف الثّاني وتعليقه به، وينجم عن هذه العمليّة العقليّة النّشطة ترابط النّص وانسجامه من خلال ترابط عناصره المتضادّة والمتقابلة في الدّهن بوثق الضديّة أو المقابلة، ف «الجمع بين الأضداد يُظهرها في معرض التّألف وهي متخالفة، ويربط بينها وهي متباعدة»¹

العلاقة السببية:

وهي علاقة تربط بين مفهومين أو حدثين أحدهما ناتج عن الآخر،² وقد توقف علماء اللغة عند هذه العلاقة، وأعطوها مكانة خاصة، فهي العلاقة التي تتجاوز الربط بين جملتين إلى مجموعة من الجمل المتتالية، ولا تكتفي بربط مكونات النص، وإنما تربط النص بالسياق أيضًا.³

وقد برزت هذه العلاقة في رسائل زايد، وكان لها دور فاعل في تحقيق الحبك النصي، وهذا ما يمكن أن نلاحظه في الأمثلة الآتية:

1 علام، عبد العاطي غريب، دراسات في البلاغة العربيّة، منشورات جامعة قارونوس، بنغازي، 1997، ص 170.

2 عبد الحميد، البديع بين البلاغة واللسانيات النصية، ص 142.

3 انظر: محمد، علم لغة النص، ص 208.

• المثال الأول:

جاء في الرسالة الموجهة من الشيخ زايد إلى الشيخ أحمد بن هلال ما يلي:

... الذي نعرفك به حال وصول البيان إليك أتفضل تخدموا ثلاثة
عرش يكون عمارًا جديدًا ومطبخ¹ وسبلة أطوال ثلاثة دُعُون في الموضوع
الذي كانت حياة المرحومة فيه.²

فلاحظ أن العلاقة السببية في حيك الخطاب برزت على النحو الآتي:

السبب: وصول البيان أي الرسالة.

النتيجة: بناء العرش وهي جمع عريش، والعريش: يصنع من سعف
النخل وهو المنزل في ذلك الوقت عند أهل الإمارات، وبناء مطبخ وسبلة
أطول ثلاثة دعون، والسبلة: تصنع من سعف النخيل وتعدّ مجلسًا وتكون
مفتوحة من جهة واحدة، والدعون جمع: دعن، وهو مصنوع من جريد
النخل ويستخدم في بناء المنازل، وهو مجموعة من سعف النخل تُنسج
وتُشَبك بالحبال.³

• المثال الثاني:

تقوم بنية الرسالة على السبب والنتيجة نحو ما نجده في الرسالة رقم

(33) الذي قام مضمونها على العبارة الآتية:

1 ومطبخًا.

2 ابن كراز المهيري، رسائل، ص 83.

3 انظر: ابن كراز المهيري، رسائل، ص 83 الحواشي: (2) و(3) و(4).

... والذي نعرفك به من طرف البحارة الذي¹ بطرفكم تفضل حالو
وصول البيان إليكم تأمر عليهم يتوجهون إلينا على كل حال، من سبب
لا يكون تعطيلاً على الجماعة.²

فيظهر الحبك النصي من خلال العلاقة السببية على النحو:

السبب: وصول البيان

النتيجة: توجه البحارة إلى المرسل، لا يحدث التعطيل.

• المثال الثالث:

تقترب العلاقة السببية من بنية الشرط، ولكن من دون وجود أداة
شرطية، من خلال ارتباط فعل أول بفعل ثانٍ يكون نتيجة عنه، كما نلاحظ
في العبارة الآتية:

وهذه تعاريف واصلاتك لأهل الظاهرة تتضمن النقائص ورد عن
البطش في طوارق فيصل بن تركي، أرسل لهم رجلاً معتبراً وعليه اتكال.

فالخطاب موجه إلى الشيخ أحمد بن هلال، وقد قامت العلاقة السببية
فيه على الشكل الآتي:

السبب: وصول التعاريف إلى المخاطب

النتيجة: أرسل لهم رجلاً معتبراً

1 أي الذين.

2 ابن كراز المهبيري، رسائل، ص 87.

فقد بُني على السبب نتيجة هي الفعل الطلبية (أرسل) وهو مبني دلاليًا على علاقة منطقية تحقق الحبك في النص، وتقترب من العلاقة الشرطية، فالمعنى المضمر: إذا وصلتك التعاريف... أرسل رجلاً...

لو تأملنا في العلاقة السببية لوجدناها تدرج النص ضمن علاقات منطقية تؤطر المواجهة بين طرفين هما:

العلاقة الشرطية:

وهي العلاقة التي تتشكل من أسلوب الشرط، فلا بد أن يكون هناك اتفاق دلالي بين جملة الشرط وجوابه، وتؤدي هذه العلاقة بأدوات الربط النحوية الدالة على الشرط من مثل: لو، لولا، إذا، إن...¹

لقد برزت العلاقة الشرطية في رسائل عدة من المدونة المدروسة، وأدت دورًا مهمًا في تحقيق الحبك المعنوي فيها، فهي تؤدي وظيفة حجاجية في النص، نتيجة الترابط المنطقي بين طرفي الأسلوب الشرطي؛ أي فعل الشرط وجوابه. ويأخذ هذا الأسلوب أهميته من تموقعه في بنية الرسالة، فقد وردت في متن الرسالة باعتباره جزءًا من بنيتها اللغوية، وقد وردت رسائل كاملة تقوم على البنية الشرطية، كما أن هذا الأسلوب ورده كإلزامية متكررة في نهايات كثير من الرسائل المدروسة، وقد اعتمدت الرسائل على خمسة أدوات شرطية، هي: مهما، إن، إذا، متى، مَنْ.

وقد لاحظنا أن أداة الشرط (مهما) قد اقتصر حضورها على موقع واحد في بنية الرسالة، وهو نهاية الرسالة، على صياغتين متقاربتين اتخذتا

1 انظر: محمد، علم لغة النص، ص 212.

الطابع الرسمي في المراسلات، هما: (مهما يبدو لك يقضى) وهكذا وردت في الأصل من دون إعمال الجزم في الرسم بحذف حرف العلة (يبدُ/ يُقضى) و(مهما يبدو لك من لازم الإشارة).¹ وهنا، نلاحظ أن جواب الشرط جاء اسماً مفرداً مختصراً، ولم يأتِ جملة.

فمن أمثلة العبارة الأولى ما جاء في رسالة من الشيخ زايد إلى الشيخ أحمد بن هلال:

... ثم السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ... محببك يحمد إليك الله... كتابك الشريف وصل... وحالك لم يزل جميلاً والوضيحي² الذي تفضلت برسالة³ إلينا وصل... ولا يخفك بحار لمحمد بن خليفة بطرفكم اتفضل دبره⁴ بالوصول إلى نُؤخذاه، وهذا بيانه، وعلى الدوام لا تقاطعنا من أخبارك، مهما يبدو لك من أمر يقضى.⁵

ومن أمثلة العبارة الثانية ما جاء في الرسالة الآتية الموجهة إلى الشيخ أحمد بن هلال:

... سلام عليك ورحمة الله وبركاته... والذي نعرفك به من طرف مادية الولد الشيخ راشد بن أحمد قد وصلنا منه تعريف... بعد اطلاعك على مضمونه أرسله للولد الشيخ سلطان بن محمد حتى

1 ابن كراز المهبيري، رسائل، ص 81.

2 الوضيحي نوع من أنواع المها العربية.

3 أي بإرساله إلينا.

4 أي مكّنه.

5 ابن كراز المهبيري، رسائل، ص 47.

يتشرف¹ على جواب المشار إليه... على الدوام لا تقاطعنا من أخبارك السارة، مهما يبدُ لك من لازم الإشارة.²

فقد ورد الشرط بهذه الأداة الشرطية في نهاية الرسالة، وهي بمثابة لازمة في الخطاب الرسمي في ذاك العصر، تقوم فيها الأداة الشرطية بوظيفة تحقيق الحبك بين القضايا المطروحة في متن الرسالة، ونهاية الرسالة التي تمثل الصيغة الرسمية لخطاب الحاكم، والصياغة الشرطية في العبارة الأولى واضحة الأركان تقوم على البنية الآتية:

أداة الشرط: مهما

فعل الشرط: يبدُ، وفعل الشرط يحمل معنى عامًّا؛ أي ما تطلبه، أو ما يحتاجه عملك...

جواب الشرط: يقضَ، هو ارتباط منطقي بفعل الشرط، قائم على الحذف؛ أي يقضى لك.

أما في العبارة الثانية فقد قام جواب الشرط على التكتيف والحذف، على النحو الآتي:

أداة الشرط: مهما

فعل الشرط: يبدُ

جواب الشرط: الإشارة، والتقدير: مهما يبدُ لك من لازم الإشارة إليه، أو فأشُر إليه، كي يقضى لك.

1 أي: يُشرف.

2 ابن كراز المهيري، رسائل، ص 81.

والحبك النصي يتحقق من خلال الترابط المنطقي بين طرفي الشرط،
إذا تُبني دلالة كلّ طرف منهما على الآخر.

وقد تقوم بنية الرسالة كاملة على العلاقة الشرطية، كما نلاحظ في
الرسالة الآتية التي يوجهها الشيخ زايد إلى الوالي سليمان بن سويلم، وجاء
فيها:

... ولا يخفّاك الذي نعرفك به من طرف عبد الرحمن الرئيسي
يذكر أن جنابك متبعنّه¹، اعلم محبنا إن كان حبّت نفسك انكف
غثيانه² حسبما كان سابق³ فلا بأس، وإن كان جنابك متبعنّه ومعذرنا⁴
من طرفه، فالرأي بما تراه، ليكون لدى جانبك معلوم⁵، والجواب
منك مطلوب...⁶

فالدلالة الكلية للرسالة قائمة على أسلوب الشرط، فالرسالة تطرح
قضية واحدة (مراقبة رجل اسمه: عبد الرحمن)، ثم يتحقق الحبك النصي
من خلال أسلوب الشرط المكرر الذي يرصد احتمالات الحلول لهذه
القضية، وفق ما يظهر في الجدول رقم (6):

-
- 1 يعني تراقبه.
 - 2 يعني مشاكله.
 - 3 ابن كراز، رسائل.
 - 4 أي تعذرنا.
 - 5 معلومًا.
 - 6 ابن كراز المهبيري، رسائل، ص 171.

أداة الشرط	فعل الشرط	جواب الشرط وجزأؤه
إنْ	كان حبَّتْ نفسك انكف غثيانه (مشاكله) ...	فلا بأس؛ أي فلا بأس في ذلك
إنْ	كان جنابك متبعنّه ومعدرنا من طرفه	فالرأي بما تراه...

جدول 6: أسلوب الشرط المكرر

قامت بنية الرسالة الأساسية على تركيبين شرطيين مترابطين شكلاً
عنصر الحبك الرئيسي في النص، فبؤرة الدلالة هي مراقبة الوالي للرجل
عبد الرحمن، فأدت الاحتمالات الشرطية الواردة في رسالة الشيخ زايد
احتمالات حل هذه القضية من خلال جملة فعل الشرط الأولى (إن كان
حبت نفسك انكف غثيانه) فيكون جواب الشرط / الحل الأول (فلا بأس).
والاحتمال الثاني الذي ترك للوالي اختياره أيضاً يتمثل في فعل الشرط (إن
كان جنابك متبعنه ومعدرنا...) فيكون جواب الشرط (فالرأي ما تراه)،
وبالتالي حبكت احتمالات الرسالة بالأسلوب الشرطي الذي حقق الترابط
المعنوي في الخطاب.

وقد يقوم الحبك على علاقة شرطية تفصيلية تحقق حبك النص
وانسجامه، كما نلاحظ في ما جاء في الرسالة الآتية:

... فإن كان مرادهم من سداد الأحوال فيها بينهم وبين أهالي
الظاهرة ومرادهم من التوسط الخير فلا بأس إذا سعت فيه بعين
العارفة، وقل رغبة أهل الظاهرة في المنافع...¹

1 ابن كراز المهيري، رسائل، ص 35.

فالحبك النصي قائم على التركيب الشرطي المفصل، ويظهر ذلك من خلال التفصيل في جملة فعل الشرط (فإن كان مرادهم من سداد الأحوال فيها بينهم وبين أهالي الظاهرة ومرادهم من التوسط الخير)، وكذلك التفصيل في جملة جواب الشرط (فلا بأس إذا سعت فيه بعين العارفة، وقل رغبة أهل الظاهرة في المنافع...)، مع ما يجمعهما من ترابط منطقي تحقق من خلاله الحبك النصي.

ومن اجتماع تركيبين شرطيين في تحقيق الحبك النصي، ما نلاحظه في الرسالة الآتية:

ولا يخفك أحوالهم إذا اتسع لهم الأمر رغبوا فيه، وإن كان مطلب السيد عداوة أهل الظاهرة الرأي يعاد وجنابك الناظر فيه.¹

فقد اجتمع تركيبان شرطيان في تحقيق الحبك النصي، عبر الأداة (إذا، وإن). وقد يأتي الأسلوب الشرطي ضمن سياق الرسالة فيصبح مكوّنًا من مكوّنات تحقيق الحبك النصي، وقد يكون موجزًا، أو مفصلاً، فمن أمثلة الشرط الموجز، ما يمكن توضيحه من خلال الجدول رقم (7):

موضع الشاهد	جواب الشرط وجزأؤه	فعل الشرط	أداة الشرط
الرسالة رقم 1(26)	فلا بأس في ذلك	كان جناب السيد فيصل بن تركي معذرتنا منهم	إذا

1 ابن كراز المهيبي، رسائل، ص 35.

1 السابق، ص 73.



أداة الشرط	فعل الشرط	جواب الشرط وجزأؤه	موضع الشاهد
إذا	حدث شيء من الحوادث	يصلنا منك بيان في بلد دبي	الرسالة رقم (32) ¹
إن	كان أحد منعهم عن قبضه	يكون ينبه عليه	الرسالة رقم (18) ²
إن	غيروا على هذا ساكنًا	ما بقيت بيننا وبينهم ذمة	الرسالة رقم (28) ³
متى	زاد علم بطرفكم	أكرمنا برفعه	الرسالة رقم (38) ⁴

جدول 7: الأسلوب الشرطي

فقد شكلت هذه التراكيب عناصر حيك مهمة بين الجمل المكونة للرسائل، كما نلاحظ انحياز لغة هذه التراكيب إلى اللغة الشفاهية من حين الصياغة ومن حيث عدم الالتزام بقواعد اللغة في بعض الأحيان، ففي الجملة الشرطية: (وإن غيروا على هذا ساكنًا ما بقيت بيننا وبينهم ذمة) نلاحظ عدم اقتران جواب الشرط بالفاء، مع وجوب ذلك؛ لأنه جملة فعلية مسبوق بـ (ما) فهنا نلاحظ مراعاة الخطاب الشفاهي لحال متلقي الخطاب في تلك الفترة الزمنية.

-
- 1 ابن كراز المهبيري، رسائل، ص 85.
 - 2 السابق، ص 57.
 - 3 السابق، ص 77.
 - 4 السابق، ص 97.

ومن أمثلة التراكيب الشرطية المفصلة التي ترد في سياق الحبك المعنوي داخل بنية النص/ الرسالة، ما نلاحظه في المثال الآتي:

وإن كان الاغتشاش¹ الذي وقع من المقابيل والشوامس سيف بن سلطان على طوارف أصحاب ما برح على حاله، أمرنا على أخيك الولد خليفة يتوجّه إليهم يتوسط الخير بين الجميع.²

فقد تآزرت عناصر التركيب الشرطي الثلاثة في تحقيق الحبك في الرسالة متمثلة بالأداة (إن) وجملة فعل الشرط، وجملة الجواب، والارتباط حاصل من تحقق فعل الجواب منوط بتحقق فعل الجواب، فبقاء (الاغتشاش)؛ أي الخداع، يؤدي إلى حصول الأمر بالوساطة بين الفريقين المتخاصمين. وقد جاء هذا التركيب في سياق الرسالة، ونلاحظ التفصيل في متعلقات جملة فعل الشرط من خلال شرح القضية وملابساتها، ثم يأتي جواب الشرط بالحل المقترح لهذه القضية.

وقد يرد التركيب الشرطي في النص في سياق الرسالة عنصرًا حجاجيًا بصيغة المثل، ومن الصيغ النادرة لذلك، ما نلاحظ في الرسالة الآتية:

... ولا يخفك سابق عرفناك بكتاب من طرف غانم بن محمد بن سندي يكون تقبضه وترسله إلينا، ونرى منك تغافل³ عن ذلك، فالمراد بالحاضر يكون ترسله أحدًا⁴ من طرفك يقبض بن سندي، وإن كان

1 أي الغش، وهو هنا بمعنى الغدر والخداع.

2 السابق، ص 91

3 تغافلًا

4 أي المراد في الوقت الحاضر (الآن) ترسل إليه أحدًا

أحد منعهم عن قبضه يكون ينبه عليه... فهو المتبوع فيه، ومن أنذر فقد أعذر، لتعلم ذلك والسلام.¹

فجاء التركيب الشرطي (من أنذر فقد أعذر)، دالاً على تهديد ووعيد، وهو نتيجة لمهدات القضية التي تناولت شرح المطلوب من المرسل إليه.

العلاقة التعليلية

المراد بالعلاقة التعليلية تلك العلاقة التي تبرر وقوع الحدث، أو تبرر وقوع فعل سابق تعليلًا منطقيًا، وعلى ذلك فهي ترتبط بالعلاقة السببية؛ أي وجود فعل/ سبب/ يؤدي إلى آخر/ نتيجة/، لكنها هنا تظهر من خلال عناصر لغوية محددة. وقد برزت هذه العلاقة التعليلية في رسائل زايد من خلال ثلاث أدوات أساسية، هي: لام التعليل، و(حتى)، وكاف التشبيه.

وقد جاءت لام التعليل في المرتبة الأولى من حيث تكرارها في الرسائل، فقد تكررت ثلاثًا وعشرين مرة، أدت فيها مهمة الحبك بين عناصر المضمون، ومن شواهدا في الرسائل، ما نلاحظه فيما يلي:

• المثال الأول:

...ثم واصلك كتاب الشيخ سلطان بن راشد اليعقوبي اتفضل أرسل به أحدًا ليأتي بنا ثمن الذي لنا عنده لتعلم ذلك.²

1 ابن كراز المهبيري، رسائل، ص 57.

2 السابق، ص 21.

فتظهر العلاقة التعليلية الحجاجية في هذا المثال على النحو الآتي:

الفعل السبب: واصلك كتاب...

أداة التعليل: اللام

الفعل النتيجة (1): ليأتي...

الفعل النتيجة (2): لتعلم ذلك.

فالترباط متحقق من ورود فعل في النص تنتج عنه أفعال هي نتيجة له، تحقق الترباط في الخطاب، وتضمن تحقق الحبك بين عناصره. وفي هذا السياق نشير إلى أن الفعل النتيجة الثاني (لتعلم) وهو من الصيغ التي تتكرر في نهايات الرسائل، هو بمنزلة الصيغة الرسمية التي تكون نتيجة لعرض القضية، فهو يؤدي مهمة الأمر الإداري، بمعنى لتعلم ذلك وتقوم بما يلزم لتنفيذه.

• المثال الثاني:

... والخط¹ بلغناه غانم بن حمود ليرجع إليك، وحقيقة الجواب لتطلع عليه².

فيسير التعليل في المثال السابق وفق المنطقية الآتية:

فعل أول/ سبب: بلغناه؛ أي بلّغنا الخط أي مضمون الرسالة

أداة تعليل: اللام

1 الخط: أي الرسالة.

2 السابق، ص 45.

فعل ثانٍ/ نتيجة: ليرجع إليك.

رابط: العطف بالواو.

فعل ثالث مضمّر: بلغناه حقيقة الجواب

فعل رابع/ نتيجة: لتطلع عليه.

• المثلث الثالث:

...إن كان المقابيل والشوامس ما استدوا ويّا الوالي¹، وقبل مشارك²
يكون ترسل للمقابيل والشوامس سيف بن سلطان؛ لأنك متوسط
بالخير فيما بينهم وبين الوالي³.

فالتعليل هنا واقع بين تركيب شرطي مكون من:

أداة شرط (إن) + فعل شرط (كان المقابيل...) + جواب شرط (يكون...)

أداة تعليل: هي اللام الجارة الداخلة على الجملة الاسمية.

تفصيل التعليل: (لأنك متوسط بينهم بالخير)

والتعليل هنا جاء تفصيلاً لجواب الشرط، وتبريراً له، وتبيان لمهمة

المخاطب في التوسط بالخير.

فقد أدى الربط بلام التعليل مهمة الربط الحجاجي بين فعلين، يعدّ

أولهما بمنزلة الحجة، والثاني بمنزلة النتيجة عبر شبكهما بعلاقة تعليلية

1 أي إذا لم يتفقوا وبنهوا الأمر مع الوالي.

2 أي قبل قيامك.

3 ابن كراز المهيري، رسائل، ص 25.

كانت لام التعليل أداها الرابطة.

أما العلاقة التعليلية من خلال الأداة (حتى)، فقد تكررت سبع مرات في الرسائل، وقد أدت مهمة مماثلة للام التعليل، في تحقيق الحبك بين طرفين متلازمين في بنية النص، وفيما يلي أمثلة على ذلك:

• المثال الأول:

... وكتاب السيد فيصل ذمَّ به أحداً من الربع ... حتى نعرف بما هم فيه وعليه.¹

فقد حققت الأداة (حتى) ربطاً حجاجياً منطقيًا بين العناصر المشكلة لمعنى النص، بما ضمن تحقق الحبك بين أطرافه على النحو الآتي:

فعل/ السبب: إرسال خطاب/ رسالة السيد فيصل عبر الفعل (ذمَّ)

ربط: عبر الأداة (حتى)

النتيجة والتعليل: نعرف ما يضمه الجماعة.

• المثال الثاني:

... وبعد اطلاعك على مضمونه (الخطاب/ الرسالة) أرسله للولد حتى يتشرف² على جواب المشار إليه.³

فقد سارت العلاقة التعليلية بين الطرفين المشكلين للدلالة على

1 ابن كراز المهيبي، رسائل، ص 35.

2 أي يشرف.

3 السابق، ص 81.

النحو الآتي:

الفعل السبب: أرسله؛ أي أرسل الخطاب/ الرسالة

أداة الربط: حتى

الفعل النتيجة: يشرف المرسل إليه على مضمون الرسالة.

• المثال الثالث:

... فالمراد منك حال وصول الخط إليك تقبل إلينا قبل انقضاء هذه
المدة حتى يكون نسد هذه الذريعة قبل وقوع لشيء من الأحوال...¹

فالبنية التعليلية المنطقية تسير على النحو الآتي:

الفعل السبب: تقبل إلينا

أداة الربط: حتى

الفعل/ النتيجة: نسد الذريعة.

نلاحظ أن (حتى) تقابل في معناها (كي) و(لام التعليل) فما قبلها تعليل
وحجة لما بعدها، وتقرب من معنى الشرط، فيكون ما قبلها حجة لحصول
النتيجة التي بعدها، وبذلك تؤدي مهمة الربط المنطقي بين أطراف المعنى
الذي يقدمه النص.

أما علاقة المشابهة، فقد تحققت في الرسائل بصيغ وعبارات محددة
كانت تتكرر في الرسائل، وعبر أداة واحدة للربط هي (كما) وهذا ما نلاحظه

1 ابن كراز المهبيري، رسائل، ص 167.

في المثال الآتي:

- كما هو الظن فيك جميل، كن كما نرجوك.¹
فالأداة الرابطة (كما) أتت لتؤكد حالاً ثابتة في المخاطب وهو (الظن الجميل به)، وهذه الجملة بمنزلة السبب، فتكون النتيجة (كن كما نرجوك). وتظهر علاقة المشابهة عبر استخدام لفظة (بمحلة) للتشبيه بمعنى (بمنزلة)، كما نلاحظ في المثال الآتي:

... بحال ما عرفتنا من طرف أحوال الولد الشيخ العزيز سلطان بن محمد بن علي بأنه على ما نأمله منه،... يعلم الله ونشده أنه عندنا بمحلت² الأولاد وظننا ورجانا في الله ثم المشار إليه بما هو الحسن الجميل...³

لفلظة (بمحلّت) مستمدة من اللهجة العامية الإماراتية، وأتت دالة على المشابهة من خلال جعل المتحدّث عنه مشابهاً أو مقارنة لمنزلة أولاد الشيخ زايد، وفي ذلك تأكيد للعلاقة التي تربط الشيخ زايد رحمه الله بمساعديه. ولكن لا بد من الإشارة إلى أن هذه العلاقة نادرة الوجود في تحقيق الحبك في رسائل زايد المدروسة، وقد تركّز الحبك المعنوي على الأداتين السابقتين: لام التعليل، و(حتى)، فكانتا الأداتين الرئيسيتين في تحقيق الحبك النصي، وغابت بقية أدوات الربط الأخرى.

1 ابن كراز المهيري، رسائل، ص 91.

2 بمحلت، كتبت بالتاء المبسوطة، وأصلها بالتاء المربوطة، بمحلة: أي بمنزلة.

3 ابن كراز المهيري، رسائل، ص 93.



الفصل الرابع



المعايير التداولية النصية لرسائل زايد

فيها»¹، ومن هنا يعرف المستوى اللغوي بأنه: «النموذج اللغوي الذي يُحقَّق الناطقين به صلاتهم الاجتماعية والفكرية، ويحمل الخصائص اللغوية التي تعارف عليها أهله أصواتًا وبنية وتراكيب وإعرابًا»². ومن هنا لا يقصد بالمستوى اللغوي مستويات اللغة المعروفة (الصوتي والصرفي والتركيبى والدلالي)، وإنما يقصد به «الاختلاف في استعمال اللغة، سواء من حيث الضبط في الكلمات، أو من حيث تقديم حروف الكلمة بعضها عن بعض، أو استبدال حرف بحرف في كلمة واحدة، أو استبدال كلمة بكلمة عربية أو أجنبية، وهذا الخلاف يظهر لنا عند النطق والكتابة في لغة واحدة... فهو يرتبط بالناحية الوظيفية للغة، ومختلف أداءات اللغة الواحدة لدى الأفراد الناطقين بها، ويتوقف على جملة من المعطيات، كالمقام، وطبيعة المتكلم، واللغة المستعملة، بحيث يظهر الاختلاف في هذا الاستعمال»³.

ويرتبط الحديث عن المستوى اللغوي بقضيتين أساسيتين هما: الفصاحة والعامية، وهذه المسألة قديمة نجد جذورها متأصلة في التراث العربي منذ عصوره الأولى؛ إذ إنّ تعدد المستويات التعبيرية خصيصة لغوية ناجمة عن ارتباط اللغة بالمجتمع، وبالموقف التعبيري، والسياق وحال المتكلم، « فالعربي، أيًا كانت قبيلته، فإنه يستعمل مستويين تعبيريين، أولهما: يتمثل في اللغة العربية المشتركة الفصيحة التي يُتحفّظ عند الكلام بها، وذلك إذا امتدّ خارج قبيلته، أو أثناء إنشاده الشعر، ويتمثّل المستوى

1 حكيم، رحمون. مستويات استعمال اللغة العربية بين الواقع والبديل (رسالة ماجستير غير

منشورة). كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري، الجزائر، 2011، ص 1.

2 عيد، محمد، المستوى اللغوي للفصحى واللهجات وللنثر والشعر، 1981، ص 3.

3 حكيم، مستويات استعمال اللغة العربية، ص 67.

الثاني في لهجته الخاصة التي يتكلمها في نطاق بيئته وشؤونه اليومية، بما تحمله من سمات تميزها عن غيرها من اللهجات»¹.

والمستوى الذي يشمل الشعر الجاهلي والقرآن الكريم، يطلق عليه تسمية اللسان العربي الفصيح، أو اللغة العربية الفصحى، وغالبًا ما كان يقابل اللسان العربي في الجاهلية وصدر الإسلام باللسان الأعجمي،² لكن ذلك لا يعني عدم وجود اللهجات المتعددة، ويمكن رصد مظاهر تناول المستويات اللغوية في التراث من خلال العناية بضبط لغة المستويات من خلال تأليف كتب اللحن؛ إذ ظهرت المؤلفات الكثيرة التي عالجت قضية اللحن، العناية الفائقة في ضبط المستوى الفصيح للغة، والحد من المستوى العامي، أو اللهجي غير الفصيح، ونرى هذا واضحًا في كتاب علي بن حمزة الكسائي (لحن العوام)، وفي كتاب (لحن العامة) للفراء، وكتاب (ما يلحن فيه العامة) لأبي عبيدة معمر بن المثنى، وكتاب (ما يلحن فيه العامة) للأصمعي، وكتاب (ما خالفت فيه العامة لغات العرب) لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، وغير ذلك كثير.³

1 الموسى، نهاد، الثنائيات في قضايا اللغة العربية من عصر النهضة إلى عصر العولمة، 2003، ص 128.

2 انظر: عبيد، عبد الرزاق، العربية الفصحى والعامية، متن اللغة لأحمد رضا نموذجًا، أعمال الندوة الدولية ضمن فعاليات الجزائر عاصمة للثقافة العربية، الجزائر، 2008، ص 318.

3 انظر: جمران، محمد أديب، معجم الفصحى من اللهجات العربية وما وافق منها القراءات القرآنية، مكتبة العبيكان، الرياض، 2000، ص 22.

وقد ركزت هذه الكتب على تسجيل المفردات التي تناقض المأثور عن لغة الفصحاء كما شاعت في زمان تأليفها،¹ وحاولت ضبط أغلاط العامة على المستويات الصوتية والصرفية، وما يضعونه في غير موضعه،² وتوقفت بعض كتب اللحن عند ما تلحن به أقاليم محددة، كما نلحظ في كتاب (تثقيف اللسان وتلقيح الجنان) لابن مكي الصقلّي الذي أفرد له لما تلحن به عامة صقلية وخاصتها في القرن الخامس الهجري، فذكر فيه أبوابًا كثيرة من نحو «ما تنكره الخاصة على العوام وليس بمنكر»، و«ما خالفت العامة فيه الخاصة وجميعهم على غلط» و«ما العامة فيه على صواب والخاصة على الخطأ».³

كما سعى كثير من علمائنا في التراث العربي إلى توصيف المستويات اللغوية توصيفًا علميًا بعيدًا عن قضية اللحن، فقد أدركوا العلاقة المتينة بين اللغة والمجتمع، فباللغة يُعبّر الناس عن حاجاتهم، وهذا ما أشار إليه ابن جني حين وضع حدّ اللغة بأنها: «أصوات يعبرّ بها كل قوم عن أغراضهم».⁴ فهي «تتطابق مع الحاجات الاجتماعية للشعب المستعمل لتلك اللغة».⁵

1 انظر: لعبي، هادي نهر، اللسانيات الاجتماعية عند العرب، 2009، ص 150.

2 انظر: ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق، إصلاح المنطق، دار المعارف، القاهرة، 1966، 2/ 251

3 انظر: ابن مكي الصقلّي، عمر بن خلف، تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، تحقيق عبد العزيز مطر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1966: انظر الأبواب على الترتيب: 227 وما بعدها. 238 وما بعدها، 242 وما بعدها.

4 ابن جني، الخصائص، 1/ 33.

5 كوندراتوف، الكسندر، أصوات وإشارات (ترجمة: إدور يوحنا)، وزارة الثقافة، بغداد، 1971، ص 82.

ونلمح إشارات مهمة إلى المستوى اللغوي في كتابات الجاحظ، كما في قوله: «ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاً، ولكل حالة من ذلك مقاماً»¹ وتفرض العادات والتقاليد الاجتماعية منطقتها على اللغة، وهذا ما عبر عنه القلقشندي عندما رأى أن اللفظ قد يكون «مألوفاً متداول الاستعمال عند كل قوم في كل زمن، وقد يكون غريباً متوحشاً في زمن دون زمن، وقد يكون غريباً متوحشاً عند قوم، مستعملاً مألوفاً عند آخرين»².

كما تفرض البيئة الاجتماعية منطقتها على طريقة التعبير عند فئات المجتمع المختلفة، وهذا ما أشار إليه ابن رشيق عندما أشار إلى اختلاف مستويات التعبير في الغرض الشعري الواحد عند مستويين اجتماعيين مختلفين، هما أهل البادية وأهل الحاضرة، فيقول: «ومقاصد الناس تختلف: فطريق أهل البادية ذكر الرحيل والانتقال، وتوقع البين، والإشفاق منه، وصفة الطلول والحمول، والتشوق بحنين الإبل ولمع البروق ومر النسيم، وذكر المياه التي يلتقون عليها والرياح التي يحلون بها من خزامى، وأقحوان، وبهار، وحنوة، وظيان، وعرار، وما أشبهها من زهر البرية الذي تعرفه العرب. وتنبته الصحاري والجبال وما يلوح لهم من النيران في الناحية التي بها أحبابهم»³.

1 الجاحظ، البيان والتبيين: 1/ 77.

2 القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، والمؤسسة المصرية العامة للتأليف، القاهرة، د.ت، 2/ 215.

3 ابن رشيق، الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط. 2، 1955، 1/ 225.

ويشير هادي لعبي إلى موقفين واضحين للغويين العرب من ظاهرة اللهجات واللحن، فيقول: «وإذا كنا نجد أغلب اللغويين العرب الذين تحدثوا عن اللهجات، واللحن الواقع على ألسنة العوام أو الخواص، قد اتخذوا جانباً معيارياً غايته التنبيه على الخطأ من أجل ألا يقع فيه المتكلمون وقصداً إلى المحافظة على اللغة وصيانتها من التحريف واللحن، فإننا نجد من جانب آخر فريقاً آخر قد حاول أن يترسّم لنفسه طريقاً وصفيّاً غايته وصف ما هو كائن مما يتكلمه الناس بالفعل لا ما يجب أن يتكلموه دون التورط في مسائل الصواب أو الخطأ، وذلك بلا ريب منهج يبحث عن الحقيقة لذاتها، وهو منهج علمي موضوعي لا يغفل المحافظة على اللغة ومراعاة سلامتها»¹ ولكنه في الوقت ذاته -كما يرى كمال بشر- «ينظر إلى اللغة على أنها متطورة، وأن ما قد ينظر إليه على أنه لحن أو تحريف ليس إلا صورة التطور والتغير اللذين يلحقان باللغة على فترات الزمن»² ويعد الجاحظ من أبرز الباحثين الذي سلكوا هذا المنهج في دراسة مستويات اللغة، وربطها بالطبقة الاجتماعية؛ إذ ينطلق في تحديد المستوى اللغوي من مبدأ هو قوله: «وكلامُ النَّاسِ في طبقاتٍ كما أنَّ النَّاسَ أنفسهم في طبقات، فمن الكلامِ الجَزَلُ والسَّخيفُ، والمليحُ والحسنُ، والقبيحُ والسَّمْحُ، والخفيفُ والثقيلُ وكلُّه عربيٌّ، وبكُلِّ قد تكلموا، وبكُلِّ قد تَمَادَحُوا وتعايَبوا»³.

1 لعبي، اللسانيات، ص 152.

2 بشر، كمال محمد، دراسات في علم اللغة، دار المعارف، القاهرة، 1973، ص 50.

3 الجاحظ، البيان والتبيين، 1/ 144.

وتتعدد معايير النظرية الحديثة لتحديد المستوى اللغوي، كما تحدث عنها اللغويون، ويمكن رصدها في خمسة معايير¹ هي:

مراعاة المستوى الاجتماعي لاستعمال اللغة

ويسميه كمال بشر، «المعيار الاجتماعي»²، وينطلق هذا المبدأ من أن الإنسان ابن مجتمعه، وخاضع لشروطه الاجتماعية وعاداته وتقاليده وثقافته، وفي هذا السياق يقول جسر سن: «إنَّ وجود قواعد تحكم السلوك الاجتماعي الإنساني من الأمور المُسلَّم بها، وتبعاً للظرف الاجتماعية المختلفة يختلف سلوكنا الاجتماعي... والقاعدة السلوكية هي الحكم بقبول سلوك معين أو رفضه تبعاً لما يقتضيه العرف الجماعي»³ ولما كانت اللغة ظاهرة اجتماعية وهي الوسيلة الأهم للتواصل البشري، فإنها تخضع، مثل غيرها من الظواهر الاجتماعية، لشروط المجتمع وأساليبه التعبيرية.

مطابقة العرف اللغوي لنظام صحة اللغة

يُقصد بعرف اللغة «نظامها أصواتاً وصيغاً ومفردات وتراكيب حسب أصول استعمالية خاصة بالمستوى الاجتماعي الذي يتداولها فيه أفرادها؛ إذ يجيدها هؤلاء الأفراد بالمشاركة والمران»⁴ وهو يتّجه إلى الكشف عن

1 أطلق عليها محمد عيد تسمية أسس، انظر: عيد، المستوى اللغوي، ص 14 وما بعدها، فيما اصطلح عليها كمال بشر بمصطلح معايير، انظر: بشر، علم اللغة الاجتماعي مدخل، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دت، ص 174 وما بعدها.

2 بشر، علم اللغة الاجتماعي، ص 175.

3 جسر سن، أوتو، اللغة بين الفرد والمجتمع (ترجمة: عبد الرحمن أيوب)، مكتبة الأنجلو، القاهرة، 1954، ص 133.

4 عيد، المستوى اللغوي، ص 19.

لأن الاستعمال خاضع لمصلحة الجماعة، وهي هنا حاجتها إلى أن تكون مفهومة»¹.

الاقتصار في اللغة على زمن خاص وبيئة خاصة

فالمتكلمون يتأثرون بالبيئة التي يعيشون فيها، ويراعون أحكام اللغة كما تنطق في عصرهم، وقد أدرك علماؤنا في التراث العربي أهمية البيئة، وهذا «المعيار الجغرافي»، في نظر كمال بشر، هو معيار أساسي من وجهة نظر اللغويين الذين يحاولون تصنيف المستويات اللغوية على أسس جغرافية، «بالاعتماد على ما يصنعون من الأطالس اللغوية التي يسجلون عليها توزيع الظواهر اللغوية في البيئة المعينة، حتى يتبين لهم وجوه الاتفاق بين هذه التنوعات»².

أما اقتصار المستوى اللغوي على زمن معين «فهو ما يتفق في استعمال اللغة مع الواقع المشاهد، فالمرء ينطق اللغة على حسب نظامها الذي وجدها به في عصره؛ إذ تتغير اللغة من عصر إلى عصر»³. «فالجماعة المتزاملة لغويًا تستعمل في لغتها أصواتًا وتنغييمًا ونحوًا ومصطلحات وصيغًا وألفاظًا متماثلة؛ إذ يربط بينهم ما يتقاسمون من تجارب مشتركة، وهم يستمسكون بهذا التماثل ويحرصون عليه؛ لأنه شرط الفهم والإفهام في بيئتهم الخاصة، وإذا أخلّ أحدهم بهذا النظام المتماثل، حكم على نطقه بالغرابة والشذوذ»⁴.

1 فندريس، جوزيف، اللغة، (ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد قصاص)، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2014، ص 304.
2 بشر، علم اللغة الاجتماعي، ص 175.
3 عيد، المستوى اللغوي، ص 27.
4 السابق، ص 27.

اعتبار التطور في اللغة

لما كانت اللغة ظاهرة اجتماعية، فإنه يصيبها ما يصيب المجتمع من تطور، ويظهر هذا التطور في مظاهرها المختلفة الصوتية والمعجمية والتركيبية، ويجب على دارس اللغة أن يضع هذا الأساس في ذهنه؛ إذ إن اللغة- كما يذهب أولمان «ليست هامة أو ساكنة بحال من الأحوال، وبالرغم من أن تقدمها قد يبدو بطيئاً في بعض الأحيان، فإن الأصوات والتراكيب والعناصر النحوية وصيغ الكلمات ومعانيها معرضة كلها للتغيير والتطور، ولكن سرعة الحركة والتغير هي التي نختلف من فترة زمنية إلى أخرى، ومن قطاع إلى آخر من قطاعات اللغة»¹.

المستوى اللغوي نشاط للمتكلم يصفه الباحث

وقد عبّر تمام حسان عن هذا المعيار من وجهة نظر الباحث والمتكلم بقوله: «اللغة بالنسبة للمتكلم معايير تراعى، وبالنسبة للباحث ظواهر تلاحظ، وهي بالنسبة للمتكلم ميدان حركة، وبالنسبة للباحث موضوع دراسة، وهي بالنسبة للمتكلم وسيلة حياة في المجتمع، وبالنسبة للباحث وسيلة كشف عن المجتمع، المتكلم يشغل نفسه بواسطتها، والباحث يشغل نفسه بها، ويحسن المتكلم إذا أحسن القيام على معاييرها، ويحسن الباحث إذا أحسن وصف نماذجها»².

1 أولمان، ستيفن، دور الكلمة في اللغة، (ترجمة: كمال محمد بشر)، مكتبة الشباب، القاهرة، 1962، ص 165.

2 حسان، تمام، اللغة بين المعيارية والوصفية، 2000م، ص 34.

إن الإشارات السابقة إلى الواقع المعاصر لاستعمال اللغة العربية، دفع عددًا من اللغويين المعاصرين إلى توصيف الواقع اللغوي الراهن للعربية، فحددوا مستوياتها المعاصرة، وبنظرة متعمقة لتلك التوصيفات سنجدها تنطلق من مبدأ أساسي عام يحكمها جميعًا، وهو الانطلاق من التقسيم الثنائي للغة (الفصحى والعامية)، ولكن ستتنوع تقسيماتهم لكل من هذين المستويين إلى مستويات فرعية متصلة بهما.

فذهب بعض اللغويين إلى تقسيمها إلى قسمين عامين، كما نلاحظ عند عبد الرزاق عبيد الذي قسم مستويات اللغة إلى مستويين، يقوم كل واحد منهما بوظيفته الاجتماعية، وهما:¹

المستوى المعياري الفصيح: الذي يقتصر على الخاصة، ويتميز بثراء المصطلحات والمفاهيم المجردة، وهو وسيلة الاستعمال في المحافل الرسمية والعلمية والإعلامية، ومنهج العبادات والشعائر الدينية للمسلمين. كما يتميز بمراعاة الأحكام اللغوية الفصيحة من إعراب وصرف وأساليب على غرار الأساليب الأولى، واختيار المفردات المناسبة لسياق المقامات.

المستوى العامي: الذي يتخذه السواد الأعظم من أفراد المجتمع المعاصر وسيلة للتبليغ وقضاء الحاجات اليومية، ويتميز بالتححرر من الأحكام الإعرابية والصرفية الصارمة، وبروز الآثار اللهجية، وبالافتقار إلى المصطلحات العلمية.²

1 عبيد، العربية الفصحى والعامية، ص 320-321.

2 للاطلاع على أمثلة مفصلة على ذلك، انظر: جمران، معجم الفصيح، ص 16 وما بعدها.

والدراسة الاستقرائية الوصفية الفاحصة لرسائل زايد تشير إلى انتماء هذه الرسائل إلى مستويين متداخلين، هما مستوى فصحي العصر: أي اللغة العربية الفصيحة التي تمثل الأساليب اللغوية الفصيحة المعاصرة المستعملة في عصر كتابة الرسائل، والمستوى العامي الذي يستجيب للأساليب اللغوية المستعملة في اللهجة المحلية لتلك المنطقة الجغرافية التي عاش فيها الشيخ زايد، رحمه الله، والتي سنتوقف عند خصائصها المتنوعة في الفقرة الآتية.

الخصائص اللغوية التداولية للغة في رسائل زايد

عالجت الرسائل المدروسة جملة من القضايا ذات الطابع الاجتماعي والاقتصادي، وتأتي قيمتها التاريخية من كونها تقدّم صورة عن حياة الإنسان العادي في تلك الفترة من الزمن في تعاملاته اليومية من تجارة وزراعة وعمران، كما أنها تقدّم صورة عن حياة الناس فيما يتعلق بأمورهم الشخصية، من هنا جاءت لغة الرسائل بعيدة عن التكلّف والتصنّع، فقد عبّرت عن بساطة وسجية أصحابها، فحفلت بالعديد من المفردات العامية والأعراف والتقاليد التي انقرضت في عصرنا، أو كادت، بفعل المد الحضاري وما يحمله من متغيرات.¹ وبناء على ذلك يمكن القول: إنّ هذه الرسائل على الرغم من أنها كانت رسائل مكتوبة، إلا أنها تحمل كثيرًا من سمات الخطاب الشفاهي، على مختلف مستوياته الصوتية، والصرفية، المعجمية، والنحوية، وعلى صعيد بناء الجملة والدلالة، وهذا ما يمنحها ميزة تواصلية عالية مع شرائح متنوعة من المتلقين.

1 انظر: ابن كراز الميبري، رسائل، ص 9.

أولاً: سمات الشفاهية على مستوى التغييرات الصوتية

لما كان الخطاب المدروس هو خطاب مكتوب، فإن التغييرات الصوتية لن تظهر بشكل جليّ، ولكننا لمسنا بعض الظواهر التي سجّلها الخطاب المكتوب متأثراً بالصيغة المنطوقة للغة، وقد ظهرت التغييرات الصوتية في هذا المستوى من خلال الإبدال والقلب والتخفيف والحذف والزيادة وفق الآتي:

فقد ظهر الإبدال من خلال ظاهرتين هما: إبدال حرف الجيم ياء، وبرز في موضعين هما:

- مايد: ¹ أي: ماجد اسم رجل.
- توائمنا: ² أي: تواجهننا، وفق النطق العامي الإماراتي.
- وإبدال القاف جيماً، كما نلاحظ في المثالين الآتيين:
- بني جتب: ³ أي بني قتب.
- الشارقة: ⁴ أي الشارقة.

أما قلب الأصوات، فيظهر في موضع واحد، في لفظة (ميائيقه)، ⁵ أي موائيقه.

1 ابن كراز المهبيري، رسائل، ص 49.
2 السابق، ص 93.
3 السابق، ص 85.
4 السابق، ص 105.
5 السابق، ص 101.

أما التخفيف والحذف والزيادة، فقد برزت هذه الظواهر في صوت واحد، هو الهمزة، وفي ذلك محاكاة المكتوب للغة الشفاهية حسب النطق اللهجي في المنطقة لهذا الصوت، فمن أمثلة تخفيف الهمزة، وهي سمة لهجية مطّردة في الرسائل، ما نلاحظه في الأمثلة الآتية:

- المامول: ¹ أي المأمول
- لا باس: ² لا بأس
- لايم: ³ لائيم من اللوم.
- تامر: ⁴ أي تأمر.
- بدايم المسرة: ⁵ أي دائيم المسرة
- نقايص: ⁶ أي نقائص.
- تجرا: ⁷ أي تجراً.
- الراي: ⁸ أي الراي.

نلاحظ الميل إلى تخفيف الهمزة في الكتابة والنطق، في وسط الكلمة وأخرها، وهو من باب تسهيل النطق بها.

-
- 1 ابن كراز المهبيري، رسائل، ص 21، ص 23، ص 29، ص 65، ص 173.
 - 2 السابق، ص 29.
 - 3 السابق، ص 31.
 - 4 السابق، ص 47، وص 87.
 - 5 السابق، ص 59.
 - 6 السابق، ص 95.
 - 7 السابق، ص 99.
 - 8 السابق، ص 171.



- ومن أمثلة حذف الهمزة في بنية الكلمة ما نلاحظه في الأمثلة الآتية:
- وصولكم لنا: ¹أي إلينا.
 - يتوجه لهم: ²أي إليهم.
 - نرجو من الله يوفّقنا ويّاكم: ³أي وإيّاكم.
 - هلّ دريز: ⁴أي أهل بلدة دريز.
 - خذّوه: ⁵هكذا تنطق بالعامية والمراد أخذوه.
 - عطيته: ⁶أي أعطيته.
 - انقضا المدة: ⁷أي انقضاء المدة.
 - ورسلها لنا: ⁸أي أرسلها إلينا.
 - فندي: ⁹أي أفندي.
 - التّكال: ¹⁰تنطق بفتح الألف وكسر اللام وتشديد التاء أي: الاتّكال من التوكّل على الله سبحانه وتعالى.

1 ابن كراز المهيري، ص 51، وانظر: ص 89.

2 السابق، ص 89.

3 السابق، ص 89.

4 السابق، ص 59.

5 السابق، ص 73.

6 السابق، ص 101. وانظر: ص 27.

7 السابق، 167.

8 السابق، ص 61.

9 السابق، ص 79.

10 السابق، ص 97.

ومن أمثلة زيادة الهمزة وفق ما يقتضيه النطق العامي، ما نلاحظه في الأمثلة الآتية:

- اوطنه: ¹ أي وطنه.
- اتفضّل: ² تفضّل.
- اتخلص: ³ أي تُخَلِّصُ بمعنى تنبي الأمر.
- احفروا: ⁴ أي حفروا.
- وهذا الظن ابكم: ⁵ أي بكم.
- فهذا الظن أبهم: ⁶ أي بهم.
- اخطوط: ⁷ خطوط أي رسائل.
- بأنه على ما نأمله أمنه: ⁸ أي: منه.
- اتعتبنا: ⁹ تعتبنا أي عتبنا عليه من العتب.
- اعمدوا: ¹⁰ أي عمدوا.

1 ابن كراز المهيبي، رسائل، ص 21.

2 السابق، ص 21 وانظر: ص 69، وص 169.

3 السابق، ص 169.

4 السابق، ص 29.

5 السابق، ص 31.

6 السابق، ص 65.

7 السابق، ص 13.

8 السابق، ص 93، وانظر: ص 99.

9 السابق، ص 99.

10 السابق، ص 167.



- اذبحوا: ¹أي ذبحوا.
 - انكثوا: ²أي نكثوا العهد.
 - اسلبوا: ³(هكذا كتبت) أي سلبوا.
 - اقبضوا: ⁴(هكذا كتبت) ص 179 أي قبضوا، وسياقها: اقبضوا البلد والحصن بمعنى استولوا عليها.
 - وعفاء عنهم: ⁵أي وعفا عنهم.
- وهنا نلاحظ أن زيادة الهمزة تطرد في صيغة الماضي والمضارع، وهي تطرد في صيغة المخاطب الدال على الجماعة، والمفرد الغائب في اللهجة العامية. وقد تُعَوِّض الهمزة الزائدة عن (أن) المصدرية الناصبة، كما نلاحظ في قوله:

والمراد منك اتبين. ⁶أي: والمراد منك أن تبين.

ثانياً: سمات الشفاهية على مستوى استعمال الاسم الموصول

لاحظنا ميل لغة الرسائل إلى استعمال المستوى العامي اللهجي في الرسائل لتحقق وظيفتها الاجتماعية في التواصل، فلغة الرسائل مستمدة من لغة الحياة الدارجة في ذلك العصر، وهي لغة شفاهية على الغالب؛ إذ

1 ابن كراز المهيري، رسائل، ص 167.

2 السابق، ص 179.

3 السابق، ص 179.

4 السابق، ص 179.

5 السابق، ص 179.

6 السابق، ص 95.

لم تكن المدارس قد انتشرت في ذلك الوقت واقتصر التعليم على الكتاتيب بصيغتها البدائية المألوفة في تلك المنطقة، ومن هنا برزت خصائص الخطاب العامي، ومن جملتها الميل إلى استعمال الاسم الموصول بصيغته التداولية في اللهجة المحلية كما نلاحظ في الأمثلة الآتية:

- بما قدره الله وقضاه من الهزيمة الذي على ابن سويلم.¹ فاستعمل الاسم الموصول (الذي) موضع الاسم الموصول (التي) انحياناً إلى استعمال الأسلوب اللهجي على الرغم من أن العبارة تقوم على الأسلوب الفصيح في مجملها.
- أن تتوجه أنت والعريان الذي يخصونا بقدر مائة رجل.² فاستعمل اسم الموصول المفرد (الذي) موضع اسم الموصول الدال على الجماعة (الذين). ومثله: والذي نعرفك به من طرف البحارة الذي بطرفكم.³
- وكل منهم يُعطى المواجيب الذي له.⁴ فاستعمل اسم الموصول المفرد المذكور موضع اسم الموصول الدال على المفرد المؤنث (التي). ومثله:
- منافعهم الذي تخصهم.⁵ أي التي.

1 ابن كراز المهبيري، رسائل، ص 21.

2 السابق، ص 25.

3 السابق، ص 87.

4 السابق، ص 31.

5 السابق، ص 73.

ثالثاً: سمات الشفاهية على مستوى الإسناد للضمائر

برزت في الرسائل ظاهرة إسناد الضمائر إلى غير ما يقتضيه المعيار اللغوي الفصيح، والميل إلى الاستعمال المستمد من العرف اللغوي اللهجي، وفي ذلك يتداخل المستوى العامي بالمستوى الفصيح في صياغة الجملة، ومن ذلك الأمثلة الآتية:

- كتبكم الشريفة وصلن¹. أي وصلت؛ إذ عومل غير العاقل (كتبكم) معاملة العاقل (وصلن) باتصال الفعل بنون النسوة، وهو من الأسلوب اللهجي السائد في اللهجة الإماراتية.
- كتابك الشريف وبما في جوفه من الكتب الذي اشتمل عليها جميعاً وصلني². أي وصلت إليّ.
- وهذه تعاريف واصلاتنك³. أي واصلة إليك، وهنا نلاحظ زيادة النون في لفظة (واصلاتنك).
- هذه الخطوط تصلون إهين⁴. أي إهين. وهنا نلاحظ زيادة النون، وهي سمة من سمات اللهجة المحلية في مثل هذه الألفاظ.
- وآخر الكتب الذي أرسلناهن إليك⁵. فالمراد: التي / أرسلت. ومثلها:

1 ابن كراز الميبري، رسائل، ص 31، وانظر: ص 53.

2 السابق، ص 35.

3 السابق، ص 35.

4 السابق، ص 31.

5 السابق، ص 71.

- وقد وصلت إلينا كتب وقد أرسلناهنَّ.¹ أي أرسلناها. والكتب هي الرسائل.
- فقد تقدّمت منّا إليكم كتب إن شاء الله **وصلوكم**.² أي وصلتكم، أو وصلت إليكم.

• تشتري لنا **بهنّ السلعة الذي** أنت خابر.³ أي: بها/ التي.
وهنا نشير إلى أن هذا الإسناد في هذه الحالات وما يماثلها هو من سمات العامة الإماراتية التي ما تزال تستعمل هذا النمط الإسنادي في لهجتها حتى الآن.

رابعاً: معاملة المفرد والمثنى معاملة الجمع

فمن معاملة المفرد معاملة الجمع ما نلاحظه في المثال الآتي:

الكتاب الذي وصلنا من المشار إليه أشرفنا على **مضمونها**.⁴ أي على مضمونه، فالكتاب وكان المقتضى أن يقال على (مضمونه)؛ لأن لفظة (مضمونها) تناسب صيغة الجمع فيما لوقيل (الكتب) بدلاً من (الكتاب) أي الرسالة.

ومن معاملة المثنى معاملة الجمع، ما نلاحظه في المثال الآتي:

وفيما بعد الفريقين استحبوا.⁵ فالمراد: الفريقان استحبا، وهنا عُوْمِل المثنى (الفريقان) معاملة الجمع، عندما أسند الفعل إلى واو الجماعة (استحبوا)، مراعاة للاستعمال في اللهجة العامية.

1 ابن كراز المهيبي، رسائل، ص 77.

2 السابق، ص 73.

3 السابق، ص 173.

4 السابق، ص 59.

5 السابق، ص 85.

ولا يكون إلى أحدًا فهم مدخل.¹ أي: إلى أحدٍ أو لأحدٍ، فالنصب بعد حرف الجر من الاستعمالات اللهجية العامية.

ومن اعتماد صيغة إعرابية واحدة في المثني وجمع المذكر السالم وألفاظ العقود تتمثل في انتهائه بالياء والنون من دون مراعاة الاختلافات الإعرابية السياقية، ما نلاحظه في الأمثلة الآتية:

• وأنهم ممتثلين،² فالموضع الإعرابي يقتضي الرفع بالواو والنون: ممتثلون. ومثلها: وأنهم ثابتين.³ أي ثابتون.

• وله أختين عزاب.⁴ أي: له أختان عزيوان، واللهجة العامية الإماراتية تستعمل الجمع بدل المثني في صيغة التثنية، وربما هو من باب التخفيف في النطق.

• فيها عشرين مكيال بر.⁵ فالموضع الإعرابي يقتضي الرفع: عشرون.

• نحن ناقلين الصلح.⁶ أي: ناقلو الصلح

• نحن ملتزمين فيه.⁷ أي: ملتزمون

فنلاحظ هنا أن استعمال صيغة واحدة للمثني وجمع المذكر السالم، ولألفاظ العقود، فقد ختمت جميعها بالياء والنون من دون مراعاة لأحوالها الإعرابية، مسaire للأسلوب اللهجي الذي يستعملها بهذه الصيغة.

1 ابن كراز المهبيري، رسائل، ص 31.

2 السابق، ص 31.

3 السابق، ص 63.

4 السابق، ص 49.

5 السابق، ص 61.

6 السابق، ص 101.

7 السابق، ص 101.

سادسًا: إدخال (أل) التعريف على الفعل، وقد وردت هذه الصيغة مكررة في خواتيم الرسائل مع الفعل (تعلم) فكانت الصيغة هكذا: (التعلم)¹، للمفرد؛ أي لتعلم، وبصيغة: (التعلمون ذلك)²؛ أي لتعلموا ذلك.

سابعًا: الانحراف في تعدية حروف الجر، وهذا أيضًا من خصائص الشفاهية العامية، ومن ذلك:

- ليأتي بنا،³ أي: ليأتي إلينا.
- واصلاتك تعاريف.⁴ أي: واصلة إليك
- ثامنًا: زيادة الفعل (يكون) وفق الاستعمال العامي، ومن أمثلة ذلك:
- فالمراد منك بالحاضر يكون ترسله.⁵ فالفعل (يكون) بتسكين الياء وضم الكاف وفق النطق العامي زائدة يقتضيها الكلام العامي.
- ولا يكون تتماهل.⁶ أي: لا تتماهل بزيادة الفعل (يكون).
- الذي نرجوه منك يكون تركب مع سالم...⁷ بزيادة الفعل (يكون).

1 ابن كراز المهبيري، رسائل، ص 29.

2 السابق، ص 31.

3 السابق، ص 21.

4 السابق، ص 35.

5 السابق، ص 57.

6 السابق، ص 67.

7 السابق، ص 177.

تاسعاً: معجم الألفاظ والتراكيب المحلية (اللهجية والعامية)

تقدّم لنا الرسائل معجمًا للاستعمالات اللفظية والتركيبية تمثل الصورة اللغوية التي كانت سائدة في تلك الفترة التاريخية، وسنصنفها وفق الجدول رقم (8):¹

الكلمة وفق استعمالها	جذرها اللغوي	دلالة الكلمة	سياقها	ملاحظات
أرثتوا	ورث	وزّعتم الإرث	أرثتوا في تركته	تحريف عن الفصح ورثتم
ألفاكم	لفي	بمعنى وصل إليكم	إن ألفاكم علي بن عويص	تحريف عن الفصح لفي إليكم
باتحطهم	حطط	ستجعلهم	باتحطهم يحفرون	استعمال لهجي عامي
بارسل	رسل	من أرسله أي بعثه	بارسل المعلوم الباقي بعد العيد	يستعمل في اللهجة الإماراتية الباء بمعنى السنين أو سوف أي سأرسل
بانرسل	رسل	نبيعث	بانرسل الولد	الملاحظة السابقة

1 أشير إلى أنني أفدت من الحواشي والهوامش التي وضعها محقق الرسائل في شرح كثير من المفردات. كما أنني اعتمدت في تصنيف الجدول على الكلمة كما وردت في الرسائل فرتبتها وفق تسلسلها الألفبائي.



الكلمة وفق استعمالها	جذرها اللغوي	دلالة الكلمة	سياقها	ملاحظات
بايدخل	دخل	سُيُدخل	بايدخل نفسه في أمر ما له فيه مدخل	الملاحظة السابقة
بايثورون	ثار	سوف يثورون	المناصير بايثورون يبون العفار	الملاحظة السابقة
بالحاضر	حضر	بمعنى: الآن، أو مباشرة	فالمراد منك بالحاضر يكون ترسله	استعمال لهجي محلي
بجنابك	جنب	إلى جنابك؛ أي إلى حضرتك	حال وصول التعريف بجنابك ترسل	استعمال لهجي لحرف الجر الباء بدلاً عن حرف الجر (إلى)
بحاير	بحر	جمع بحار	الواصل لجنابك الولد علي بن جمعة من طرف بحاير للولد حمدان بن زايد	استعمال لهجي محلي فصيحته بحارة جمع بحار
بروة	برو	رسالة	هذي بروة وصلتك	استعمال لهجي محلي



ملاحظات	سياقها	دلالة الكلمة	جذرها اللغوي	الكلمة وفق استعمالها
الملاحظة السابقة	ولا يخفاك بحار لمحمد بن خليفة بطرفكم	أي بجواركم	طرف	بطرفكم
الملاحظة السابقة	بغوا يثورون للعفار	بمعنى أرادوا، وتستعمل في العامية بصيغة المضارع أيضًا (يبغى) أي يريد	بغى	بغوا
الملاحظة السابقة	ولا يخفاك من طرف الذرة أمرنا بها توصل إلى البيادير	المزارعون	بيدر	البيادير
الملاحظة السابقة	ولا يكون تَرْوِيه لين	المراد تريه	رأى	تَرْوِيه
الملاحظة السابقة	وقد صدرت منا تعاريف إلى جميع البدو	جمع تعريف بمعنى رسائل	عرف	تعاريف



الكلمة وفق استعمالها	جذرها اللغوي	دلالة الكلمة	سياقها	ملاحظات
تكارى	كرى	فعل من الكرى وهو أجره من يحمل المتاع ونحوه	وتكارى عليهم	مصطلح فصيح يستعمل في السياقات الاقتصادية
تمام	تمم	بمعنى جيد وتام	والصلح الذي أعطيته تمام	استعمال لهجى محلي
ثورنا	ثور	بمعنى تجهزنا أو عزمنا	ثورنا على بركة الله	الملاحظة السابقة
جونية	جون	بمعنى كيس وهو مصنوع من ألياف الحوت يُعبأ بالأرز والسكر والشعير وغيرها	جونية عيش أي كيس رز	الملاحظة السابقة
الحفافير	جمع عامي للحفارين جمع حقار	الحفارون	الحفافير احفروا	الملاحظة السابقة

الكلمة وفق استعمالها	جذرها اللغوي	دلالة الكلمة	سياقها	ملاحظات
حتًا	نحن	دال على ضمير المتكلمين	حنا استخرنا	استعمال دارج لضمير المتكلمين في العامية الإماراتية والخليجية
خَرِي	خري	بمعنى مصروفات نثرية	ثم الواصلة إليكم ثلاثين ريال خَرِي للخيل	الملاحظة السابقة
اخدموا	خدم	بمعنى اصنعوا	اخدموا ثلاثة عرش (العرش: المنزل)	الملاحظة السابقة
خطوطنا	خط	بمعنى رسائل واستعمل في الرسائل بصيغة المفرد: خط	خشينا أن خطوطنا ربما يظهرونها الطارفة	الملاحظة السابقة
خوات	أخت	بمعنى أخوات	له ثلاث خوات	الملاحظة السابقة



ملاحظات	سياقها	دلالة الكلمة	جذرها اللغوي	الكلمة وفق استعمالها
الملاحظة السابقة	اتفضل دبره	بمعنى مكّنه	دبر	دبره
الملاحظة السابقة	أطوال ثلاثة دعون	مادة تستخدم في بناء المنازل وهو مجموعة من سعف النخيل تنسج وتشبك بالحبال	دعن	دعون
الملاحظة السابقة	ذمرنا الولد الشيخ سعيد يتوجّه	بمعنى أرسلنا ووردت بصيغة الأمر: اذمر واذمراً أي ترسل	ذمر	ذمرنا
الملاحظة السابقة	راعي مصفوت	وردت بمعنى صاحب أو حاكم	رعي	راعي
الملاحظة السابقة	وإن كان الربع استدت أحوالهم	وردت بمعنى الجماعة	ربع	الربع
ذات أصل فصيح	طلبنا الرخصة لجنابك	وردت بمعنى السماح	رخص	الرخصة



الكلمة وفق استعمالها	جذرها اللغوي	دلالة الكلمة	سياقها	ملاحظات
سَبَلَه	سبل	تصنع السبله من سعف النخيل وتعدّ مجلسًا، وتكون مفتوحة من جهة واحدة	عمار جديد ومطبخ وسبله	من المفردات الدالة على مكونات بناء البيت في تلك الفترة
استدت	سدد	وردت بمعنى حُلَّت مشاكلهم كما يذكر محقق الرسائل، وأظنها بمعنى استقامت أموارهم	استدت أحوالهم	من الصيغ اللهجية المحلية ذات الأصل الفصيح
الشَّيْفَة	شيف	بمعنى رهن الإشارة	حتى يكون على الشَّيْفَة	استعمال لهجي محلي



ملاحظات	سياقها	دلالة الكلمة	جذرها اللغوي	الكلمة وفق استعمالها
الملاحظة السابقة	وقد وصينا الطروش إلى الأخ الشيخ هلال بوصية	بمعنى الرُّسل، واستعملت بصيغة المفرد طارش؛ أي رسول وهو من يقوم بمهمة إيصال الرسائل مشافهة أو كتابة	طرش	الطروش
استعمال مجازي لهجي	وطيّبوا ما فيه من التراب	بمعنى نظّفوا	طيب	طيّبوا
استعمال عامي محلي	فعاد الذي نعرّفك به ونرجوه منك	وهي بمعنى أيضًا في عامية الإمارات	عود	عاد
الملاحظة السابقة	ترسل طارشًا عاني ينذرهم	استعملت بمعنى: خاص أو قاصد	عني	عاني



الكلمة وفق استعمالها	جذرها اللغوي	دلالة الكلمة	سياقها	ملاحظات
عِرْشٌ	عرش	وهي جمع عريش والعريش يصنع من سعف النخل وهو المنزل في ذلك الوقت عند أهل الإمارات	اخدموا ثلاثة عرش	الملاحظة السابقة
العودة	عود	بمعنى الكبيرة	يبغنا أن الفرس الدهماء العودة	استعمال عامي محلي
غادوتنا	غدو	بمعنى أخبرتنا	لا يكون أن تتبع الأشياء حتى غادوتنا	الملاحظة السابقة



الكلمة وفق استعمالها	جذرها اللغوي	دلالة الكلمة	سياقها	ملاحظات
الاعتشاش	عشش	أي: الغش، وقد استعملت بمعنى الغدر والخداع	وإن كان الاعتشاش الذي وقع من المقابيل والشوامس على أصحاب ما برح على حاله	تحريف لفظي للغش وتطور دلالي في دلالاته على الخداع
غثيانه	غثث	استعملت بمعنى المشاكل	إن كان حثت نفسك انكف غثيانه	استعمال لهجي عامي
الفقو	فوق	أي أصبحوا تابعين وخاضعين للدولة	وقد صدرت منّا تعاريف إلى جميع البدو الذي هم الفقو في هذه الدولة	الملاحظة السابقة

ملاحظات	سياقها	دلالة الكلمة	جذرها اللغوي	الكلمة وفق استعمالها
ذات أصل فصيح	كذلك الأشياء التي تخلصنا من اللوائم وغيرها	جمع لائمة وهي بمعنى الأمور التي إذا أفرطوا بها أصبحوا من الملوّمين عليها، واستعملت بمعنى الأمور الواجب قضاؤها	لوم	اللوائم
أصل الاستعمال تراقبه، ولفظ أصل فصيح والنون زائدة في الاستعمال اللهجي العامي	يذكر أن جنابك متبعنه	استعملت بمعنى تراقبه	تبع	متبعنه
اسم مكان على وزن مفعّل	وقبل مشارك؛ أي قيامك	استعملت بمعنى قيامك	ثار	مشارك



ملاحظات	سياقها	دلالة الكلمة	جذرها اللغوي	الكلمة وفق استعمالها
تحريف لهجي للجمع الفصيح أمراض	هذي الأمراض	استعملت جمعاً للمرض	مرض	المراس
ذات أصل فصيح	يزرعون في المراغة	استعملت بمعنى القطعة المحروثة من الأرض للزراعة	مرغ	المراغة
اسم زمان على وزن مَفْعَل	نخل بن خايف أمرنا بها للولد الشيخ صقر لأجل المقيض	استعملت بمعنى موسم القيظ؛ أي موسم الصيف	قيض	المقيض
تحريف لهجي عامي للجمع الفصيح لوازم	من كل من لنا عليه ملازم	استعملت بمعنى لوازم جمع لازمة وهي كل ما يلزم ويتوجب على شخص ما لآخر	لزم	ملازم

ملاحظات	سياقها	دلالة الكلمة	جذرها اللغوي	الكلمة وفق استعمالها
استعمال مطابق للمعنى الفصيح	وقد حصلتولها منيحة	وهي الناقة المعدة خصيصاً للحلب	منح	منيحة
اصطلاح درج استعماله في مرحلة الغوص والصيد في تلك الفترة الزمنية	بالوصول إلى نوحذاه	وتعني في مصطلحات منطقة الخليج ربان السفينة في زمن الغوص وصيد اللؤلؤ		نُوحذاه
	بحال الوخيد الذي لهم	هو الذي سلبه الأعداء من الإبل والغنم على غفلة من صاحبه	وخذ	وخيد
	والوضيحي الذي تفضّلت بإرساله إلينا	نوع من أنواع المها العربية	وضع	الوضيحي

جدول 8: معجم الاستعمالات اللفظية والتركيبية



يمكن أن نسجّل الملاحظات الآتية على الجدول السابق:

- ميل لغة الخطاب إلى استعمال لغة المشافهة وتسجيلها؛ أي التعبير باللغة المتداولة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وتسجيل اللفظ كما ينطق باللهجة المحلية.
- مال استعمال صوت الهمزة من حيث الزيادة والحذف إلى استعمال اللهجة المحلية العامة، كذلك مالت اللغة اللهجية إلى قلب الحروف، نحو: لفظ مياثيقه؛ أي موثيقه.
- استعمال عدد من المصطلحات المترادفة في الدلالة على الشيء الواحد، فالحقل الدلالي للرسالة يشير إلى استعمال مرادفات أخرى لها مثل: تعاريف، خطوط، كتب.
- بروز مصطلحات خاصة بالبيئة المحلية التي تمثلها لغة الرسائل، كما نلاحظ في مصطلحات: الطروش، العودة، الاعتشاش، الشيفة، العرش، سبله، الدعون...

المعايير التداولية النصية لرسائل زايد

إذا كان معيارا السبك والحبك يقدمان لنا « كيفية تأليف العناصر المكونة للنص، فإنهما يعجزان عن تزويدنا بحدود فصل مطلقة بين النصوص وغير النصوص في الاتصال الواقعي»،¹ من هنا لا بدّ أن تتضافر معهما عوامل أخرى تداولية غير نصية، تتعلق بالمرسل وبالمتلقي وبظروف إنتاج النص، سنفرد الحديث لها في هذا الجزء من الفصل، فنتوقف عند معايير: القصديّة والمقبولية والمقامية والإعلامية والتناص.

1 أبو غزالة، إلهام؛ وأحمد علي خليل، علم لغة النص، ص 152.

أولاً: القصدية Intentionality في رسائل زايد

إنّ القصدية معيار رئيسي من معايير النصية؛ أي أن يحمل النص رسالة محددة، ومن هنا أوجب علماء النص إدخال اتجاهات مستعملي النصوص ضمن المعايير النصية،¹ والمقصود بمستعملي النصوص، مرسل النص ومتلقيه؛ لأن طرفي الاتصال لهما أثر مهم في عملية التفاعل، فتفاعلهما يعكس الجوانب النفسية التي تتمثل بالمقاصد والشعور.²

والمبدأ الأساسي الذي تنطلق منه القصدية أنه لا يوجد نص من دون قصدية ما، فهي غاية الكاتب ونيته من صياغة النص، وإفهام المتلقي³، ويرى بوجراند أنها « تتضمن موقف منشئ النص من صورة ما من صور اللغة قصد بها أن تكون نصًا من حيث الاتساق والانسجام، وأن مثل هذا النص وسيلة من وسائل متابعة خطة معينة والوصول إلى غاية بعينها، وهناك مدى معين للتغاضي في مجال القصد، حيث يظل القصد قائمًا من الناحية العملية حتى مع عدم وجود المعايير الكاملة للاتساق والانسجام»⁴. بمعنى أن افتقاد النص لعناصر الربط الشكلي والمعنوي في بعض الأحيان، فيأتي القصد ليقوم بتعويض ذلك من خلال إسهامه في توصيل المعنى للمتلقي، فالمتكلم «لا يتكلم مع غيره إلا إذا كان لكلامه مقصد»⁵.

1 أبوغزالة، إلهام؛ وأحمد علي خليل، علم لغة النص، ص 152.

2 عكاشة، لغة الخطاب السياسي، ص 23.

3 الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 183.

4 دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 103.

5 نحلة، أحمد محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2002، ص 89.

من هنا يمكن القول: إن القصدية «تشير إلى جميع الطرق التي يتخذها منتجوا النصوص في استغلال النصوص من أجل متابعة مقاصدهم وتحقيقها»،¹ أي تحقيق هدف الرسالة وفحواها.

ويمكن التوصل من ذلك إلى نتيجة عامة، هي أن القصدية «أداة وظيفية موجهة نحو إفهام المخاطب، واعتماد المتلقي أساسًا في تحقيق الإفهامية، واستنتاجها من خلال ما يحمله النص من رموز وإيحاءات ودلالات لتحقيق الاستجابة في الفهم».²

وبناء على ذلك يجب على مرسل النص أن يراعي ثقافة متلقيه كي يبني نصه وفقها، لأن النص لا يكفي أن يكون نصًا حاويًا لقصد المتكلم، وإنما فائدة النص عند تحقيق التواصل وتحقيق القبول من المتلقي، فالعلامة اللغوية تكتسب شرعيتها عبر تواصل المتكلم مع المتلقي، فتتحقق قيمة العلامة في ضمن هذا الفضاء الحوارية.³

يمكن القول: إن أهم ما يميز الخطاب الرئاسي عند الشيخ زايد أنه يُعبّر تعبيرًا صادقًا عن موقفه السياسي، وتوجهاته الوطنية، والانحياز لحل مشكلات الناس ومظالمهم، وهو ما يمكن أن نسميه بالالتزام بقضايا الناس وتفصيل حياتهم، من هنا كانت الرسائل تنشد الحقيقة وتهدف إلى تحقيق الخير والسعادة، وتهدف إلى بناء المجتمع بناءً صحيحًا قائمًا، وبذلك لم تنفصل الرسائل عن قضايا الوطن والشعب، فشغلت تلك القضايا الحيز

1 محمد، علم لغة النص، ص 28.

2 إسماعيل، هناء، النحو القرآني في ضوء لسانيات النص، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012، ص 171.

3 محمد، علم لغة النص، ص 25-34.

الأوسع من الرسائل، من خلال السعي إلى بناء علاقات مجتمعية قائمة على المحبة والعدالة الاجتماعية. ولعل من أبرز المقاصد التي تظهر في الرسائل، مقصد الصلح والنزوع إلى الحلول السلمية للخلافات بين مكونات المجتمع، وهذه سمة أساسية من سمات شخصية الشيخ زايد السياسية، وهي تبرز مقصدًا أساسيًا من مقاصد الرسائل المدروسة، ومن شواهد ما جاء في الرسالة الموجهة من الشيخ زايد إلى الشيخ خليفة بن زايد:

... كتابك الشريف وصل ... والصلح الذي أعطيته لحبروت الجنيني تمام...¹

وتنص الرسائل صراحة عن هذا المقصد كما نلاحظ في الشاهد الآتي:
كما معلومكم بنا إن مرادنا صلاح ذات البين بين الجميع... مرادنا تصلحون الأحوال الذي بينهم وبين الولد الشيخ سلطان بن محمد.²
ويظهر هذا المقصد من خلال مصطلح التوسط من أجل الحل السلمي للخلافات، كما نلاحظ في الشاهد الآتي:

فإن كان مرادهم سداد الأحوال فيما بينهم وبين أهالي الظاهرة ومرادهم من التوسط الخير فلا بأس إذا سعيت فيه بعين العارفة، وقل رغبة أهل الظاهرة في المنافع سوى الذي يسقطه السيد فيصل له من طيبة النفس.³

1 ابن كراز المهبيري، رسائل، ص 27.

2 السابق، ص 31.

3 السابق، ص 35.

فألفاظ وتراكيب: سداد الأحوال، والتوسط، وسعيت، دالة على مقصد شريف في سياسة أمور الناس، مع ترك فرجة للتسامح وترك فرجة للعدل من خلال تخلي بعض الأطراف عن جزء من حقه بطيبة نفس إن رغب في ذلك.

ومن المقاصد الرئيسية في الرسائل الحكم بالعدل بين أفراد المجتمع من خلال تمحيص الحقائق والأدلة التي تظهر صاحب الحق، كما نلاحظ في الرسالة الآتية الموجهة إلى الشيخ أحمد بن هلال:

ولا يخفاك ناقة ضابعة ... وبالأمس روها عند ولد شويهي ورادو بحجرونها ورخصناها يطلع عليه الولد، والناقة يزعمون إنها مشراية مع سعيد بن روضة، المراد منك تحجز على الناقة ما تتغير إلى أن يوضح أمرها، لتعلم.¹

فالقضية قائمة بين طرفين يدعي كل منهما ملكية الناقة، والحل يكون بالحجر عليها والبحث عن أدلة تثبت ملكيتها لأحد الطرفين، وقد توقفنا في الفصل الثاني عند المقولات التي تحكم بناء الرسائل وهي تشير إلى مقاصدها الرئيسية مما يغني عن إعادته هنا.

1 ابن كراز المهبيري، رسائل، ص 37.

ثانيًا: المقبولية Acceptability في رسائل زايد

إنّ معيار المقبولية هو من المعايير التي تتصل بمتلقي النص، فالمقبولية «تضمن موقف مستقبل النص بإزاء صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من كونها نصًا ينماز بالاتساق والانسجام»¹. وحتى يحقق النص مقبوليته لدى المتلقي يجب أن يراعي مستويات المتلقين، كي يحقق التواصل معهم، وقد أدرك علماؤنا في التراث العربي هذا الجانب، وأشاروا إليه في كتاباتهم، فسيبويه (180هـ) قسم الكلام إلى مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وجعل الكلام المستقيم هو الكلام المقبول، والكلام المحال هو الكلام غير المقبول،² ويذهب أبو هلال العسكري (ت 395هـ) إلى القول: « وإذا كان موضوع الكلام على الإفهام، فالواجب أن تقسم طبقات الكلام على طبقات الناس، فيخاطب السوق بكلام السوق، والبدوي بكلام البدو، ولا يتجاوز به عما يعرفه إلى ما لا يعرفه، فتذهب فائدة الكلام، وتعدم منفعة الخطاب»³. ففكرة التقبيلية تتجه صوب المتلقي (أي اكتسابه معرفة جديدة أو قيامه بالتعاون لتحقيق خطة ما، ويستجيب هذا الاتجاه لعوامل من مثل نوع النص، والمقام الثقافي والاجتماعي، ومرغوبية الأهداف)،⁴ فالمتلقي شريك المؤلف في تشكيل المعنى، وهو شريك اتصالي، لأن النص لم يُكتب إلا له.⁵

1 بوجراند، روبرت، النص والخطاب والإجراء، ص 104.

2 انظر: سيبويه، الكتاب: 1/ 25-26.

3 أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ص 29.

4 إلهام، أبوغزالة، مدخل، ص 31.

5 الفني، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، 1/ 111.

وتتحكم بمقبولية النص جملة من العوامل والمعايير، حددها حسام الدين فرج، بما يلي:¹

- أن النص يمكن أن يحتوي على مقدمات سياقية تعين المتلقي على الفهم والتأويل أو لا يحتوي.
- معرفة المتلقي بالمتكلم وبنوع النص يساعدان على وجود تحفز تساعده في التركيز على فعل القراءة وتعميق انتباهه، ومن ذلك ميل يعص القراءة لتقبل نوع معين من النصوص، فلكل نوع من أنواع النصوص قُراؤه الذين لهم طبيعة خاصة في قراءتهم وفي توجيههم وفي ردود فعلهم بعد فعل القراءة.
- وضوح المضمون العالم للنص (أو البنية الكبرى) أو إبهامه مؤثر حقيقي في تقبل القارئ للنص، والأمر يعتمد على القارئ وعلى شخصيته.
- أهمية الرسالة للمتلقي: فأى قارئ لا يستقي إلا المعلومات المهمة في النص ويشكل البنية النصية في الذاكرة على أساس اهتماماته وميوله ومعارفه وأهدافه الخاصة، ويمكن أن تحفزه تلك الميول إلى استيعاب أجزاء من النص معينة استيعاباً خاطئاً، وعلى إضفاء خاصية البنية الكبرى على قضايا معينة دون أن يقدم لذلك دواعي موضوعية.
- (الجامع الخيال) الذي يختلف من متلقٍ إلى آخر.
- تتعدد أحوال القارئ الواحد، وتعدد القراء بسبب خلفياتهم الفكرية والإيديولوجية يؤدي إلى تعدد مرجعيات التفسير والتقديم.

1 فرج، حسام أحمد، نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري، مكتبة الآداب، القاهرة، 2007، ص 55-56.

• العوامل النفسية المصاحبة لقراءة النص.

ولو نظرنا في رسائل المدونة المدروسة، لنرى عوامل التي تعني المتلقي، لوجدنا عددًا من العناصر المتعلقة بمتلقي الرسائل، ولعل من أبرزها قيام بنية الرسائل على التلطف في توجيه الرسالة إلى المخاطب، وفق بنية تواصلية تقوم على الآتي:

• حال المرسل: المرسل في المدونة المدروسة هو الشيخ زايد، وقد

ظهرت لنا شخصيته الأبوية من خلال العناصر التواصلية الآتية:

• تجريد الرسالة من الألقاب الدالة على صفات قيادية، أو منصب سياسي؛

إذ إننا نلمح في الخطابات ذات الطابع السياسي الرسمي في عصرنا الحالي

أنها تعتمد هذه الصفات في مقدمات القرارات التي تصدرها، كأن نقرأ:

(رئيس الجمهورية بناء على أحكام الدستور يرسم ما يلي... أو يقرّر ما

يلي...) وهذا ما يرفع من نسبة المقبولية في رسائل الشيخ زايد، فهي قد

اعتمدت بداية أو مفتتح واحد في الرسائل جميعها يقوم على العبارة

الآتية: (من زايد بن خليفة إلى...) مجردة من الألقاب والصفات الدالة

على مركز سياسي أو قيادي، وهذا ما أضفى على الرسائل سمة أبوية،

تظهر رابطة اجتماعية قوية بين المرسل والمتلقي، سواء أكان المتلقي هو

أحد معاوني الشيخ زايد، أو من تعالج الرسالة قضيته، وهذا يظهر تلطفًا

في الخطاب، ويترك أثرًا حسنًا لدى متلقيه.

• إضفاء الصفات الحميدة على المخاطب والتخلي عن صيغ الأمر والنهي

في توجيه الخطاب، وهذا من العناصر المهمة لإنجاح تقبل الخطاب

عند المتلقي، ويظهر إدارة قائمة على التعاون والمحبة وبناء العلاقة

الاجتماعية بين طرفي التواصل، ويظهر ذلك في مخاطبة الشيخ زايد لأبنائه، أو لمعاونيه، فمن نماذج مخاطبة لأبنائه في مفتتح الرسائل: (إلى جناب الأجل الأمجد الأشيم الأحشم الولد العزيز خليفة بن زايد المحترم).¹ ومن نماذج مخاطبة الشيخ زايد لمعاونيه في مفتتح الرسائل: (إلى جناب المكرم الأحشم المحب الوفي والمود الصفي الشيخ أحمد بن محمد بن هلال)،² فالنعوت (الأمجد الأشيم الأحشم العزيز) في المثال الأول، والنعوت (الأحشم المحب الوفي والمود الصفي) في المثال الثاني تشير إلى تواصلية عالية بين المرسل ومتلقي الخطاب، وتعزز الروح الاجتماعية القائمة على الاحترام المتبادل بين الحاكم ومعاونيه، وهذا ما يجعل التقبلية في أعلى صورها، وربما يكون ذلك سرًّا من أسرار نجاح قيادة الشيخ زايد رحمه الله للدولة والمجتمع، سيؤسس عليه مستقبلاً في بناء الدولة.

• أسلوب الدعاء في مقدمات الرسائل وهو من السمات المميزة المتكررة في الرسائل بعد تحديد المرسل، والمرسل إليه، فتبدأ الرسالة بالسلام ثم بالدعاء للمرسل إليه، نحو: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأزكى تحياته على الدوام، والدك يحمد الله إليك بخير، لا زلت بحال الخير وبدائم المسرة، أخبارنا طيبة والأحوال من فضل الله جميلة ولا زاد إلا ما به مسرة الجميع).³ ويضاف إلى ذلك أن الرسائل جميعها تختتم بالسلام الذي يأخذ صبغة اجتماعية تقوي الروابط بين طرفي عملية التلقي،

1 ابن كراز المهبيري، رسائل. 25.

2 السابق، ص 53.

3 السابق، ص 25.

كما نلاحظ في النموذج الآتي: (سَلِّمَ لنا على إخوتك الأولاد المشايخ صقر
وسلطان ومحمد بن خليفة، وكافة الجماعة ومنا الولد سعيد والأصحاب
والجماعة يسلمون عليكم، والسلام).¹

فمثل هذا النمط من الخطاب يشير إلى تواصلية عالية وتقبلية
واسعة تحققها الرسائل، فالهدف الاجتماعي لها، واضح، والتأكيد على
الروابط قضية مهمة فيها.

• العناية بالموضوع، أو القضية المطروحة في الرسائل، وهنا نلاحظ أن
الرسائل اتسمت بالإيجاز والتكثيف، فهي غالبًا تعالج قضية واحدة،
وتطرح سبل معالجتها بأسطر قليلة، فتعتمد في شرح القضية على بداية
مكررة تبدأ بالفعل (ولا يخفاك) ثم تعرض القضية، ثم يبدأ عرض
المطلوب من المرسل إليه بعبارات محددة مثل: (والمراد منك، أو والمرجو
منك...)، كما نلاحظ في النموذج الآتي:

(... ولا يخفاك قد تقدّمت منّا إليك جملة كتب وبطيّها تعاريف إلى
جناب المطاع الولد فيصل بن تركي، والمراد منك مرورك عليه على كل
حال، والمرجو منك يتمعن على مضمون الكتب).²

1 ابن كراز المهيبي، رسائل، ص 29.

2 السابق، 71.

ثالثاً: المقامية Situationality

يُعنى علم اللغة النصي بتحليل النصوص (وفقاً للظروف التي أنتجت فيها، لأن كل نص يحتوي على رسالة معينة يريد المنتج إيصالها في ظرف معين).¹ وبناء على ذلك يجب «أن يكون النص مناسباً للظروف المحيطة حتى تتحقق العملية التواصلية، فالمقامية لها صلة بمناسبة النص للموقف الذي قيل فيه».² وقد عدّ دي بوجراند المقامية من المعايير النصية، فهي «تتضمن العوامل التي تجعل النص مرتبطاً بموقف سائد يمكن استرجاعه، ويأتي النص في صورة عمل يمكن له أن يراقب الموقف وأن يغيره».³

وهذا يعني أنه لا بدّ لمحلل النص من دراسة علاقته بالسياق الذي قيل فيه، فإن ذلك من العوامل المهمة في تحقيق تماسكه، وقد تعددت مصطلحات الدارسين المعاصرين في الدلالة على المقامية، فاستخدموا مصطلحات: رعاية الموقف،⁴ والموقفية،⁵ والسياق،⁶ وغيرها، ولكن المصطلح الأكثر تداولاً هو مصطلح المقامية.⁷

- 1 الصبيحي، محمد الأخضر، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2008، ص 97.
- 2 الفقي، علم اللغة النصي، 1/ 34.
- 3 دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 104.
- 4 السابق، ص 104.
- 5 استخدمه سعيد بحيري، انظر كتابه: علم لغة النص، ص 146.
- 6 استخدمه يسري نوفل، انظر: نوفل، يسري، المعايير النصية في السور القرآنية، دار النابغة للنشر والتوزيع، الإسكندرية، القاهرة، 2014، ص 189.
- 7 انظر: الفقي، علم اللغة النصي، 1/ 34. عفيفي، نحو النص، 84. عبد الراضي، نحو النص، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008، ص 95.

وقد استعمل العلماء العرب في التراث مصطلحات عدة دالة على المقامية، لعل أبرزها مصطلحات، الحال، والمقام، وهما دالان على ضرورة موافقة المقال في ألفاظه ومعانيه للمقام وللطبقة الاجتماعية التي يُساق إليها، فلكل طبقة من الناس ما يناسبها من الألفاظ والمعاني، وهذا ما يتضح في ما نقله الجاحظ عن بشر بن المعتمر الذي يقول: «المعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة. وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال، وكذلك اللفظ العامي والخاص، فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك وبلاغة قلمك ولطف مداخلك واقتدارك على نفسك إلى أن تفهم العامة معاني الخاصة وتكسوها الألفاظ الواسطة التي لا تلتف عند الدهماء ولا تجفوعن الأكفاء فأنت البليغ التام»¹.

ولا يقصر علماؤنا في التراث المقامية على الظروف المحيطة بالنص من خارجه، بل يوسعون ذلك ليشمل طرق نظم الكلام داخل النص؛ أي تأثر صياغة النص بالظروف الخارجية التي يرد في إطارها، «ليصبح مقياس الكلام في باب الحسن والقبول بحسب مناسبة الكلام لما يليق به»²، وهذا ما أشار إليه السكاكي عندما قال: «إذا شرعت في الكلام، فلكل كلمة مع صاحبها مقام، ولكل حد ينتهي إليه الكلام مقام، وارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول، وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما

1 الجاحظ، البيان والتبيين، 1/ 136.

2 عبد المطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، القاهرة، 2007، ص 228.

يليق به، وهو الذي نسميه مقتضى الحال، فإن كان مقتضى الحال إطلاق الحكم، فحسن الكلام تجريده عن مؤكدات الحكم، وإن كان مقتضى الحال بخلاف ذلك، فحسن الكلام تحليه بشيء من ذلك. بحسب المقتضى ضعفاً وقوة، وإن كان مقتضى الحال طيّ ذكر المسند إليه، فحسن الكلام تركه، وإن كان المقتضى إثباته على وجه من الوجوه المذكورة، فحسن الكلام وروده على الاعتبار المناسب»¹.

وبناء على ذلك يمكن التوقف عند نوعين من المقامية في رسائل زايد، هما: المقامية الخارجية، والمقامية الداخلية، وفيما يلي تفصيل لذلك:

المقامية الخارجية:

وهي جملة الظروف الخارجية التي أسهمت في إنتاج الرسائل، أو التي كتبت الرسالة في كنفها؛ أي مسببات كتابة الرسالة، ولو تأملنا الرسائل فإننا نرى أنها اتخذت في مجملها طابعاً اجتماعياً يتناول حياة الناس وما يواجهونه من مشكلات في حياتهم، وبالتالي كان الظرفان الاجتماعي والاقتصادي هما المقام الخارجي الأساسي الذي دفع إلى كتابة الرسائل، ويمكن التمثيل لهذين الظرفين بالجدول رقم (9):

1 السكاكي، مفتاح العلوم، ص 168-169.

الظرف العام للرسالة	المقام الخارجي	رقم الرسالة
اجتماعي	الخلاف بين قبيلتي المقابيل والشوامس والوالي	الثالثة
اقتصادي	حول حفر بئر ماء	الخامسة
اجتماعي	الخلاف بين قبيلتي بني كعب وبني قتب مع الوالي	السادسة
اجتماعي	فض الخلاف حول ناقة ضائعة	الثامنة
اجتماعي - اقتصادي	الخلاف في الإرث وتوريث الأخوات	الحادية عشرة
اجتماعي - اقتصادي	توزيع تركة المتوفى	الرابعة عشرة
اقتصادي	شراء أكياس الأرز	السابعة عشرة

جدول 9: دوافع كتابة الرسالة

فنلاحظ أن المقام الخارجي الاجتماعي والاقتصادي شكلاً الظرفين الرئيسيين لرسائل المدونة المدروسة، والسبب وراء ذلك أن الرسائل في مجملها قد كتبت لمعالجة تفاصيل من الحياة اليومية للناس.

المقامية الداخلية:

ومن خلالها تنعكس الظروف الخارجية على البنية اللغوية للنص، فتكون انعكاساً لها، ويمكن ملاحظ أبرز تجلياتها من خلال ما يلي:

- الأداء العقلاني، وهذا ما يجعل النص يقوم على اللغة الواضحة البعيدة عن المجاز، والتي تقوم على جمل محددة واضحة، تمتاز بالإيجاز والتكثيف، كما نلاحظ في الرسالة الآتية:

ولا يخفاك من طرف خليفة بن زايد (ماجد) ... توفي في طرفكم
وله أختين عزّاب وأولاد عمه، فالمراد بما يسمح له من تركة، وبما
يلحقن إخوانه...¹

فالرسالة تطرح قضية الوراثة وتحدد أطرافه وتطلب من القاضي
والمستشار أحمد بن هلال الذي وُجّهت الرسالة إليه حل الخلاف، بلغة
توصيفية عقلية مختصرة واضحة بعيدة عن المجاز.

• الانحياز للغة المؤلف، فالمرسل هنا صاحب رسالة ينحاز فيها إلى شريحة
العامة من الشعب، وهي في مجملها فئة أمية غير متعلمة، من هنا لا ينفذ
معها الخطاب المتعالي الذي يعيش في أبراج عاجية، ويبتعد عن اللغة
التواصلية، ومن هنا كانت سمة الانحياز إلى اللغة المؤلف هي السمة
الأبرز في لغة الرسائل، كما فصلنا في بداية هذا الفصل.

رابعاً: الإعلامية Informativity

الإعلامية هي أحد معايير النصية، وقد تعددت ترجماتها لدى الدارسين
العرب، فبعضهم ترجمها بـ (الإخبارية)²، وبعضهم ترجمها بـ (المعلوماتية)؛
أي ما نحصل عليه من معلومات يتضمنها النص.³

ويرى دي بوجراند أن الإعلامية هي «العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزم
في الحكم على الوقائع النصية، أو الوقائع في عالم نصي في مقابلة البدائل

1 ابن كراز المهيدي، رسائل، ص 49

2 انظر: عفيفي، نحو النص، ص 86.

3 هينمان، مارغوت، وغنغ، فولفو، أسس لسانيات النص (ترجمة: موفق محمد جواد المصلح)،
دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، 2006، ص 152.

الممكنة، فالإعلامية تكون عالية الدرجة عند كثرة البدائل، وعند الاختيار
الفعلي لبديل من خارج الاحتمال، ومع ذلك نجد لكل نص إعلامية صغرى
على الأقل تقوم وقائعها في مقابل عدم التوقع»¹. فهي دالة على الجدة
والتنوع الذي توصف به المعلومات التي تشكل محتوى الاتصال في نص
ما²، ولذلك فإن موضوعها يُعنى «بمدى التوقع الذي تحظى به وقائع النص
المعروض في مقابل عدم التوقع، أو المعلوم في مقابل المجهول»³. فعندما
تكون «المعلومات، داخل النص، معتادة في معناها وفي أسلوب التعبير
عنها وطريقة عرضها، فهي عندئذ تمثل كفاءة إعلامية منخفضة الدرجة،
وعندما تكون «أي المعلومات» غير معتادة، فتمثل كفاءة إعلامية عالية
الدرجة»⁴. وبذلك فإنه «كلما كان هناك ابتعاد عن التوقع، وكثرة المعتاد
والمألوف، زادت الكفاءة الإعلامية»⁵.

وقد ضيّقت اللسانيات النصية، معيار الإعلامية، فحصرته، في عدم
التوقع، وبناء على ذلك حدد علماء النص الإعلامية في ثلاثة مفاهيم أوجزها
حسام أحمد فرج على النحو الآتي:⁶

- الأول: الإعلامية بالمعنى العام، تدلّ على أنّ أيّ نص يجب أن يُقدّم خبراً
ما، فالنصوص كلها تشترك في هذه الوظيفة.

1 دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 105.

2 السابق، ص 249.

3 أبوغزالة، مدخل، ص 12.

4 فراج، نظرية علم النص، ص 66.

5 محمد، علم لغة النص، ص 68.

6 فرج، نظرية علم النص، ص 66-68.

- الثاني: الإعلامية بمعنى الجدة وعدم التوقع، وتدلّ على ما يجده المتلقي في النص، من جدة وإبداع ومخالفة الواقع، على مستوى صياغة النص أو مضمونه، ويحدث هذا في النصوص الأدبية.
- الثالث: الإعلامية بمعنى الدعاية، إيجاباً أو سلباً، لشخص ما أو لفكرة ما، أو لمذهب ما.

وقد وصف "الإعلامية" في المفهوم الأول والمفهوم الثالث بأنها: "إعلامية منخفضة"؛ لأن أثرها في النص يقتصر على الإخبار والدعاية فحسب، أما "الإعلامية" بالمفهوم الثاني، فقد وصفت بأنها: "إعلامية مرتفعة"؛ لأنها تتعامل مع الجانب الإبداعي أو الأدبي في النص،¹ وهنا ينبغي على المتلقي أن يبذل جهداً أكبر لتحقيق التلقي، وكذلك ينبغي على منتج النص أن يتوخى الحذر، كي لا تنوء قدرة المتلقي بالعبء عند معالجته جدة المعلومات إلى الحد الذي قد يتعرض فيه الاتصال إلى الانهيار.²

وهنا لا بدّ من الإشارة إلى ناحية مهمة، وهي أن نسبة الإعلامية في نص ما تختلف من متلق إلى آخر تبعاً لثقافته، فالمتلقي العارف المُطّلع، والمتمرس في فعل القراءة قد لا يفاجأ من نصّ نتيجة خبرته، ولكن المتلقي العادي قد يُصدم، لأن ذاكرته خالية من شيء مما يقدمه له النص من معلومات وجماليات.

1 فرج، نظرية علم النص، ص 70.

2 عفيفي، نحو النص، ص 85.

وإن حاولنا الوقف عند الإعلامية في رسائل زايد، فسنجد أنفسنا أمام نمطين من الإعلامية:

النمط الأول: الإعلامية التي تتوافق مع أفق المتلقي، فهي تنحاز إلى الإخبار، وهي تمثل درجة إعلامية منخفضة، ويعود السبب في ذلك الانخفاض لكون النص المدروس هو جملة من الرسائل الموجهة نحو معالجة قضايا تتعلق بحياة الناس، فليس غايتها هذا النمط من الخطاب جمالية أو شعرية كما نلاحظ في الخطاب الشعري على سبيل المثال الذي يُعنى بالتأثير في المتلقي على حساب الإخبار؛ فليس المراد الأساسي للنص الشعري إيصال خبر مباشر إلى المتلقي، وإنما الوظيفة الرئيسية لذلك الخطاب التأثير فيه جماليًا. ومن هنا فإن الإعلامية التي تتوافق مع أفق المتلقي في المدونة المدروسة، وعنايتها بالإخبارية على حساب الجماليات الشعرية، يجعل من الانحياز الإعلامية المباشرة هي الغاية الأسمى للرسائل؛ إذ إن الرسائل تسعى إلى معالجة قضايا الناس، وحلّها وطرح الحلول لها بلغة حاسمة لا تحتمل التأويل، كما أن المدونة المدروسة تعد من النمط الرسمي الذي تعد اللغة المباشرة من متطلباته، لأن غايته تنفيذية أكثر من كونها جمالية، ويُضاف إلى كل ذلك أن الرسالة هنا تكون موجّهة إلى الشعب، والمراد أن تصلهم واضحة لا غموض فيها كي تثيره على الاستجابة لمحتواها، وهذا ما يمكن أن نجده على سبيل المثال، في الرسالة الآتية:

من زايد بن خليفة

إلى جناب المكرم الأحشم المحب الشيخ مناخر بن عبد الله
العفاري

... أما بعد كما معلومك أن أولاد حمد بن مياسيف وخيله اعمدوا¹
ديار المناصير آل بالشعر واذبحوا والمناصير بغوا يشورون للعفار وحنّا
قرعناهم وطلبنا منهم مهلة إلى مادة بخمسة وعشرين من الشهر.
فالمراد منك حال وصول الخط إليك تقبل إلينا قبل انقضاء² هذه
المدة حتى يكون نسد هذه الذريعة قبل وقوع لشيء من الأحوال،
المراد منك دخولك إلينا بوجه السرعة، كن كما نرجوك ولا يحتاج إلى
زيادة تأكيد لتعلم ذلك.³

لوتأملنا النص/ الرسالة، لوجدنا أن الرسالة تنحاز إلى الإعلامية التي
تتوافق مع أفق المتلقي، وتبتعد عن الإعلامية الشعرية التي تكسر أفق
التوقع لديه، إننا هنا أمام عناصر لغوية يدركها المتلقي مباشرة، وتبقى في
دائرة المتوقع القريب إلى الأفهام، فالرسالة تعالج قضية خلاف بين قبيلتين،
وقع فيها القتل والتعدي من أحد الطرفين، وما نجم عن ذلك، بلغة سردية
تظهر باستعمال الأفعال الماضية الواصفة للحدث (اعمدوا، اذبحوا، بغوا،
طلبنا)، وهي أفعال سردية تشرح الحدث؛ أي القضية الرئيسية في الرسالة.

1 عمدوا.

2 انقضاء.

3 ابن كراز المهبيري، رسائل، ص 167.

ثم تحدد الرسالة المطلوب من المخاطب بلغة واضحة مباشرة، تقول على التكرار التأكيدي الذي يبرز في المقطع الثاني من الرسالة، الذي يفتح بطلب يتمثل بالجملة الآتية: (المراد منك... تقبل إلينا قبا انقضا هذه المدة)، ثم تؤكد بجملة مرادفة لا تحقق إعلامية جديدة تتمثل بقوله: (المراد منك دخولك إلينا بوجه السرعة)، ثم بجملة توكيدية ثالثة ذات صياغة عامة (ولا يحتاج إلى زيادة توكيد)، فهذه العبارات الثلاثة تقدم إعلامية منخفضة؛ إذ إنها تؤكد المعنى ذاته، ولكن ما يرفع من قيمتها الإخبارية أن هذا التوكيد المكرر يهدف إلى غايات مهمة، تنبع من القضية المطروحة، فطبيعة القضية المعالجة في الرسالة تشير إلى قضية خطيرة تتمثل في خلاف بين قبيلتين وصل إلى درجة الاقتتال، وهذا ما يقتضي تأكيد المطلوب والإلحاح في سرعة تنفيذه حقناً للدم ودرءاً لاستفحال الخلاف، ومن هنا يمكن القول إن هذا النوع من الإعلامية المتوافقة مع أفق المتلقي هو النمط المسيطر على المدونة كلها، وهذا نابع من الوظيفة التي تسعى الرسائل إلى تحقيقها في الحياة والمجتمع.

النمط الثاني: الإعلامية التي تكسر أفق توقع المتلقي، وهنا، تكون نسبة الإعلامية في النص مرتفعة جداً، وهذا النوع من الإعلامية يختص بالخطاب الشعري، أو النثري الأدبي الذي يسعى إلى التأثير الجمالي في المتلقي، فيصبح الأسلوب اللغوي غاية في ذاته، فتقوم الإعلامية على أسس جمالية تقوم على اعتماد الأساليب البلاغية المتنوعة التي تطرق أبواب المعنى بطرق غير مباشرة لم يألفها المتلقي، ومن هنا يكون التعامل الجمالي معها، هو الوسيلة لتذوق جمالياتها والحكم على قدرتها الإعلامية التأثيرية. وتنحسر

هذه الإعلامية في المدونة المدروسة، ومردّ ذلك إلى أنها تعتمد لغة رسمية وتطرح قضايا محددة بلغة موجزة وتطرح الحلول لها بصيغة مباشرة، من دون أن يعني ذلك أن هذه اللغة قد تخلت عن جماليات خاصة تتمثّل في بروز بعض الأساليب البلاغية التي ترفع من إعلامية النص، كما نلاحظ في المثالين الآتيين:

- ... وكذلك من طرف أحوال الوالي سليمان بن سويلم وبما صح عليه من تكسير لشوكته¹ فعبارة تكسير شوكته، فكسر الشوكة كناية عن هزيمته، أو إضعاف قوته.
 - ... بما عرفتنا من طرف أحوال الولد الشيخ سلطان بن محمد بن علي بأنه على ما نأمله منه، فهذا عندنا ثابت وعين اليقين² فقد جعل لليقين عيناً على سبيل الاستعارة المكنية؛ فعلم اليقين هو يقين الخبر؛ أي سكون القلب إلى قلب المُخبر، ووثوقه به، واطمئنانه إلى صدقه بالدليل الجازم، وعين اليقين هنا هي يقين الدلالة وهو ما استغنى به صاحبُه عن طلب الدليل؛ لأنه يراه رأى العين فلا يحتاج معه إلى دليل ثباته.
- وكذلك ترتفع إعلامية النص من خلال توظيف التناسل في بناء لغة الرسائل توظيفاً جمالياً، وهو ما سنتوقف عنده في الفقرة الآتية.

1 ابن كراز المهيري، رسائل، ص 65.

2 السابق، ص 93.

خامساً: التناص Intertextuality

يعدّ التناص من المعايير المهمّة في علم اللغة النصّي، وتأتي العناية به نتيجة أثره في تحقيق نسيج النص، وقد تعدّدت ترجمات هذا المصطلح في الثقافة العربية المعاصرة، فنجد مصطلحات: التناص، والتناصية، والنصوصية، وتداخل النصوص، وتعالق النصوص، والحوارية،¹ وغيرها. وهو من تجليات الكتابات العابرة للثقافات التي تتجاوز حدود اللغة وتخوم الثقافة وحواجز التحريم ومدونة الضوابط السائدة. فمن الناحية النظرية الفلسفية يعيننا التناص على ارتياد فضاءات وجدانية وفكرية متوالية الرحابة بلا قيود تحدّ النظر أو تغل حركة الخيال وهي وسيلة من بين أخريات «تزيل الكثير من الغشاوة وتكشف الغطاء عن الكثير من الأغاليط والأضاليل الفكرية والثقافية والنقدية التي واكبت نظرية السلطة الأدبية» حسب ما ورد في كتاب كلوديو غولين في هذا الصدد.²

وقد عدّ علم اللغة النصّي التناص ضروريًا لنجاح العملية التواصلية؛ إذ إنه يحقق «الترباط بين إنتاج نص بعينه أو قبوله، والمعارف التي يملكها مشاركو التواصل عن نصوص أخرى، وهذا التعيين الجديد يولي التواصل الأولوية في تعيين هذا المفهوم».³

1 انظر: الصبيحي، مدخل إلى علم النص، ومجالات تطبيقه، ص 100. عبد المطلب، قضايا الحدّثة عند عبد القاهر الجرجاني، الشركة المصرية العالمية للنشر لونغمان، ومكتبة لبنان ناشرون، القاهرة، بيروت، 1995، ص 137. عزام، محمد، النص الغائب، تجليات التناص في الشعر العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص 41

2 Guillen. Claudio. *The Challenge of Comparative Literature*. tr. Cola Franzen. Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1993. P.244

3 محمد، علم لغة النص، ص 74.

ويقوم مفهوم التناص على أنّ «النص لا يمكن أن يكون إلا مُتعددًا؛ لأنّ قراءات الكاتب السابقة وثقافته الموسوعية تنعكس - عن قصد وعن غير قصد - على كتاباته، فتأتي مزيجًا من آراء وتعايير مختلفة، وعليه فالكاتب لا يبدأ في إنشائه من عدم، ومن ثمّ فلا يمكن أن يكون إنتاجه جديدًا كل الجدة، وذلك لأنه ببساطة، يصدر عن المشترك العام من ثقافة العصر وأساليبه»¹.

وقد رأى دي بوجراند أنّ التناص «يتضمن العلاقة بين نص ما، ونصوص أخرى مرتبطة به، وقعت في حدود تجربة سابقة سواء بواسطة أو من غير واسطة»².

وقد طرحت تعريفات مُتعدّدة لهذا المفهوم، فقد عرفه محمد مفتاح بأنه: «تعالق نصوص مع نص، حدث بكيفيات مختلفة»³.

وقد عرّفه حسام أحمد فرج بأنه «علاقة بين نصين أو أكثر، وهي العلاقة التي تؤثر في طريقة قراءة النص المتناص؛ أي الذي تقع فيه آثار نصوص أخرى، أو أصداؤها»⁴.

وبناء على ما سبق يكون التناص «مكونًا من مكونات النص، فهذا يعني أنّ النص يتكون من نصوص آخر مأخوذة من الثقافة المحيطة، أو قادمة

1 الصبيحي، مدخل إلى علم النص، ص 102.

2 دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 104.

3 مفتاح، محمد، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجيات التناص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 1986، ص 121.

4 فرج، نظرية علم النص، ص 194.

من آفاق وأزمنة أخرى»،¹ لأنه جزء من معرفة الإنسان بالعالم وبثقافته المختلفة التي لا بدّ أن نجد أثرها في ما ينتج من نصوص، وهذه المعرفة هي الركيزة لتأويل المتلقي لنصه،² «فالتنصص، لا مناص منه؛ لأنه لا فكاك للإنسان من شروطه الزمانية والمكانية، ومحتوياتها، ومن تاريخه الشخصي؛ أي من ذاكرته، فأساس إنتاج أي نص هو معرفة صاحبه للعالم، وهذه المعرفة ركيزة تأويل النص من قبل المتلقي»،³ والكاتب في عُرف رولان بارت ليس إلا مؤلف خطابات يعمد إلى إعادة كتابة النصوص الأخرى وترجيح أصدائها، لأن «النص هو نسيج مؤلف من اقتباسات مستمدة من مراكز ثقافية لا حصر لها».⁴

ولما كان التعدد في طرح تعريفات كثيرة لمفهوم التنصص، فقد استدعى ذلك بعض الباحثين لاستخلاص مقومات التنصص المستلخصة من ذاك التعدد، فرصدها محمد مفتاح، بالنقاط الآتية:⁵

- التنصص، فسيفساء من مجموعة نصوص أخرى، أدمجت فيه تقنيات مختلفة.
- وهو ممتص لها، لتنسجم مع فضاء بنائه ومقاصده.

1 حمري، حسين، نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت، الجزائر، 2007، ص 256.

2 مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، ص 123.

3 السابق.

4 Barthes, Roland. *Image, Music, Text*, tr. Stephen Heath. London: Fontana, 1977. P.146.

5 السابق، ص 321.

• وهو محوّل لها بإطالتها، أو إيجازها، بقصد مناقضة خصائصها ودلالاتها، أو تعضيدها.

وفي سياق متصل يقول الناقد اللامع بول ريكور: كل نصّ قابلٍ للولوج في علاقة مع سائر النصوص الأخرى التي يتصادف أن يولدها الواقع الموضوعي الذي تتناوله أي لغة وخطاب حيين. وهذه العلاقة بين نص وآخر هي ما يؤسس العالم الافتراضي للنصوص الأدبية.¹

وإذا انتقلنا إلى التناص في رسائل زايد، يُمكن أن نتوقف عند نمطين بارزين من التناص، هما: التناص مع اللغة الدينية، والتناص مع المثل، وقد كانت آلية التناص مندمجة، ومتفاعلة مع بنية النص بمستوياته المتعددة، حيث أدّت دورها في خدمة الدلالة داخل السياق.² وفيما يلي تفصيل لذلك:

النمط الأول: التناص مع اللغة الدينية

وهو التناص الذي يستدعي اللغة الدينية المتداولة في الدعاء بوجه خاص، واللغة المستمدة من الحقل الديني بوجه عام، كما نلاحظ في الأمثلة الآتية:

• بما قدّره الله وقضاه من الهزيمة الذي على ابن سويلم.³

• فالله المحمود على كل حال.⁴

1 Ricour, Paul. *Hermeneutics and the Human Sciences: Essays on Language, Action and Interpretation*, ed. J. B. Thomson. London: Cambridge University Press, 1981. P.149.

2 انظر: مجاهد، أحمد، أشكال التناص الشعري، دراسة في توظيف الشخصيات التراثية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2006، ص 186.

3 ابن كراز المهيبي، رسائل، ص 21.

4 السابق، ص 21.

- نَسألُ اللهَ تعالى يمدِّنا وإياكم بعونه ويوفِّقنا للخير ويثبتنا على ما يحبه ويرضاه.¹
- وحنّا استخرنا.² ص 23
- لازلت بحال الخير وبدائم المسرة.³ وهي صيغة دعاء للمخاطب مكررة في الرسائل.
- ولا زاد وحدث إلا ما به مسرة الجميع.⁴ وهي صيغة دعاء مكررة في الرسائل.
- وربما أن الله عز وجلّ مقدر أمرًا وعسى العاقبة خيرًا.⁵
- فلو تأملنا العبارات السابقة، لاحظنا حضور أسلوب الدعاء المكرر في الرسائل، وهو أسلوب يستحضر مفرداته من المعجم الديني، عبر التناص مع عبارات مألوفة في الدعاء يستعملها الناس في خطاباتهم، أو مع مفردات مستمدة من لغة القرآن الكريم، كما نلاحظ في العبارة الأخيرة، وتحديدًا في لفظة (عاقبة) التي تتكرر في آيات القرآن الكريم بالصيغة الآتية: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: 128، هود: 49، طه: 132، القصص: 83].

1 ابن كراز المهبيري، رسائل، ص 105.

2 السابق، ص 23.

3 السابق، ص 25.

4 السابق، ص 29.

5 السابق، ص 59.

النمط الثاني: التناص مع المثل

ويأتي التناص مع المثل في رسائل زايد عن طريق تضمين المثل في السياق؛ لاستثماره في خدمة الدلالة العامة للخطاب، في امتزاج منتجٍ للدلالة، وقد حضر في الرسائل نوعان من المثل؛ المثل الخاص المستمد من البيئة المحلية، والمثل العام المنتشر في بيئات مختلفة، فمن المثل الخاص، وردت الأمثال الآتية:

- طلع الحاضر ناظر،¹ من الأمثال الدارجة بمعنى هذا هو الموجود الذي أمام ناظريك.
 - ويجاوبهم من الراس إلى الراس،² أي مواجهة.
 - ولا تتأخر ساعة عن ساعة،³ أي لا تتأخر أبداً.
 - ماب وثقة ولا هوب للحاجة،⁴ أي لا يُوثق به وليس أهلاً للحاجة.
 - العذرواسع.⁵
- أما الأمثال العامة، فهي الأمثال المستمدة من الثقافة، وقد وردت في الرسائل الأمثال الآتية:
- الخيرة فيما اختاره الله.⁶

1 ابن كراز المهبيري، رسائل، ص 29.

2 السابق، ص 31.

3 السابق، ص 51 وانظر: ص 53.

4 السابق، ص 59.

5 السابق، ص 39.

6 السابق، ص 25 وانظر: ص 65.

- ما تأخذنا من طرفه في الله لومة لائم.¹ وأصل هذا التركيب من قوله تعالى: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: 54].
- ومن أنذر فقد أعذر.²
- وقد هجموا على بلد الصبيحي في حين غفلة من أهلها.³ وأصل هذا المثل من القرآن الكريم، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [القصاص: 15]
- وقد جاء توظيف هذه الأمثال بنوعها في سياق خدمة الدلالة التي ترد الأمثال في سياقها.

1 ابن كراز المهبيري، رسائل، ص 31.

2 السابق، ص 57.

3 السابق، ص 85.



الخاتمة



الخاتمة

وفي نهاية المطاف مع رسائل زايد الأول رحمه الله، والتي حاولت فيها قدر المستطاع تحليل الخطاب، منطلقًا من فهم اللسانيات النصية للآليات التي تمنح النص سمته النصية والتواصلية والتداولية، يمكن إيجاز نتائج هذا البحث بالنقاط الآتية:

أولاً: قدّمت الرسائل صورة عن شخصية فذة أسهمت في صناعة تاريخ تلك الفترة، بحكمتها وتواضعها في إدارة أمور البلاد، كما قدّمت صورة عن الحياة الاجتماعية في تلك الفترة، ولاسيّما حياة المواطن اليومية ومعاملاته الشخصية وقتئذٍ. وأبرزت سياسية الشيخ زايد الأول رحمه الله تعالى في تدبير شؤون الدولة بحنكة وخبرة وحبّ للوطن والمواطن، مما كان له أثر كبير في ترسيخ دعائم حكمه، فكانت تلك السياسة القدوة والمثل لمن جاء بعده من أنجاله الكرام.

ثانياً: قدمت رسائل الشيخ زايد صورة حيّة وصادقة عن ذلك العصر الذي كُتبت فيه، وعبّرت عن واقع هذا المجتمع من جوانبه المختلفة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، مما يجعلها وثائق تاريخية تمدّ المؤرخ بصورة واضحة عن الحياة في تلك الفترة من الزمن، وتكمن أهمية الرسائل المدروسة، في كونها تقدّم صورة عن بواكير تاريخ دولة الإمارات الحديث، وقد اتسمت تلك الرسائل بالصدق والعفوية والبعد عن التصنع في اللغة والأسلوب.

ثالثًا: على صعيد الدراسة النصية، لاحظنا أنها تُعنى بدراسة النص باعتباره كيانًا موحدًا، أو وحدة دلالية مُتكاملة، ومن هنا كان أبرز تحوّل أحدثته لسانيات النص في البحث اللغوي، أنها لم تعد تكتفي باستخراج المعايير التي تتحقق في المستويات المختلفة، وإنما بدأت تُعنى بالتداولية من خلال تحديد أوجه الاتصال وشروطه وخواصه وآثاره ومظاهره وعلاقته بالربط والتماسك والإبلاغية والمقصدية، من هنا اتسمت النصية بالتداخل المعرفي مع علوم أخرى تسهم في دراسة دور المبدع والمتلقي في النص.

رابعًا: برزت ظاهرة التكرار بأنماطه المختلفة على صعيد السبك المعجمي، وقد أسهت في تحقيق تماسك نص الرسائل، فقد برز تكرار الجملة والعبارة، وهو تكرار مرتبط بنمطية بناء تلك الرسائل؛ إذ قدّمت لنا رسائل زايد الأول صورة عن طرق صياغة المكاتبات الرسمية التي كانت سائدة في عصره، وهي صورة تقوم على تصميم مُحدّد في بناء النص الرسائي، وكان من مقتضيات ذلك بروز التكرار والتشابه في افتتاحيات الرسائل وخواصها، فالدعاء بالسلامة في مفتتح الرسالة هي العبارة الدعائية المكررة في الرسائل جميعها، وتتمثّل بعبارة: (سلمه الله تعالى)، ثم سيضاف إلى هذه الصيغة لواحق دعائية أخرى، تدور في فلك (رعاية الله، حراسته للمخاطب، الدعاء له بالبقاء، الدعاء له بالوقاية من المكاره، الدعاء له بالبقاء الجميل، والنجاة). وبرزت في خواتيم الرسائل عبارات مكررة شكلت ملمحًا أسلوبياً فيها، يتمثّل في تبادلية السلام بين مرسل النص الشيخ زايد الأول، والمرسل إليه، وهذا ما أضفى على الرسائل طابعًا اجتماعيًا.

خامسًا: برز السبك في الرسائل عبر تكرار الصيغة الاشتقاقية نفسها في مقدمات الرسائل، وتتمثل هذه الصيغة في إسباغ عدد من الصفات على المرسل إليه، وتُبرز هذه الصيغة الاشتقاقية، جانبًا اجتماعيًا تشير إليه الصيغة المكررة، كما أنها تشير إلى تواصلية عالية مع المخاطب، تتمثل في احترامه والإعلاء من شأنه، وهذا ما يظهر في إسباغ الصفات الحميدة على المُخاطب الذي توجّه الرسالة إليه، وقد تحقّق السبك عبر هذا النمط من التكرار من خلال العناصر الآتية:

- تكرار اسم التفضيل بصيغة المفرد عندما تكون الرسالة موجّهة إلى المفرد، وتكرارها بصيغة الجمع عندما يكون المخاطب جماعة من الناس، مثل: (الأحشم/الأحشام).
 - تكرار الصفة المشبهة باسم الفاعل، فقد وردت دالة على ثبوت الصفة في الموصوف/المُخاطب، والصفات المكررة في مقدمات الرسائل هي: (العزیز، الكرام، الوفي، الصفيّ، حميد، زكي)، فقد أضفى مرسل الخطاب هذه الصفات على المُخاطب، تحببًا وتلطّفًا في الخطاب، ولما يحمله هذا المشتق من دلالات تعزز الثقة في المخاطب.
 - تكرار صيغة اسم المفعول من فوق الثلاثي للربط في مقدمة الرسائل، وقد تكررت في الرسائل صيغتان هما: (المُكرّم، المُحترم)، وغالبًا ما تردان معًا.
 - تكرار صيغة اسم الفاعل من فوق الثلاثي للربط بين عناصر مقدمة الرسائل، وقد تكررت في الرسائل صيغتان هما: (المُحب، المُودّ).
- فتحقّق الربط في هذه الصيغ من خلال جعل المُخاطب مركز الدلالة ثم تتلاحق الصفات المقترنة به التي تحمل دلالات عدة يتصف بها.

سادسًا: تحقق الربط بين المفردات والجمل في رسائل زايد، من خلال الملامح الآتية:

• الربط من خلال اتفاق الصفات واشتراكها في الموصوف:
ويبرز هذا الربط في مقدمات الرسائل جميعها، من خلال الربط المتصل بين المفردات؛ إذ لا يظهر الرابط العطفى النحوي بينها، وقد برز هذا النوع من الربط في مقدمات سبع وأربعين رسالة من أصل خمسين، هو مجموع المدونة التطبيقية المدروسة.

• الربط من خلال الفصل والوصل بين جمل النص: وقد جاء الفصل بين الجمل في مواضع محددة في الرسائل المدروسة، ولاسيما في الجمل التي تأتي في بداية الرسائل التي تظهر حال المرسل وأخباره، وقد كان لذاك الفصل مسوغات دلالية تحقق الاتساق بين هذه الجمل، ولعل من أبرزها أن يكون بين الجملتين اتحاد معنوي، فتكون الجملة الثانية توكيدًا للأولى وبيانًا لها أو بدلًا منها. ويقع الفصل بين الجمل عندما يكون هناك انقطاع وتباين في المضمون أو الشكل أي مختلفتين في الخبر والإنشاء.

أما على صعيد الوصل، فقد أسهمت وسائل ربط متعددة في تحقيق اتساق النص وتماسكه في الرسائل المدروسة؛ إذ شكّلت حلقة وصل بين جمل النص وجزئياته، مما كثف نسيج النص وحقق تلاحم مكوناته، وقد اعتمد الخطاب المدروس في تحقيق الربط النحوي النصي على سبعة روابط، وقد احتل الربط بالواو المرتبة الأولى بنسبة قاربت (90%) فيما لم تتجاوز نسبة بقية الروابط (10%) ومرد ذلك إلى اقتراب لغة الخطاب من اللغة العامية القريبة من الفصحى نوعًا ما، وهي لغة تميل إلى العطف

بهذه الأداة على حساب بقية الأدوات. وقد جاء العطف بالأداة (أم) متوافقًا مع استعمال اللهجة الإماراتية خصوصًا، والخليجية عمومًا، فهي تعادل (أو) في اللغة الفصيحة، وقد تكررت هذه الصيغة في تسع وعشرين رسالة، حضر الربط بالأداة الرابطة (ثم) في أربع عشرة رسالة، وحضر الربط بالفاء، الذي يأتي في المرتبة الثانية بعد الربط بالواو، في خمس وعشرين رسالة، وغاب عن خمس وعشرين رسالة أخرى، وقد أتت الفاء محققة لدالتين هما الربط الاستئنافي للكلام، والربط الشرطي.

• برزت وظائف عدة للربط النحوي في الرسائل، كان من أهمها: الوصل أو مطلق الجمع من خلال الربط بين صورتين متشابهتين من صور المعلومات أو أكثر جامعًا بينهما وتحقيق الواو الربط الخطي لسير الدلالة في النص، ووظيفة التخيير من خلال أداتين رئيسيتين هما: (أو، أم)، فهما تربطان بين صورتين متشابهتين من صور المعلومات أو أكثر على سبيل الاختيار. ووظيفة الإتيان أو التفرع وتحققت عبر أدوات دالة على السببية من مثل (لأنَّ، مادام، من حيث، ولهذا، ومن ثمَّ، لام التعليل).

سابعًا: برزت الإحالة في الرسائل باعتبارها وسيلة ربط نحوي بين أجزاء النص من خلال الضمائر التي أدت وظيفتين مقامية تشير إلى مُحال خارج النص وتبرز في ضمائر المخاطب، ووظيفة تحقق الإحالة داخل النص وتسهم في تناسقه واتساقه وتتمثل بضمائر الغيبة. كذلك أدت أسماء الإشارة والأسماء الموصولة دورًا مماثلًا لما تؤديه الضمائر، ويتمثل في تحقيق اتساق النص وترابطه، بما تمتلكه من إيجاز وتكثيف.

ثامناً: على صعيد الحبك في الرسائل المدروسة، وهو المعيار الثاني من معايير النصية، فقد برزت في الرسائل مقولات أساسية مركزية كانت تبني عليها البنية الدلالية الكبرى للرسائل، ولعل من أبرزها: الإصلاح والعدل: قامت سياسة الشيخ زايد في حكمه وفضه للخلافات بين مكونات المجتمع القبلية على مرتكز أساسي هو الإصلاح الذي يظهر بوضوح في رسائله إلى معاونيه، ويرتكز هذا الإصلاح على العدل، وقد شكّل ذلك مقولة أساسية قامت عليها رسائل. كما برزت مقولة: السلطة القائمة على التعاون الاحترام المتبادل بين مكوناتها المجتمعية: وظهرت هذه المقولة بوضوح في الرسائل التي كان يرسلها شيوخ القبائل إلى الشيخ زايد ومعاونيه، فالمكون الأساسي لبناء الدولة يقوم على احترام مكوناتها المجتمعية المتنوعة والتكامل في العمل الذي يعزز سلطة الدولة، ومراعاة خصوصية كل مكون من مكوناتها، وهذا ما يؤكد تعاضد الدولة وجنوح مكوناتها نحو الوحدة والتكامل.

كذلك ظهرت في الرسائل مفاهيم السلطة والشورى وما يرتبط بها، ويمكن القول إن مفهوم السلطة في تلك الفترة التاريخية هو مفهوم قائم على التصالح بين مكونات المجتمع، وتحقيق الاستقرار، وقد اقترن مفهوم السلطة بمفهوم العدل المستند إلى الشريعة الإسلامية، في حل كثير من مشكلات التي واجهت الناس، كما نلاحظ في قضية الإرث على سبيل المثال. وظهر مفهوم القبيلة والعرف في الرسائل، فقد استند الحكم والسياسة بين مكونات المجتمع كما سلف سابقاً إلى بعض التقاليد التي يفرضها العرف الاجتماعي القبلي، فهي عنصر أساسي في تحقيق العدل والاستقرار.

تاسعاً: على صعيد العلاقات النصية الداخلية ، المكونة للترابط داخل النص، فقد برزت في الرسائل العلاقات الآتية: علاقة الإجمال والتفصيل: فترد القضية مجملة ويتبعها التفصيل، وظهر الإجمال في مظهر بارز في الرسائل، وهو "الاستهلال" أو جملة الفاتحة، وتعدّ جملة الاستهلال المحور الذي تدور في مجاله الرسالة؛ إذ تتعلّق الأجزاء الباقية من النص بالجملة الأولى بوسيلة اتساقية تربطها بما يأتي بعدها وتحيل إليها، ومن أبرز تقنيات العبارات الاستهلالية المجملة التي تكررت في الرسائل: التركيب النعني العام، وهو ما نلاحظه في الجملة الأولى التي يُفتتح بها مضمون الرسالة، وهي عبارة تتكرر في الرسائل، وتتمثّل في التركيب: (كتابك الشريف) أو عبارة (كتبكم الشريفة)، وهي من العبارات المُجمّلة العامة والمهمّة، تليها الجمل التفسيرية التي تشير إلى المضمون. والعبارة العامة المُجمّلة: عندما تكون رسالة ذات طابع توجيهي وإداري في القضية المطروحة، مثل عبارة: (والذي نعرّفك به ونرجوه منك حال وصول التعريف إليك)، أو استعمال التركيب المجمل (لا يخفاك)، وهذا التركيب يرد لغرض الإجمال الذي يليه التفصيل في بداية الرسالة. كما برزت في الرسائل علاقة السؤال بالجواب (الحوارية)، وقد أسهمت هذه العلاقة في بناء الحوار الداخلي للنص؛ إذ ترتبط دلالة السؤال بالجواب، فهما يدوران في دائرة دلالة واحدة وموضوع واحد، وكان من أبرز تقنيات الحوارية في الرسائل ، تقنية الاستفهام المُضمّر، وقد لاحظنا في رسائل زايد أن الحوارية لم تقم على الاستفهام المباشر من خلال أدوات الاستفهام، وإنما قامت على تقنية التحاور، فالسؤال من المرسل كانت تدل عليه عبارة: (كتابك الشريف) أو (كتبتكم الشريفة) ثم يكون

الجواب في رسائل زايد مفتتحًا بعبارة (وما ذكرته صار عند محبك معلومًا)، وهذه العبارة تضمّر مجموعة تساؤلات أو استفسارات من المرسل، وتأتي الإجابة عن تلك الاستفسارات في رسالة الشيخ زايد مفصلة، ويتم الانتقال من المضمون إلى التفاصيل باعتماد أداة ربط أساسية، هي لفظة (بحال)، أو ما يرادفها.

عاشراً: على صعيد المعايير التداولية النصية في الرسائل، وهي العوامل غير النصية التي تتعلق بالمرسل وبالمتلقي وبظروف إنتاج النص، فيمكن تسجيل النتائج الآتية:

• إنّ هذه الرسائل على الرغم من أنها كانت رسائل مكتوبة، إلا أنها تحمل كثيراً من سمات الخطاب الشفاهي، على مختلف مستوياته الصوتية، والصرفية، المعجمية، والنحوية، وعلى صعيد بناء الجملة والدلالة. وهذا ما يمنحها ميزة تواصلية عالية مع شرائح متنوعة من المتلقين. فقد لمسنا بعض الظواهر التي سجّلها الخطاب المكتوب متأثراً بالصيغة المنطوقة للغة، وقد ظهرت التغيرات الصوتية في هذا المستوى من خلال الإبدال والقلب والتخفيف والحذف والزيادة.

• مالت لغة الرسائل إلى استعمال المستوى العامي اللهجي في الرسائل لتحقق وظيفتها الاجتماعية في التواصل، فلغة الرسائل مستمدة من لغة الحياة الدارجة في ذلك العصر، وهي تحمل سمات اللغة الشفاهية، فقد برزت في الرسائل ظاهرة إسناد الضمائر إلى غير ما يقتضيه المعيار اللغوي الفصيح، والميل إلى الاستعمال المستمد من العرف اللغوي اللهجي، وفي

ذلك يتداخل المستوى العامي مع المستوى الفصيح في صياغة الجملة،
كمعاملة المفرد والمثنى معاملة الجمع، وعدم الالتزام بقواعد النحو في
بعض الأساليب.

• قدّمت لنا الرسائل معجمًا للاستعمالات اللفظية والتركيبية تمثل الصورة
اللغوية التي كانت سائدة في تلك الفترة التاريخية.

• وجدنا على صعيد القصدية، وهي أداة وظيفية موجهة نحو إفهام
المخاطب، أن أهم ما يميز الخطاب الرسائلي عند الشيخ زايد هو أنه يُعبّر
تعبيرًا صادقًا عن موقفه السياسي، وتوجهاته الوطنية، والانحياز لحل
مشكلات الناس ومظالمهم، وهو ما يمكن أن نسميه بالالتزام بقضايا
الناس وتفصيل حياتهم، من هنا كانت الرسائل تنشد الحقيقة وتهدف
إلى تحقيق الخير والسعادة، وتهدف إلى بناء المجتمع بناءً صحيحًا، ومن
المقاصد البارزة في الرسائل، مقصد الصلح والنزوع إلى الحلول السلمية
للخلافات بين مكونات المجتمع، وهذه سمة أساسية من سمات شخصية
الشيخ زايد السياسية.

• أما معيار المقبولية، وهو من المعايير التي تتصل بمتلقي النص، فقد وجدنا
عددًا من العناصر المتعلقة بمتلقي الرسائل، ولعل من أبرزها قيام بنية
الرسائل على التلطّف في توجيه الرسالة إلى المخاطب، وفق بنية تواصلية
تبرز حال المرسل، وهو الشيخ زايد، وقد ظهرت لنا شخصيته الأبوية من
خلال جملة من العناصر التواصلية، أبرزها: تجريد الرسالة من الألقاب
الدالة على صفات قيادية، أو منصب سياسي، وهذا ما يرفع من نسبة

المقبولية في رسائل الشيخ زايد، فهي قد اعتمدت بداية أو مفتتح واحد في الرسائل جميعها يقوم على العبارة الآتية: (من زايد بن خليفة إلى...) مجردة من الألقاب والصفات الدالة على مركز سياسي أو قيادي، وهذا ما أضفى على الرسائل سمة أبوية، تظهر رابطة اجتماعية قوية بين المرسل والمتلقي، سواء أكان المتلقي هو أحد معاوني الشيخ زايد، أو من تعالج الرسالة قضيته، وهذا يظهر تلطفاً في الخطاب، ويترك أثراً حسناً لدى متلقيه. كما تضيفي الرسائل على المتلقي/ المخاطب، صفات الحميدة، وتتخلى عن صيغ الأمر والنهي في توجيه الخطاب، وهذا من العناصر المهمة في إنجاح تقبل الخطاب عند المتلقي، ويظهر إدارة قائمة على التعاون والمحبة وبناء العلاقة الاجتماعية بين طرفي التواصل وتعزز الروح الاجتماعية القائمة على الاحترام المتبادل بين الحاكم ومعاونه، وهذا ما يجعل التقبلية في أعلى صورها، وربما يكون ذلك سرّاً من أسرار نجاح قيادة الشيخ زايد يرحمه الله للدولة والمجتمع، سيؤسس عليه مستقبلاً في بناء الدولة، كما برز معيار المقبولية من خلال العناية بالموضوع، أو القضية المطروحة في الرسائل، وهنا لاحظنا أن الرسائل اتسمت بالإيجاز والتكثيف، فهي غالباً تعالج قضية واحدة، وتطرح سبل معالجتها بأسطر قليلة.

- برز معيار التناص في رسائل زايد، من خلال نمطين بارزين، هما: التناص مع اللغة الدينية، والتناص مع المثل، وقد كانت آلية التناص مندمجة، ومتفاعلة مع بنية النص بمستوياته المتعددة، حيث أدت دورها في خدمة الدلالة داخل السياق.

المصادر والمراجع

أولاً: قائمة الكتب

1. آدمستيک، کرسٲین، لسانیات النص، عرض تأسیسی، (ترجمة: سعید حسن بحیري)، مکتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2009.
2. ابن الأثیر، ضیاء الدین، أبو الفتح، نصر الله بن محمد بن عبد الکریم، المثل السائر فی أدب الکتب والشاعر، دار نهضة مصر، القاهرة، ط2، (د.ت).
3. الأشموني، أبو الحسن نور الدین علي بن محمد بن یوسف، شرح الأشموني علی ألفیة ابن مالک، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه حسن حمد، دار الکتب العلمیة، بیروت، 1998.
4. إسماعیل، هناء، النحو القرآنی فی ضوء لسانیات النص، دار الکتب العلمیة، بیروت، 2012.
5. أولمان، ستیفن، دور الکتمة فی اللغة، (ترجمة: کمال محمد بشر)، مکتبة الشباب، القاهرة، 1962.
6. بحیري، سعید حسن، علم لغة النص، المفاهیم والاتجاهات، مؤسسة المختار، القاهرة، ط2، 2004.
7. براون، ج، یول، ج، تحلیل الخطاب، (ترجمة: محمد الزلیطی، ومنیر التریکی)، منشورات جامعة الملك سعود، الرياض، 1997.
8. بشر، کمال محمد، دراسات فی علم اللغة، دار المعارف، القاهرة، 1973.
9. _____، علم اللغة الاجتماعی مدخل، دار غریب للطباعة والنشر والتوزیع، القاهرة، د.ت.
10. البطاشي، خلیل بن یاسر، الترابط النصی فی ضوء التحلیل اللسانی للخطاب، دار جریر للنشر والتوزیع، عمّان، 2013.

11. بوقرة، نعمان، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، 2009.
12. توين، فان ديك، علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، (ترجمة: سعيد حسن بحيري)، دار القاهرة، ط2، 2005.
13. الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998.
14. الجرجاني، عبد القاهر بن محمد، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط3، 1992.
15. _____، التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، 1985.
16. جسبرسن، أوتو، اللغة بين الفرد والمجتمع (ترجمة: عبد الرحمن أيوب)، مكتبة الأنجلو، القاهرة، 1954.
17. جمران، محمد أديب، معجم الفصح من اللهجات العربية وما وافق منها القراءات القرآنية، مكتبة العبيكان، الرياض، 2000.
18. ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دارالكتاب العربي، بيروت، ط2، 1952.
19. _____، سرُ صناعة الإعراب، تحقيق حسن هنداوي، ط2، 1993.
20. الجوهري، أحمد بن عبد العزيز، الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، مطبعة بولاق، القاهرة، ط2، 1957.
21. الحاج صالح، عبد الرحمن، العاميات العربية ولغة التخاطب الفصيحة، ضمن كتاب: (الفصحى وعامياتها، لغة التخاطب بين التقريب والتهذيب) أعمال الندوة الدولية ضمن فعاليات الجزائر عاصمة للثقافة العربية، الجزائر، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2008.
22. حجازي، محمود، اللغة العربية عبر القرون، المكتبة الثقافية، القاهرة، 1968.

23. ابن حزم، علي بن أحمد، الإحكام في أصول الأحكام، دار الحديث، القاهرة، 1404هـ.
24. حسام الدين، زكي، أصول تراثية في علم اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2، 1985.
25. حسّان، تمّام، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط2، 1979.
26. _____، البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، 2002.
27. حمدي، تمام، موسوعة زايد، الكتاب الأول، الناشر المؤلف، أبوظبي، 1992.
28. حميدة، مصطفى، نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربيّة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1997.
29. _____، أساليب العطف في القرآن الكريم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1999.
30. حنظل، فالح، الشيخ زايد بن خليفة حاكم إمارة أبوظبي (1855-1909)، المؤلف نفسه، 2015.
31. _____، المفصل في تاريخ الإمارات العربية المتحدة، لجنة التراث والتاريخ، أبوظبي، 1983.
32. الخبّاص، جمعة عوض، نظام الرّبط في النّص العربي، داركنوز المعرفة، عمّان، الطبعة، 2008.
33. الخطابي، محمد، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1991.
34. الخطيب القزويني، الإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، التلخيص في علوم البلاغة، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1932.

35. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، 2004.
36. خمري، حسين، نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت، الجزائر، 2007.
37. الداودي، زاهر بن مرهون، الترابط النصي بين الشعر والنثر، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، 2010.
38. دي بوجراند، روبرت، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسان، 1998.
39. دي بوجراند، روبرت؛ وولفجانج دريسلر، مدخل إلى علم لغة النص، (ترجمة: إلهام أبوغزالة، علي خليل)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1999.
40. دي سوسور، فرديناد، علم اللُّغة العام، (ترجمة: يوثيل يوسف عزيز)، مراجعة النَّص العربي مالك يوسف المطليبي، دار آفاق عربيَّة، بغداد، 1985.
41. ابن رشيق، الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، تحقيق معي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط2، 1955.
42. الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.
43. الزنّاد، الأزهر، نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصًّا، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 1993.
44. السالمي، أبو بشير شيبه بن نور الدين عبد الله، نهضة الأعيان بحرية عُمان، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1961.
45. السَّكّاي، ابن أبي بكر محمد بن علي، مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 2000.
46. ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق، إصلاح المنطق، دار المعارف، القاهرة، 1966.

47. ابن سنان، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي، سرالفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982.
48. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، المزهر في علوم اللغة، تحقيق محمد جاد المولى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1986.
49. _____، الإتيقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1988.
50. الشاعر، صالح عبد العظيم، النحو وبناء الشعر في ضوء معايير النصية، 2003.
51. الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2004.
52. الصايغ، فاطمة، الإمارات العربية المتحدة من القبيلة إلى الدولة، دار الكتاب الجامعي، العين، 2000.
53. الصبيحي، محمد الأخضر، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2008.
54. الطابور، عبد الله علي، الإمارات في ذاكرة أبنائها، الحياة الاقتصادية، دار القراءة للجميع، دبي، 1990.
55. العبد، محمد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، 2005.
56. عبد الجليل، حسني، المفارقة في شعر عدي بن زيد، الموقف والأداة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2009.
57. عبد الراضي، أحمد، نحو النص بين الأصالة والحداثة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008.
58. عبد الكريم، أشرف عبد البديع، الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم، القاهرة، مكتبة الآداب، القاهرة، 2008.

59. عبد اللطيف، محمد حماسة، الإبداع الموازي، التحليل النصي للشعر، دار غريب، القاهرة، 2001.
60. عبد المجيد، جميل، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1998.
61. عبد المطلب، محمد، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان، ومكتبة لبنان ناشرون، القاهرة، بيروت، 1995.
62. عبد المطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، 2007.
63. عبيد، عبد الرزاق، العربية الفصحى والعامية، متن اللغة لأحمد رضا نموذجًا، أعمال الندوة الدولية ضمن فعاليات الجزائر عاصمة للثقافة العربية، الجزائر، 2008.
64. العتيبة، مانع سعيد، اقتصاديات أوظيفي قديمًا وحديثًا، مطبعة التجارة والصناعة، بيروت، 1973.
65. عزام، محمد، النص الغائب، تجليات التناص في الشعر العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001.
66. عفيفي، أحمد، نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2001.
67. عكاشة، محمود، لغة الخطاب السياسي، دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال، دار النشر للجامعات، القاهرة، 2005.
68. علي، محمد محمد يونس، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، 2004.
69. ابن عمار، أحمد مداس، تحليل الخطاب الشعري من منظور اللسانيات النصية، تحولات الخطاب النقدي المعاصر، 2006.

70. علّام، عبد العاطي غريب، دراسات في البلاغة العربيّة، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1997.
71. العميمي، سلطان، شعراء آل نهيان، من القرن السادس عشر إلى القرن العشرين، لجنة إدارة المهرجانات والبرامج الثقافية والتراثية، أكاديمية الشعر، أبوظبي، ط3، 2014.
72. عبّاد، شكري، اللغة والإبداع، مبادئ علم الأسلوب العربي، إنترناشيونال برس، القاهرة، 1988.
73. عيد، محمد، المستوى اللغوي للفصحى واللهجات وللتراث والشعر، 1981.
74. غالب، حسين، بيان العرب الجديد، دارالكتاب اللبناني، بيروت، 1971.
75. الغريسي، محمد، اللسانيّات العربيّة والإضمار (دراسة تركيبية دلالية)، 2014.
76. غيرو، بيار، السّيمياء، (ترجمة: أنطوان أبي زيد)، منشورات عويدات، بيروت-باريس، 1984.
77. الفارابي، أبو نصر محمد بن محمد، الحروف، تحقيق محسن مجدي، دارالمشرق، بيروت، 1969.
78. ابن فارس، أحمد بن زكريا، الصحاحي في فقه اللغة العربية ومسائلها، تحقيق عمر فاروق الطّبّاع، مكتبة المعارف، بيروت، 1993.
79. _____، معجم مقاييس اللغة، (ترجمة: أنطوان أبي زيد)، دارالجيل، بيروت، 1991.
80. الفارس، محمد، الأوضاع الاقتصادية في إمارات الساحل الإمارات العربية المتحدة حالياً، (1965-1862)، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبوظبي، 2000.
81. فرج، حسام أحمد، نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري، مكتبة الآداب، القاهرة، 2007.

82. فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، الكويت، 1992.
83. فضل ربه، السيد طمان، فقه اللغة، مطابع الثقافة، الإسكندرية، د.ت.
84. الفقي، صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق. دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 2000.
85. فندريس، جوزيف، اللغة، (ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد قصاب)، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2014.
86. القاسمي، خالد محمد، دولة الإمارات العربية المتحدة، (سيرة قائد وإرادة شعب، مرحلة ما قبل الاتحاد)، دار الكتاب الحديث، بيروت، 1992.
87. القرطاجني، أبو الحسن، حازم بن محمد، منهاج البلاغ وسراج الأدياء، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، الدار العربية للكتاب، تونس، ط3، 2008.
88. القضماني، رضوان، مدخل إلى اللسانيات، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، جامعة البعث، 1988.
89. قط، مصطفى البشير، مفهوم النثر الفني وأجناسه في النقد، دار اليازوري، سلطنة عمان، 2009.
90. القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، والمؤسسة المصرية العامة للتأليف، القاهرة، د.ت.
91. قلقيلة، عبده عبد العزيز، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1992.
92. القيسي، فايز عبد النبي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، 1989.
93. قياّس، ليندة، لسانيات النص، النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، 2009.

94. ابن كراز المهيبي، سعيد محمد، رسائل من عصرزايد بن خليفة (-1836 1909)، الأرشيف الوطني، أبوظبي، ط2، 2018.
95. كوندراتوف، الكسندر، أصوات وإشارات (ترجمة: إدور يوحنا)، وزارة الثقافة، بغداد، 1971.
96. لانسون، وماييه، منهج البحث في الأدب واللغة (ترجمة: محمد مندور)، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015.
97. لعبيي، هادي نهر، اللسانيات الاجتماعية عند العرب، عالم الكتب الحديث، إربد، 2009.
98. لوتمان، يوري، تحليل النص الشعري، (ترجمة: محمد أبو الفتوح)، النادي الأدبي الثقافي، جدة، 1999.
99. لوريمر، ج، ج، دليل الخليج، القسم الجغرافي، إعداد قسم الترجمة في مكتب أمير دولة قطر، مطابع العروبة، قطر، 1967.
100. مانفرد، فرانك، حدود التّواصل (الإجماع والتّنازع بين هابرماس وليوتار)، ترجمة وتقديم وتعليق: عز العرب لحكيم بناني، أفريقيا الشّرق، المغرب، 2003.
101. محمد، عزة شبل، علم لغة النص، النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، 2007.
102. مجاهد، أحمد، أشكال التناسل الشعري، دراسة في توظيف الشخصيات التراثية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2006.
103. مجاور، محمد صلاح، تدريب اللغة العربية للمرحلة الابتدائية، 1977.
104. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط3، 1993.
105. مدكور، إبراهيم، في اللغة والأدب، دار المعارف، القاهرة، 1971.
106. المراغي، محمود، في البلاغة العربيّة، دارالعلوم العربية، بيروت، 1991.

107. مركز الإمارات للدراسات، بقوة الاتحاد، صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، القائد والدولة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبوظبي، ط8، 2018.
108. المركز الثقافي الإعلامي، الشيخ زايد بن خليفة بن شخبوط آل نهيان حاكم أبوظبي الأسبق، (1855-1909)، الصادر عن المركز الثقافي الإعلامي لسمو الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان، أبوظبي، 2009.
109. _____، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، آفاق جديدة، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، 2003.
110. مفتاح، محمد، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 1986.
111. ابن مكي الصقلي، عمر بن خلف، تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، تحقيق: عبد العزيز مطر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1966.
112. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط6، 1997.
113. ابن منقذ، أسامة، البديع في نقد الشعر، تحقيق أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، 1960م.
114. أبو موسى، محمد، دلالات التراكيب، دراسة بلاغية، مكتبة وهبة، القاهرة، (د.ت).
115. الموسى، نهاد، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، ط3، 1987.
116. _____، الثنائيات في قضايا اللغة العربية من عصر النهضة إلى عصر العولمة، 2003.
117. النجار، ناديا رمضان، عناصر السبك بين بين القدماء والمحدثين، ضمن كتاب: المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية، بعنوان: العربية بين نحو الجملة ونحو النص، كلية دارالعلوم، 2005.

118. نحلة، أحمد محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2002.
119. نوفل، يسري، المعايير النصية في السور القرآنية، دار الناغبة للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2014.
120. هاينه من، فولفجانج؛ وديتر فهميجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، (ترجمة: فالج بن شبيب العجمي)، منشورات جامعة الملك سعود، الرياض، 1999.
121. ابن هشام الأنصاري، عبدالله بن جمال الدين، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، 1992.
122. أبو هلال، عبدالله بن سهل العسكري، كتاب الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1952.
123. هينمان، مارغوت، وغنغ، فولفو، أسس لسانيات النص (ترجمة: موفق محمد جواد المصلح)، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، 2006.
124. واورزنيك، زستسلاف، مدخل إلى علم النص، (ترجمة: سعيد حسن بحيري)، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2003.
125. الوعر، مازن، قضايا أساسية في علم اللسان الحديث، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1988.
126. ياكبسون، رومان، قضايا الشّعريّة، (ترجمة: محمد الولي ومبارك حنون)، دار توبقال، الدار البيضاء، 1988.
127. يعقوب، إميل وآخرون، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، دار العلم للملايين، بيروت، 1987.
128. ابن يعيش النحوي، أبو البقاء يعيش بن علي، شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، (د.ت.).
129. يقطين، سعيد، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 1989.

ثانيًا: قائمة المجلات العلمية

1. توين، فان ديك، «اتجاهات لغوية معاصرة في تحليل النص»، مجلة علامات، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ج 3، مج 10، 2000.
2. حسن، حمدي إبراهيم، «رؤية حول مفهوم التواصل اللغوي»، مجلة كلية اللغات والترجمة، جامعة الملك سعود، ع 1، يونيو، 2011.
3. سهل، ليلي، «النصبة بين المفهوم والمعيار»، مجلة مخبر اللسانيات واللغة العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ع 5، 2016.
4. الطالب، هائل محمد، «من نحو الجملة إلى نحو النص، المفهوم والتطبيق»، مجلة جامعة البعث، حمص، مج 39، ع 12، 2017، 2017.
5. العليان، يوسف، «النحو العربي بين نحو الجملة ونحو النص، مثل من كتاب سيوبه»، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، مج 7، ع 1، 2011.
6. غولد شليغر، «نحو سيمياء الخطاب السلطوي»، (ترجمة: مصطفى كمال)، مجلة بيت الحكمة، ع 5، السنة الثانية، الدار البيضاء، 1987.
7. قبيلات، نزار مسند؛ ومحمود سليمان، «ثنائية الاتساق والانسجام في قصيدة قميصنا البالي للشاعر سميح القاسم»، مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، مج 39، ع 1، 2012.
8. القضياني، رضوان؛ والعكش أسامة، «نظرية التواصل المفهوم والمنهج»، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية مج 29، ع 1، 2007.
9. لحدولي، فهمية، «علم النص، تحريات في دلالة النص وتداوله»، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ع 10-11، 2012.

10. مصلوح، سعد، «نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية»، مجلة فصول، مج 10، ع 1-2، 1991.
11. ميلود، نزار، «الإحالة التكرارية ودورها في التماسك النصي بين القدامى والمحدثين»، مجلة علوم إنسانية، السنة السابعة، ع 44، شتاء 2010.
12. الوعر، مازن، «اللسانيات وتحليل الخطاب السياسي»، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، مج 11، 1997.

ثالثاً: قائمة الرسائل الجامعية

1. بوصوري، ناصر، فن الترسّل في العهد الرستمي، مقارنة أسلوبية، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة ورقلة، 2007.
2. بوقرة، نعمان، المصطلح اللساني النصي، قراءة تأصيلية سياقية، أعمال ملتقى «اللغة العربية والمصطلح»، منشورات مخبر اللسانيات واللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، مايو، 2002.
3. حكيم، رحمون، مستويات استعمال اللغة العربية بين الواقع والبديل (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري، الجزائر، 2011.
4. الذبياني، مساعد، السخرية في شعر عبد الله البردوني (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، السعودية، 1431.
5. الشامي، محمد أشرف عبد العال، معايير النصية، دراسة في نحو النص (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية دارالعلوم، جامعة القاهرة، 2003.
6. القحطاني، سعيد بن سعد، الشيخ زايد بن خليفة حاكم أبوظبي (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الملك سعود، الرياض، 2007.



رابعًا: قائمة المراجع الأجنبية

1. Barthes, Roland. *Image, Music, Text*, tr. Stephen Heath. London: Fontana, 1977.
2. Guillen, Claudio. *The Challenge of Comparative Literature*, tr. Cola Franzen. Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1993.
3. Halliday, M.A.K. *An introduction to functional grammar*, Edward Arnold, London , third edition, 2004.
4. Halliday, M.A.K; and Ruqaiya Hasan, *Cohesion in English*, Longman, London,1976.
5. JOHAN LYONS, *Linguistic semantics*, Cambridge university press, 1995.
6. Mann, Clarens, *Abu Dhabi: Birth of an oil sheikhdom*, Khayates, Beirut 1964.
7. Ricour, Paul. *Hermeneutics and the Human Sciences: Essays on Language, Action and Interpretation*, ed. J. B. Thomson. London: Cambridge University Press, 1981.

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	آية	سورة	طرف الآية الكريمة
60	225	البقرة	﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾
103	5-6	الانشراح	﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾
104	38	المائدة	﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾
282	128 49 132 83	الأعراف هود طه القصص	﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾
284	15	القصص	﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا﴾
284	54	المائدة	﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَجَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

فهرس الجداول

رقم الصفحة	عنوان الجدول	رقم الجدول	م
106	التكرار والتشابه في افتتاحيات الرسائل وخواتيمها	جدول 1	1
107-108	التكرار في مختتم الرسائل	جدول 2	2
110	الصيغة الاشتقاقية الاجتماعية في الرسائل	جدول 3	3
136	العناصر النحوية الرابطة التي أسهمت في تحقق تماسك النصي	جدول 4	4
159	ضمائر الغيبة	جدول 5	5
207	أسلوب الشرط المكرر	جدول 6	6
208-209	الأسلوب الشرطي	جدول 7	7
244-256	معجم الاستعمالات اللفظية والتركيبية	جدول 8	8
270	دوافع كتابة الرسالة	جدول 9	9

فهرس المحتويات

7	مقدمة الكتاب
11	تمهيد تاريخي
57	الفصل الأول: مصطلحات البحث
97	الفصل الثاني: السبك النصي في رسائل زايد
167	الفصل الثالث: الحبك في رسائل زايد
219	الفصل الرابع: المعايير التداولية النصية لرسائل زايد
287	خاتمة البحث
298	المصادر والمراجع
312	فهرس الآيات القرآنية
313	فهرس الجداول
314	فهرس المحتويات



جامعة محمد بن زايد
للعلوم الإنسانية
MOHAMED BIN ZAYED UNIVERSITY FOR HUMANITIES

نبذة عن الكتاب

تناولت أطروحة «تحليل الخطاب السياسي في رسائل زايد الأول» نصوصًا كشفت عن ملامح شخصية استثنائية أسهمت بفاعلية في رسم المسار السياسي لإمارة أبوظبي مطلع القرن التاسع عشر. وأظهرت هذه الرسائل انشغال الشيخ زايد بقضايا الوطن والمجتمع، وحرصه على تثبيت دعائم الاستقرار وتعزيز روابط الانتماء.

اعتمدت الأطروحة مقاربة لسانية منهجية انتقلت من نحو الجملة إلى نحو النص، فجمعت بين الجانب النظري والتطبيق العملي، مما أتاح استقراء البنية النصية للرسائل ورصد أنساقها ودلالاتها. وبدأت الدراسة بتمهيد تاريخي يضع القارئ في سياق المرحلة التي أنتجت فيها هذه الرسائل، أعقبه فصل نظري لتعريف المفاهيم والمصطلحات، بينما خصص الفصلان الثاني والثالث لدراسة آليات السبك والحيك، ليخلص الفصل الرابع والأخير إلى تحليل المعايير التداولية النصية وربطها بنتائج إحصائية دقيقة.

وتكمن أهمية هذه الأطروحة في تعاملها مع مخزون لغوي غني أتاح بناء معجم للاستعمالات اللفظية والتركيبية، يعكس السمات الأسلوبية واللغوية السائدة آنذاك، ويوفّر أداة علمية لفهم الخطاب السياسي في ضوء اللسانيات النصية. وبذلك تمثل الأطروحة إضافة رصينة للمكتبة الأكاديمية، وجسرًا يصل بين دراسة التراث المكتوب والمناهج اللسانية الحديثة.

ISBN 9789948630227



9 789948 630227